البحر التلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القبض من العناد واللجاج	
المؤلـــف	السيد محمد عبد الحي الكتاني
تحقيـــق	خالد بن محمد المختار البداوي السباعي
الإيداع القانوني	2017MO3683
ردمـــك	978-9954-698-08-2
الطبعـــة	الأولى - ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

ISBN 978-9954-698-08-2

9 789954 698082

تطلب منشوراتنا من

المغرب | دار الأمان
الرباط - زنقة المأمونية
٠٠٢١٢٥٣٧٢٦٣٧٨٧

الأردن | دار مسك
عمان - العبدلي
٠٠٩٦٢٧٩٦٠٥٤٨٠٠

تركيا | دار الشامي
استانبول - بايزيد
٠٠٩٠٢١٢٥٢٦٠٥٤٦
٠٠٩٠٥٤٢٣٣٢٣١٥٧



المملكة المغربية
طنجة - شارع لبنان - إقامة يامنة
الطابق الثالث - رقم ٤٧
٠٠٢١٢٦٥٦٩٩٣١٤٧
dar.alkatani@gmail.com

الجمهورية اللبنانية
بيروت - شارع برج أبي حيدر
ص.ب ٥٥٥٦-١٤ بيروت
٠٠٩٠٥٣١٥٩٠٣٥٩٣
دار الحديث الكتانية

البحر المتلاطم الأمواج

المذهب لما في سنة القبض من العناد واللجاج

تأليف الإمام الحافظ لسان السنة الغراء

السيد الشريف محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني

المتوفى سنة ١٣٨٢هـ

وفي مقدمته

المدخل إلى كتاب البحر المتلاطم الأمواج

عناية

خالد بن محمد المختار البداوي السباعي

تقديم

الشيخ العلامة محمد فال ولد عبد الله العلوي

شيخ محضرة النباغية

الجزء الأول

دار الحديث الكتانية

تقديم العلامة الشيخ محمد فال بن عبد الله العلوي
شيخ محضرة النباغية حفظه الله ورعاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد؛ فقد اشتدَّ الجدل واحتدَّ بيْن المتأخرين من المالكية في مسألة القبض والسَّدل، وتضاربت الأنظار وتعارضت الآراء، وتعصب كل لما يراه أولى من متمسك؛ لما في بعض المختصرات المالكية من ترجيح السَّدل بل وكراهة القبض معتمدين على كلمة في بعض نسخ «المدونة» وجمودًا على عمل الأكثر من علمائهم وجميع عوامِّهم، ومن أصعب الأشياء ترك المألوف، والتّنازل عن العمل الموروث، فصال هؤلاء وجالوا وركبوا الصّعب والذلول في الدفاع عن عملهم فأسالوا الأنقاس وأعملوا اليراع بما لا يخلو بعضه من حدّة وتحامل على الخصم، ولم يكتف بعضهم بالنّثر هجومًا ودفاعًا بل استعملوا الشِّعر سلاحًا في بعض الأوقات، وهذا مخالف لما كان عليه المتقدمون من أهل المذهب في مناظراتهم العلمية؛ فتراهم يذكرون الأقوال بكل هدوء مرجحين ما يرونه راجحًا من غير أن تثار عليهم عاصفة من معاصريهم بأنهم خرقوا سياج مذهبهم أو تنكروا لمشهوره، متسعة صدورهم لما يقضي به الدليل الذي هو «الحَكَم التّرضى حُكومَته» والمرجع الفيصل في مسائل النزاع.

وهكذا تنوعت آراء المتأخرين في هذه المسألة بين متبصر نظر إلى المسألة بمنظار المذهب على ضوء الدليل فأخذ بقول إمامه ربطا له بالدليل



غير مستقل بالنظر ولا ملغ للقائل، ومنهم من أخذ بالدليل استقلالاً وألغى قول الإمام وأصحابه، ومنهم من تعصب لما قرأ في كتب المتأخرين خصوصًا متونها وتكلف رد ما خالفه بما يصل أحيانًا إلى دعوى نسخ ما خالفها مما يحتاج مدعيه إلى إثبات توفر شروط النسخ الذي هو آخر الاحتمالات، ومنهم من قال: أقتنعُ به سنة صحيحة، لكن لم يقل أحد من المتقدمين بوجوبه أفلا تراعى مشاعر العامة الذين شاع بينهم القول بكراهته؟!.

وقابل ناصرو القبض تلك الحجج بمثلها أو أكثر رافعين ألوية الكتاب والسنة مرفرفة على إثرها أقوال أرباب المذاهب الثلاثة مشفوعة بقول المحققين من المالكية.

ولم يزل البحث أخذًا وردًا بين الفريقين جاريًا، والتأويل يفعل في النصوص الأفاعيل؛ فحصل من مجموع ذلك مؤلفات كثيرة منها ما نُشر واشتهر ومنها ما لم ينشر ولم يشتهر من مطول ومن مختصر من محقق ومُدْلٍ دلوه في الدلاء مما لا يخلو كثير منه من تكرير.

وكنت أسمع فيما مضى بسِفْر في الموضوع للعالم المحدث الواسع الباع كثير الاطلاع الحافظ الشيخ عبد الحي الكتاني يسمى «البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القبض من العناد واللجاج» وكان يستهويني ما في هذا العنوان الضخم مع ما لمؤلفه من شهرة علمية طبقت الآفاق، وأقول لعل في هذا الكتاب من التحقيق ما ليس في غيره حتى ظفرت بنسخة منه على يد أحد فرع الدوحة العلمية الكتانية السيد حمزة بن علي بن المنتصر الكتاني حفظه الله ورعاه فقد صدقني سن بكره إذ وجدت العنوان صادقًا على الكتاب صدق الاسم على المسمى واللفظ على المعنى، وهو وإن كان

ردًا عن مؤلف «هيئة الناسك» في الأصل فهو دفع في صدر كل معارض لسنة القبض من متقدم ومتأخر بما لا يستطيع مقاومته.

لقد وجدت الكتاب محيطًا بالمسألة فقهًا ودليلًا بما لا مزيد عليه، يتمثل ذلك في أبواب وفصول وبحوث وأنقال حازة في المفصل متنزلة على مسألة البحث تتخللها فوائد ونوادر وعوائد وشوارد يستريح بها القارئ من عناء القراءة ويستجم فيها ناظر من نظارة الحرب لا من رجال الطعن والضرب، ومتشوف إلى مثل هذا التحقيق من مثل المؤلف كما هو عادته، ومطالع ممن لا يصبر على طعام واحد فيستعيد نشاطه لمواصلة القراءة من غير كلل ولا ملل.

هذا مع ما أمتع به وأفاد فأجاد الأستاذ المحقق الناشر المتألق خالد السباعي -لا جف قلمه ولا خفي عَلَمه- في تتبعه لنصوص الكتاب بالتعليق والتوثيق.

وقد اتسع مجال القول في هذا الكتاب، واستوى في التعبير عن قدره الإيجاز والإطناب، ولما عسُر علي تعيين مجْمله وتفصيل مجمله أنشأت هذه الأبيات مترجمًا عن نتائج نظره:

فوق ما كان يرتجيه الراجي ... بيناتٌ تضيءُ ضوءَ السراج

كان أبداها من بياض الدَّراري ... ما غدا ماحيًا سَوادَ الدَّياجي

مُنْتِجاتٌ مِن صادقات القضايا ... وسطًا لا يُلغَى لدى الإنتاج

صَدَعَتْ كلَّ ما بناه المُباري ... من لَفيَفِ الأقوال صَدْعَ الزُّجاج

أفْحمتْهُ مِن بَعد طولِ خِصام ... وأجَرَّتْه بَعْدَ طولِ لَجاج

وأحَقُّ الأقوال بالرَّدِّ قولٌ ... مُرْسَلٌ مِنْ ذويه دونَ عِناج

قد أتتنا وهْيَ الجَديرةُ أن تُو ... تَى وَلَوْ من عَميقِ رَحْبِ الفِجاجِ

سُنَّةُ القَبض أشْكَلتْ في وضوح ... مِثْلَ إشكال الصبح بَعْدَ انْبلاج

قد روتْها ثقاتُها عن ثقاتٍ ... وحَكَتْها الأفواجُ عن أفواج

صنْعُ عَبدِ الحيِّ الإمامِ المُجَلِّي ... في الفتاوى والكوكبِ الوَهّاج

بَحرُ عِلمٍ تَقاصَرَ البحرُ عنه ... عندَ طاغي آذيِّه الثَّجاج

غاص فيه وهُوَّ ذو هَيَجانٍ ... من خِضَمٍّ غَطَمْطَمٍ عجَّاج

غَوْصُه غَوْصُ ماهِرٍ ما ثَناه ... عن بُغاهُ تَلاطُمُ الأمواج

غاصَ فيه يُقاوِمُ الموجَ حتى ... ظفِرتْ كَفُّه بدُرَّةِ تاج

أظهرَ الحقَّ فيه غيرَ مُوارٍ ... وأزالَ الخفاءَ غيرَ مُداج

حيكَ من نيرَيْ سُنة وَكتابٍ ... بله حوكَ الدِّمَقْس والدِّيباج

حُجَّةٌ قَدْ تَلَقَّفَتْ ما سَجا مِن ... شُبَهٍ في حامي وطيسِ الحِجَاج

رَفَعَتْ كُلَّ ما هنالك يَجري ... من خلافٍ في حُكمه أو خِلاج

بَلَغَ الجُدْرَ سقيُهن ورَوّى ... ما لديها من حَرَّة وشِراج

أيَّدتْها أدِلَّةٌ قائماتٌ ... مِن كتابٍ وسنةٍ بازدِواج

لم يَجِدْ مالكٌ وحاشاهُ عنْها ... وهْو خِرِّيت ذلك المنهاج

لم تُفاجِئْ وهْي الغريبةُ وضْعا ... مثلُ هذي مِن مِثْله لا يُفاجي

إنَّ آلَ الكَتّان حازوا علوما ... وفُهوما كالروضة المِبهاج

بَزَغوا سابقين في كُلِّ عَليا ... ء بُزوغَ الأقمار في الأبراج

بهجةُ العَصْر غُرَّة القُطر نالوا ... في ميادين الدين نَيْلَ ابْتهاج

محمد فال (اباه) بن عبد الله

مباحث كتاب:
المدخل إلى البحر المتلاطم الأمواج

١) تصدير وتعريف بالكتاب والعمل فيه.

٢) ترجمة جامعة محررة للمصنف، تشمل التعريف بأهم مصادر ترجمته، وتحرير الخلاف في تاريخ مولده، والتعريف بأُسْرَتِه، وذكر شيوخه في الفقه المالكي خصوصًا، وأعماله العلمية والدعوية، وسلَّطنا الضوء عل جهوده ودعوته لإحياء السنن النبوية، وخدماته لمذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، ثُمَّ ثبت بأسماء مؤلفاته الفقهية بالخصوص، ورحلاته، ومبادئه وأفكاره الإصلاحية، ومحنته وابتلائه، ثُمَّ وفاته.

٣) المقدمة الدراسية: وتتناول أولًا موضوع الكتاب، وما كتب في موضوعه قبله وبعده، مع الإشارة إلى المطبوع والمخطوط، وتعريف مُوجز بكل منها.

٤) التعريف بالإمام المكي بن عزوز، وصور علاقته مع الإمام المصنف، والتعريف بكتابه في القَبْض، ونص رسالة من المصنف إليه تامة.

٥) التعريف بالعلامة الفقيه المفتي الشَّيخ المهدي الوزاني ومصنفيه في السَّدْل.

٦) التعريف بالبحر المتلاطم الأمواج ؛ بتوصيفه وتحليل محتواه.

٧) توثيق نسبته إليه.

٨) ثناء العلماء عليه.

٩) مصادره وموارده.

١٠) منهج المصنف فيه.

١١) قيمته العلمية.

١٢) أوهام تتصل به.

١٣) تسمية الكتاب.

١٤) تاريخ تأليفه.

١٥) محاولة طبعه طبعةً أولى والتأريخ لها.

١٦) نسخه الخطية.

١٧) المستفيدون منه والواقفون عليه.

١٨) مقرظو الكتاب والمثنون عليه.

١٩) التعريف بكُتب اقتُضِبَتْ من البحر.

٢٠) التعريف بكُتب اختُلست من البحر، وهو المُثنوني والبتَّار للغماري، وأكله لمباحثه أكلًا لمًّا ؛ دون عزو على عادته مع العلماء السابقين.

٢١) عنايتنا بالبحر وطريقتنا في إخراجه.

تصدير وتعريف بالكتاب والعمل فيه

بسم الله الرحمن الرحيم، وَصَلَّى الله وسلَّمَ على سيدنا محمد وآله وصحبه.

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد: فهذا كتاب جعلته مدخلًا ومُوَطِّئًا ومُعَرِّفًا بكتاب «البحر المتلاطم الأمواج المُذْهِبُ لِمَا في سُنَّة القَبْض من العناد واللِّجاج» ؛ للإمام الحافظ لسان السنة الغراء، السيد الشريف محمد عبد الحي بن الإمام المحدث العارف عبد الكبير الكتاني الفاسي الحسني رحمه الله تعالى، والذي يعتبر أكبر ما كتب في بابه، ويُعَدُّ مِرْآةً لآراء مصنفه الفقهية والأصولية، ولسانًا ناطقًا عن منهجه في الفقه والاستدلال، والحِجَاج لآرائه واختياراته، والدفاع عنها بالدليل والحجة والبرهان، وهو يعكس شعلة نشاط الإمام المصنف وتَهَمّمَهُ بإحياء ما انْدَرَسَ من علوم الإسلام، والدعوة إلى تجديد الدراسات الفقهية، تلقيًا وتعليمًا وتصنيفًا وتأليفًا، وفق منهج مرسوم، وبرنامج مدروس، وأعمال كثيرة للنهوض بالأمة الإسلامية، حملها المصنف على كاهله، وقام بعِبْءِ تبليغها في دروسه العالية في جامع القرويين ؛ طيلة عقود من تدريسه فيه، وفي غيره من معاهد العلم والمساجد والزوايا، وقد بثَّ بعض آرائه في كل ذلك في هذا الكتاب.

وقد كان من المقدَّر لهذا المدخل أن يكون مقدمةً لتحقيقنا للبحر، إلَّا أنَّها لمَّا طالت بسبب تشعب المباحث التي تطرقتُ إليها أحببت أن تكون مقدمة تلكم الموسوعة الضخمة الفخمة في كتاب مفرد يكون كاشفًا ومُعَرِّفًا بالبحر، وظروف تأليفه، وتاريخ ذلك، وما صاحبه من وقائع، مع التعريف بمنهج مصنفه في الفقه والاستدلال والبحث، وشرح نظراته التجديدية الفقهية والمنهجية، وآرائه الجريئة في وقته، والتي دافع وحاجج عنها في كتابه هذا، وقد سعى مصنفه مع صاحبه العلامة الكبير الشَّيخ سيدي محمد المكي بن عزوز التونسي نزيل دار الخلافة إلى طباعته، وَأَعَدَّا العُدَّة لذلك نحو سنة ١٣٣٢هـ، إلَّا أنَّ القائم على طبعه والمتحمس لنشره العلامة ابن عزوز وافته المنية في أثناء الإعداد لطباعته، فتوفي رحمه الله تعالى في مدينة اصطنبول، وبقي هذا الكتاب حبيس النسخ الخطية في بعض المكتبات الخاصة، حتى تجرَّأ بعض من لم يخف الله ولم يراعِ حقوق العلم والأمانة، فنقلَ جُلَّه ناسبًا إياه لنفسه، مع كون الواقع المحسوس المُشَاهد يشهد بكونه أجنبيًّا عن مباحثه ومسائله، كما سيأتي الحديث عنه بتفصيلٍ في فصل مفرد بحول الله وقوته من مدخلنا هذا.

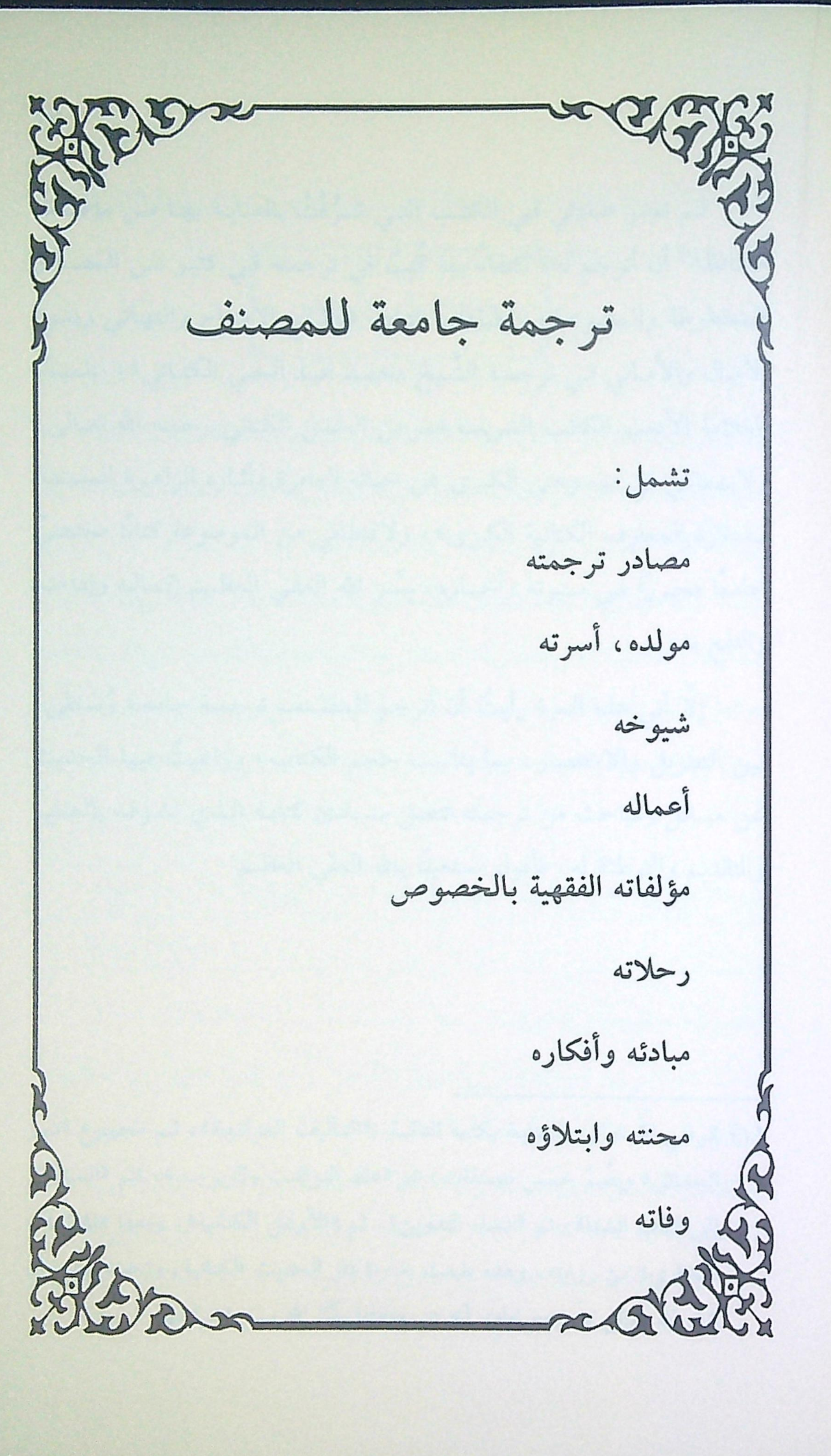
فكان أن أرَّخنا في كتابنا هذا لتلك العلاقة العلمية والروحية الصافية، والتمازج الأخوي والمعرفي والدعوي الراقي بين الإمامين، مع التأريخ لمحاولتهما طباعة هذا الكتاب.

وقد يسَّر الله تعالى وتفضَّلَ بالوقوف على ثلاث أصول خطية لهذا الكتاب، أحدها بخط مصنفه وجامع درره رحمه الله تعالى، والأصلان الباقيان بخط تلميذيْن للمصنف كما سيأتي ذكره بعدُ، فيسَّرَ الله الانقطاع

له؛ وَصَفِّه، ومقابلته، وضبطه، وتفقيره، وتوثيق نقوله، وتخريج أحاديثه، وخدمته خدمة علميَّة، أسأل الله تعالى أن تكون وفق ما يرضى عنه مصنف الكتاب والعلماء وطلبة العلم.

وقد بذلتُ في خدمة هذا الكتاب جهدي، ولم أدَّخِر فيه نصبي وكَدِّي، فقمتُ بمقابلته مرتين مقابلة تامة، وقُمْتُ بتوثيق نقوله من مصادره الكثيرة التي حشدها المصنف في كتابه، سواء كانت تلك المصادر مخطوطة أوْ مطبوعة، إلا ما لم أستطع الحصول عليه بعد التي واللتيا، وقد لاقيت صعوبة في توثيق جُلِّ هذه النصوص، لكون غالب مصادرها إما مخطوطة أو مطبوعة في طبعات قديمة لم تُخدم بالفهرسة والتكشيف، ولم يعقني ذلك عن قراءة مظان تلك المسائل في تلك الكتب مرَّات بحثًا عن نقل وتوثيقه، حتى تمَّ بحمد الله في هذه الصورة التي تراها، وقدمتُ للكتاب بهذا المدخل المطوَّل الذي جعلتُه كالتعريف بالمُؤَلِّفِ والمُؤَلَّف، والله أسأل أن يجعله من العمل الخالص المتقبَّل لديه، وأن يكتب لي أجره وأجر العمل والنصب فيه، وأن يغفر لي ولوالدي ومشايخي وإخواني وأحبابي وعموم المسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه خادم نعال المحدثين المعتني بتراث الإمام الحافظ لسان السنة الغراء السيد الشريف محمد عبد الحي الكتاني الفاسي الحسني رحمه الله تعالى، خالد بن محمد المختار البداوي السباعي الحسني في أوائل ذي الحجة الحرام سنة ١٤٣٧هـ.



ترجمة جامعة للمصنف

تشمل:

مصادر ترجمته

مولده، أسرته

شيوخه

أعماله

مؤلفاته الفقهية بالخصوص

رحلاته

مبادئه وأفكاره

محنته وابتلاؤه

وفاته

لم تجر عادتي في الكتب التي شرُفْتُ بالعناية بها من مؤلفات الحافظ[١] أن أترجم له، اكتفاءً بما كُتِبَ في ترجمته في كثير من المصادر المخطوطة والمطبوعة، ولطباعتنا كتاب «مطالع الأفراح والتهاني وبلوغ الآمال والأماني في ترجمة الشَّيخ محمد عبد الحي الكتاني»؛ لتلميذه العلامة الأديب الكاتب الشريف عمر بن الحسن الكتاني رحمه الله تعالى، ولانهماكي في موسوعتي الكبرى عن حياته العامرة وآثاره الزاهرة المسماة بـ«دائرة المعارف الكتانية الكبرى»، ولاقتطافي من الموسوعة كتابًا مختصرًا جامعًا محررًا في سيرته وأخباره، يسَّر الله العلي العظيم إكماله وإذاعته والنفع به.

إلَّا أني هذه المرة رأيتُ أن أترجم للمصنف ترجمة جامعة وُسْطَى، بين التطويل والاختصار، بما يناسب حجم الكتاب، وراعيتُ فيها الحديث عن مسائل ومباحث من ترجمته تتصل بمبادئ كتابه الذي نشرف بالعناية والتقديم والتوطئة له، فأقول مستعينًا بالله العلي العظيم:

---

(١) شرفني الله تعالى بالعناية بكتبه التالية: «التآليف المولدية»، ثم مجموع «نور الحدائق» ويضُمُّ خمس مصنفات، ثم «عقد اليواقيت والزبرجد»، ثم «المدخل إلى كتاب الشفا»، ثم «ابتداء التدوين»، ثم «الأوائل الكتانية»، ومعها «ثلاثيات البخاري» من روايته، وهذه طبعت بدارنا دار الحديث الكتانية، وتحت الطبع إن شاء الله تعالى عدة مصنفات أخرى بعنايتنا يسَّرَ الله سبل إخراجها.

مصادر ترجمته

لكاتب هذا الكتاب مُصَنَّفٌ مُفرد عَنْوَنَهُ بـ«الإمام الحافظ لسان السُّنَّة الغَرَّاء السيد محمد عبد الحي الكتاني، سيرة ببليوغرافيا»؛ أحصيتُ فيها قريبًا من ٥٠٠ مصنَّف من المصنَّفات التي وردت فيها ترجمته، أو أُجْرِيَ لَهُ ذِكْرٌ فيها، يَسَّرَ الله طباعته قريبًا بمنِّه وكرمه، وأنتقي منه هنا عيون المصادر التي ترجمت للمصنف، مع التنبيه على بعض ما فيها من غرائب الفوائد وشوارد النصوص، مكتفيًا بأهم هذه المصادر، مُحِيلًا على كتابنا المذكور لمعرفة الباقي واستيعاب ما وصلنا العلم به من المصادر التي تُرْجِمَ فيها الإمام أو ذُكِرَ فيها.

فأقولُ -وبالله التوفيق- مرتبًا إِيَّاهَا على حروف المعجم مع التنبيه على أُبْهِم وأُعْجِم:

١) - **«الأعلام»** للأستاذ السفير خير الدين الزِّرِكْلِي[١]، وترجمة المصنف فيه كُتبت بإملاء من أصدقاء الزركلي بالمغرب، من أعداء الإمام وحاسدي فضله، كما هو ظاهر من سياقها ومساقها، وقد كُتبت بنَفَس الزركلي القومي المعادي للعلماء المُتَشَبِّثين بدينهم وهويتهم الإسلامية

---

(١) (٦/١٨٧-١٨٨).

الجامعة[١]، وقد اشتملت مع ذلك على أخطاء جسيمة، ومغالطات قبيحة، أُنَبِّهُ عليها هنا باقتضاب، والتفصيل في كتابنا المحال عليه:

١- خطؤه في تاريخ مولده الذي جعله سنة ١٣٠٥هـ، وهو تاريخ لم يذكره أحد من مترجمي الإمام المعتمدين، فقد دارت أقوال المؤرخين الثقات بين سنتي ١٣٠٢ وسنة ١٣٠٣ كما سيأتي تفصيله، ولا أعلم مستند ولا مصدر الزركلي في هذا التاريخ، ولا سلف له فيه، كما لم يذكر مصدره في ذلك.

٢- وقوله: «وكان منذ نشأته على غير ولاء للأسرة العلوية»؛ كذبة صلعاء، فقد كان الإمام منذ نشأته إلى وفاته على ولاءٍ تام للملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب، مدَّةَ حياته الشريفة، يحبهم ويحبونه، ينصحهم ويستنصحونه ويشاورونه، وظهائر التوقير والاحترام التي نالها من سائر الملوك الذين تعاقبوا على ملك المغرب متكاثرة، وقد جمع ما وُفِّقَ للعثور عليه منها أخونا الأستاذ عبد الهادي جمعون وفَّقَهُ الله، وَذَيَّلَ بها تحقيقه لكتاب الحافظ «النبذة اليسيرة في تاريخ الدولة العلوية الشهيرة»، وهي ناطقة بعكس دعوى الأستاذ الزركلي، والوثائق تَنْطِقُ بالحقائق وتُبَيِّنُ المؤرخ المنصف من غيره.

٣- قوله: «وَلَمَّا فُرِضَتِ الحماية الفرنسية على المغرب (١٩١٢) انغمس في موالاتها».

---

(١) سيأتي مثال لذلك في ترجمة الشَّيخ محمد ظافر الطرابلسي شيخ السلطان عبد الحميد الثاني رحمهما الله تعالى، والذي أبت عصبية الزركلي إلا التنقص منه ومن خليفة المسلمين.

هذا الكلام واضح البطلان كسابقه، فالإمام قاوم الحماية والاستعمار بقلمه ولسانه وسيفه، وجهَّزَ الجيوشَ وحضر المعارك والقتال بنفسه وشارك فيها، ثُمَّ أوذي في سبيل مواقفه، فسجن وصودر بيته وكل ما فيه، بما فيها مكتبته العامرة، وقتل أخوه العارف الشهيد بسبب مواقفه الجهادية ودفاعه عن الإسلام ووطنه، ثُمَّ لَمَّا وقَّعَ السلطان المولى عبد الحفيظ عقد الحماية، ودخلت فرنسا المغرب بعقد الحماية الموقع من طرف السلطان، وَتَحَكَّمت فرنسا في المغرب، رأى من المصلحة الشرعية والحكمة أن يهادنهم ظاهرًا، وينشر الوعي الديني والإسلامي والروح الإسلامية والاعتزاز بالهوية المغربية الأصيلة، فقام بذلك على أتم وجه، ولم يبع دينه ولا مبادئه، ولم يتول طيلة الحماية الفرنسية أي منصب ديني أو سياسي مع إلحاح السلطات عليه في ذلك، بل ترك منصبه العلمي بالقرويين لَمَّا أدخل الفرنسيون باسم السلطان سيدي محمد بن يوسف للقرويين ما أسموه بالنظام، ولم يتناول من مرتبه من الأوقاف، بل كان يحتفظ به في صندوق مدة حياته، إلى أن صودر في جملة ما صودر من مكتبته، وقاوم تخريب القرويين باسم التنظيم، فدرَّس تطوعًا فيه وفي غيره، وحارب الاستعمار الديني والتنصير بالدعوة إلى الله تعالى في الجبال والبوادي، وحارب الاستعمار الحضاري والانبهار بالغرب فحافظ على تاريخ المغرب وحضارته، وفتح خزانته العامرة لذلك.

وقاوم الاستعمار في مجالات متعددة، وهو باب واسع سنفرده بكتاب مفرد ضمن موسوعتنا «دائرة المعارف الكتانية»، ولم أقف على كثرة قراءتي في كتب المصنف المخطوطة والمطبوعة على ما يُفيد تعظيم

المستعمر ولا تمجيده، ولا حتى ذِكْرِه، بينما كانت النّاس تتسابق بإهداء الثناء والشكر لرجال فرنسا في المغرب، ومن أواخر ما قرأتُ من ذلك كتاب «الخطبة والخطباء بفاس» للعلامة عبد الواحد الفاسي والد الزعيم علال الفاسي رحمهما الله تعالى، فقد شكر فيه المقيم العام الفرنسي الذي فرض الظهير البربري.

والتعبير بكلمة انغمس تعبير فاسي شائع، يدرك منه ومن غيره أنَّ هذه الترجمة من إملاءات الخصوم والأعداء وحاسدي فضل الإمام، والواقع أن جُلَّ آبائهم وأقاربهم كانوا في ذيل المستعمر منغمسين في خدمته، ثُمَّ أصبحوا -بقدرة قادر- وطنيين وأحرارًا، وربك يصنع ما يشاء ويختار.

٤- قوله: «وَحَجَّ، فتعرف إلى رجال الفقه والحديث في مصر والحجاز والشام والجزائر وتونس والقيروان».

ظاهر كلامه يوحي أنه دخل لكل هذه البلدان وهو في طريقه للحج، وهو خطأ؛ فالأقطار الثلاثة الأخيرة وهي: الجزائر وتونس والقيروان، إنما دخلها الحافظ سنة ١٣٣٩، في رحلة مستقلة بعد رحلته الحجازية الواقعة بين سنتي ١٣٢٣ و١٣٢٤.

٥- قوله: «فرأيت على كثير منها تعليقات بخطه...»، استفاد الزركلي من هذه التعليقات كثيرًا في كتابه «الأعلام»، والغالب الأعم أنه ينقل منها دون عزو لصاحب تلك الفوائد، التي لم يجد كثيرًا منها إلَّا فيها، وقد تتبعتُ بعض ذلك في كتابي «تاريخ المكتبة الكتانية»، فليراجع.

٦- «ولما اسْتَقَلَّ المغرب (١٩٥٥) كان الكتاني في باريز». قلتُ: هذا الكلام كذب قطعًا، فالسيد الإمام خرج من المغرب قبل ذلك بمُدَّة، واستقرَّ أولًا بإيطاليا، ثُمَّ قدم لفرنسا واستقرَّ بها مدرسًا بجامعة السوربون، وداعيًا إلى الله ومعلمًا ومرشدًا كما كان عليه دهره رحمه الله.

٧- كلامه عن «التراتيب الإدارية» يناقض كلامه في ترجمة الخزاعي[1] وهو قوله: «اطلع عبد الحي الكتاني على نسخة منه غير تامة، فأضاف إليها زيادات كثيرة ونسب الكتاب كله إليه، وسماه «التراتيب الإدارية» - ط في مجلدين». وهذا تحامل كبير، فالسيد الإمام رحمه الله ميَّز كلام الأصل عن كلامه في أمانة علمية دقيقة، وأحيى مُؤَلِّفَ الأصل ومُؤَلَّفَهُ، ولكنَّ الحِقْدَ والحسدَ الأعمى يصنع بصاحبه أضعاف هذا، ولتمام الحديث عن «التراتيب الإدارية» و«تخريج الدلالات السمعية» ينظر: كتابنا «المعجم المعرف بمؤلفات الإمام الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني وما لحقها من أعمال»، وكتابنا «المدخل إلى التراتيب الإدارية»، والأول منهما قريب الصدور بحول الله وقوته.

٩- ذكر له من مؤلفاته «الكمال المتلالي» وهذا الكتاب ليس له يقينًا، بل هو لأخيه العارف السيد محمد بن عبد الكبير رحمه الله تعالى.

١٠- وثلاثيات البخاري التي ذكرها هي من روايته، وعبارته موهمة، وقد عنيت بها وصدرت عن دار الحديث الكتانية، وانظر مقدمة عنايتي بها.

---

(١) (٥/٦-٧).

١١- ونسب له ضمن مصنفاته «لسان الحجة البرهانية»، وليس له، بل هو لأخيه العارف السيد محمد بن عبد الكبير، وقد طبع في حياته منسوبًا إلى مؤلفه مرتين، مرة بفاس طبعة حجرية، وأخرى ببيروت.

١٢- قوله «وكان مع ما فيه...»، هذا الانحراف يظهر في عيون المنحرفين ممن لا يعرفون لأهل العلم والإيمان أقدارهم، وإلا فالإمام رحمه الله لم يُلْمَزْ بصبوة، ولم يعرف عنه ميل إلى هفوة، نعم كان منحرفًا عن أعداء الدين والثوابت من أصحاب الزركلي ومن على شاكلتهم.

١٣- قوله: «ومرجعًا للمستشرقين»، وفي ذلك نظر؛ إذ أنَّ السيد الإمام كان مرجعًا للباحثين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وأفكارهم، ولكن للأسف الشديد أقولها وأسجلها: إن المستشرقين يشكرون النعمة وينسبون الفضائل إلى أهلها، وقومنا وخصوصًا أصحاب الزركلي، والذين أملَوا عليه ترجمة السيد ليضعها في أعلامه، جُلُّهم تغذى بلبان معارف الإمام، وكثير منهم تخرَّج من مدرسته، وَرُبِيَ في كنفه وتحت رعايته، وعلى موائد فضله وعلمه، ولكنه قلبَ لسيده ظَهْرَ المِجَنّ، وقد استوفيتُ من استفاد من المستشرقين وغيرهم في كتابي «تاريخ المكتبة الكتانية»، فكان المستشرقون هم القِلّة، مع شدة بحثي وتتبعي لمن استفاد منه أو ذكره، فوضح بذلك أنها دعاية مغرضة من الزركلي أو الموسوسين له.

فانظر إلى هذه الترجمة، على قصرها، احتوت من المغالطات والأغلاط على ما بيَّناه، ولم ينبه على جُلِّها من اعتنى بالاستدراك على الزركلي.

٢) «إتحاف العدول الثقات بإجازة كتب الحديث والأثبات»؛ للعلامة الفقيه الشَّيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان، مدرس التوحيد والحديث في المسجد الحرام، ذكر فيه لقاءه بالحافظ وروايته عنه ومقروآته عليه سنة حجته الثانية سنة ١٣٥١[1].

٣) **ألفية العلامة النحرير الفقيه أحمد بن الطيب الجاوزي الفاسي**[2] المتوفى في ٢٣ ربيع الثاني ١٣٢٤هـ، في ترجمة شيخه الإمام العارف بالله سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي الحسني رضي الله عنه، قال فيها ما نصه: «**خليفة أشياخنا مولاي عبد الحي الكتاني، أخو شيخنا من أب وأم رضي الله عنه**

السَّيدُ المَحْبُوبُ عبد الحَيِّ ... كَصِنْوِ شَيْخِنَا سَرِيُّ الحَيِّ
مَجْمَعُ الأَخْلَاقِ مَعَ الأَوْطَارِ ... طَلْعَةُ سَعْدٍ قَصْعَةُ الأَنْوَارِ
فِي فُلْكِ المَجْدِ وَسِرًّا أَوْثَقَا ... جَمَعَ أَشْتَاتَ عُلُومٍ وَارْتَقَى
بِهِ يَنَالُ غَيْرَ مَا أَمَانِ ... كَمْ مِنْ وُجُودٍ قَلَّدَ الأَمَانِي
وَكَمْ بِهِ بَدَا مِنَ التَّحْقِيقِ ... لَهُ الخِلَافَةُ بِذِي الطَّرِيقِ
وَالمَتْنَ وَالإِسْنَادَ كُلًّا احْصَى ... مَفَاخِرُ جَمَعَهَا لَا تُحْصَى

قلتُ: والعلامة أحمد بن الطيب الجاوزي من شيوخ الحافظ الذين تخرج بهم في العلم ولازم مجالسهم في مختلف الفنون الشرعية والآلية كما سيأتي.

---

(١) (ص٤، ١٩، ٢٠).

(٢) (ق ٣٨٩) ضمن مجموع بالخزانة الملكية بمراكش تحت رقم (٢١٣ك) ورقم عام ١٢٨٢٨.

٤) «**إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع**»؛ لتلميذه الأستاذ المؤرخ عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري ثُمَّ الفاسي[1]، ترجم الحافظ ترجمة مقتضبة على عادته في كتابه، وقيَّدَ وفاته باليوم والشهر، وأشار إلى أنه ترجمه في كتابه «سل النصال»، مع خلو النسخة المطبوعة من هذه الترجمة، وفي ترجمته له في «إتحاف المطالع» أمور لا تخفى على المطالع من النبز واللمز، ممتطيًا في ذلك الآراء السياسية والخلفية الحزبية الضيقة المقيتة التي كان أسيرًا لها.

٥) «**أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر**»؛ للعلامة الطيب المهاجي (ت ١٣٩٨-١٩٦٩)، ذكر لقائه بالحافظ وأخذه عنه ونص إجازته له، ولندرة الكتاب ولأهمية ترجمته للحافظ، ولكونه من جمعية العلماء التي تَطَرَّفَ بعض أعضائها في الافتراء على الحافظ؛ نُثبت نص ترجمته بالحرف، قال رحمه الله[2]: «ومن المجيزين لي مُحَدِّثِ المغرب بل والمشرق، حامل لواء السُّنَّة روايةً ودرايةً، الشَّيخ عبد الحي الكتاني الفاسي، سمعتُ منه أول «الموطأ»، وأوائل الصحاح الستة، و«الشمائل للترمذي»، وناولني كرَّاسة بها أسانيد الصحاح الستة، وكتب على ظهرها ما نصه: «قد سمع مني الأخ في الله حضرة العالم النحرير المدرس سيدي الطيب المهاجي نفعه الله ونفع به، آمين، أول الموطأ، وأوائل الصحاح الستة، والشمائل، والشفا، فأجزته بذلك وبجميع ما لي من مرويات ومقروآت ومسموعات ومجازات إجازةً

---

(١) (٥٧٨/٢).

(٢) (ص١٠٢-١٠٣) ضمن كتاب آثر وسيرة الشَّيخ الطيب المهاجي الجزائري تصنيف وترتيب أ الهواري ملاح.

مطلقة عامة، وبخصوص هذا الفهرس، قاله وكتبه محمد عبد الحي الكتاني الفاسي، عشرة من ذي القعدة عام ألف وثلاثمائة وتسعة وثلاثين». انتهى.

وَفَضْلُ الشَّيخ عبد الحي معروف، ومكانته العلمية مشهورة؛ تُغْني عن التعريف به وعن التنويه بشأنه، رحل رحلات متعددة إلى جهات مختلفة، وطاف على كثير من العواصم؛ كالحرمين الشريفين، والقاهرة، ودمشق، والأستانة، وبغداد، ودِهْلِي، ويُقرئ الدروس الراقية في كُلِّ عاصمة حلّ بها، وبالجملة فالشَّيخ عبد الحي من أكابر علماء عصره؛ كما يبرهن على ذلك مؤلفاته الناطقة باتساع دائرة معارفه في شتى العلوم، خصوصًا في علوم الحديث، فقد حاز فيها قصب السبق؛ تصحيحًا، وتحسينًا، وتضعيفًا، وترجيحًا، مع معرفة رجال هذا الشأن، وطبقاتهم، وتاريخ ولادتهم، ووفاتهم، ومع الاطلاع الواسع على كتب التعديل والتجريح، وما تضمنه من الألفاظ المصطلح عليها في قبول الراوي، أقلها لا بأس به، وهذه حقائق واقعية ليس في استطاعة أحد إنكارها، فمن الإنصاف والاعتراف بالفضل لذويه أن نحكي ما لهذا الرجل من مواهب ومعارف، وما اجتمع له من شرف العلم وشرف النسب، وما أوتيه من الجاه وعلو القدر ورفع المنزلة، ومتى كان ذلك أمرًا واقعًا ومُسلمًا لا ينازع فيه اثنان؛ فلا لوم يتوجه إلينا في حكايته من حيث الناحية العلمية، والله تعالى يتولى السرائر، وهو الذي يعلم المفسد من المصلح».

قلتُ: دخول السيد للآستانة وبغداد ودلهي كانت رغبة جامحة لديه، لكنها لم تتحقق من خلال ما وقفنا عليه، إلَّا أنه كان كثير المراسلة وتبادل الإفادة مع أهل هذه الأقطار.

٦) **«الأنوار الجلية بمختصر الأثبات الحلبية»**؛ للعلامة المؤرخ محدث حلب ومسندها الشَّيخ محمد راغب الطباخ الحلبي.

في هذا الكتاب إشارات عديدة إلى الحافظ، لخَّصها جميعًا العلامة السيد عمر بن الحسن الكتاني في كتابه «مطالع الأفراح والتهاني» [١]، ونشير هنا إلى ترجمته له في ذيل كتابه المذكور الذي ذكر فيه إجازاته مرتبة على تواريخها، فقد ترجم للحافظ [٢]، وذكر مبدأ التعارف بينهما، والمراسلات التي كانت بينهما أول هذا التعارف [٣].

ثُمَّ ذكر نص إجازته له، وقد كتبها له على إجازته المطبوعة بمصر، إلا أنه زاد له في آخرها اتصالاته بالأثبات الثلاثة التي اختصرها الشَّيخ محمد راغب الطباخ، وختم الترجمة بتعليق مطول في الثناء على «فهرس الفهارس» ومؤلفه، فقال [٤]: «وبالجملة؛ فإنَّ شيخنا نسخة من نسخ المتقدمين، وأعجوبة عظيمة للمتأخرين، حفظه الله وأمتع المسلمين بطول بقائه».

٧) **«الإرشاد بذكر بعض مالي من الإجازة والإسناد»**.

لتلميذه العلامة الفقيه القاضي الشَّيخ حسن مشاط المكي رحمه الله، ذكره ضمن شيوخه في ثبته هذا، وهو ثبته الصغير [٥]، فقال: «ومنهم العلامة

---

(١) (ص٥٣٨-٥٤٠).

(٢) (ص٥٨٢-٥٨٩) مكتبة شيخنا الشَّيخ نظام يعقوبي العباسي الخاصة بالبحرين.

(٣) ثم بقية المراسلات بينهما ممتدة وحافلة بالإفادات وبعض القسم المُرْسَلِ من الأستاذ الإمام محفوظ عنده ابنه الأستاذ يحيى الطبّاخ بحلب فرج الله عنها وعن أهلها، وقد زودنا بها مشكورًا جزاه الله عنا خير الجزاء، وقد أفردت مصنفًا يوثق العلائق العلمية بين هذين العلمين.

(٤) (ص٥٨٩).

(٥) (ص٥) مطبعة المدني القاهرة سنة ١٣٨٦.

الحافظ المحدث الجليل الشريف محمد عبد الحي بن سيدي عبد الكبير، صاحب «التراتيب الإدارية»، و«فهرس الفهارس والأثبات»، المتوفى يوم الثلاثاء الموافق جمادى الآخرة عام ١٣٨٢».

٨) «**الإجازة السامية للأسانيد العالية**»[١]؛ للعلامة الصوفي أبي الحسن الفاروقي الهندي.

ذكر فيه[٢] سماعه لحديث الأولية عن الحافظ، وهذا نص كلامه: «وأرويه عن من أحرز قصب السبق وجمع أسانيد الغرب والشرق، الحافظ الشَّيخ عبد الحي الكتاني الفاسي المغربي، وهو أول حديث سمعته منه، وأجازني بجميع تآليفه ومروياته، وحرَّرَ لي ذلك، وقد ذكر أسانيده في ثبته الحافل المشهور بـ«فهرس الفهارس»، وكان ذلك في أربعة عشر من شهر ذي القعدة، سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف بمصر القاهرة؛ لمَّا كان في طريقه إلى الحجاز للحج.

ثُمَّ ذكر فيه[٣] روايته لـ«صحيح الإمام البخاري» عن الحافظ.

٩) «**إتحاف ذوي العرفان بأسانيد عمر حمدان**»؛ لتلميذه وصاحبه العلامة الكبير الإمام محدث الحرمين الشريفين الشَّيخ عمر حمدان المحرسي التونسي ثُمَّ المدني رحمه الله تعالى.

---

(١) طبع بدلهي، وقفتُ على صورة منه في مكتبة صاحبنا الأستاذ محمد بن عبد الله الشعار حفظه الله، اشتراها من مكتبة مؤرخ دمشق ومسندها محمد رياض المالح، وهو مجاز من صاحب الثبت، رحمهم الله أجمعين.

(٢) (ص٦).

(٣) (ص٩).

روى فيه حديث الأولية عن الحافظ[١]، وذكر ثبته «فهرس الفهارس»، وأنه يرويه عنه، وزاد فقال[٢]: «وقد خصني - أبقاه الله تعالى - بجزيلة عظيمةٍ، وهو أنه أجاز كل من أجزته».

١٠) «**إتحاف ذوي العناية**»؛ وهو ثبت العلامة السيد محمد العربي العزوزي الإدريسي الحسني، أمين الفتوى في الجمهورية اللبنانية، ورئيس المجلس العلمي، ذكر شيخه الحافظ في ثبته «إتحاف ذوي العناية» لدى تعداده لشيوخه، فقال[٣]: «ومنهم - وهو أوْلاهُم وأعْلمُهم بعلوم السُّنَّة وطبقات الرِّجال - المُحدِّث المُسْنِد الرَّحَّالَة سيدي عبد الحي، بن المحدث الأشهر الولي الأكبر سيدي عبد الكبير الكتاني، قرأتُ عليه البخاري مرتين رواية ودراية، وصحيح مسلم، وجامع التِّرمِذي، ومعجم الطبراني، وموطأ الإمام مالك، وشمائل التِّرْمِذي، وأوائل بقية السنن والمعاجم والمسلسلات، وأجازني مرات إجازة عامة وخاصة».

وقد ذكر عدة إجازات له وَطِبَاق سماع له من السيد في ثبته[٤]، وذكر قراءته[٥] لجميع صحيح الإمام مسلم على الحافظ السيد، وقراءته لجميع جامع الإمام التِّرمِذي عليه[٦]، وذكر روايته[٧] للموطإ عنه، وروى

---

(١) (ص٧٢) ضمن كتاب الدكتور رضا السنوسي عن الشَّيخ عمر حمدان.

(٢) (ص٧٥) ضمن كتاب الدكتور رضا السنوسي عن الشَّيخ عمر حمدان.

(٣) (ص١٧).

(٤) (ص١٤١-١٤٧).

(٥) (ص١٤٩).

(٦) (ص١٩٢).

(٧) (ص١٩٦-١٩٧).

عنه[١] الأربعين المسلسلة بالأشراف في سنة ١٣٢٤، وفي الكتاب إشارات أخرى لشيخه الحافظ.

١١) «**أسباب التأليف من العبد الضعيف**»؛ للعلامة القاضي الأديب يوسف بن إسماعيل النبهاني، فقد ذكر فيه[٢] نص رسالة التعارف بين الحافظ وبينه، وفيها يطلب منه الإجازة لنفسه وعقبه، ولصاحبه العلامة المحدث القاضي الشريف محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي، وفيها يذكر أنه راسله سنة ١٣١٩، وقد طلب منه في هذه الرسالة الاستجازة له من العالمين؛ البيطار، وابن عابدين، وطلب منه إذنه في الاستجازة له من خاله، ووالده، وتاريخ الرسالة ٤ ربيع الثاني عام ١٣٢٣هـ، ثُمَّ ذكر بعد نصّ الرسالة أنه أجابه لطلبه، وطلب منه الإجازة لنفسه، ثُمَّ ذكر تقريظه لكتابه «شواهد الحق»[٣]، ثُمَّ ذكر اجتماعه به في بيروت سنة ١٣٢٤، وذكر شيئًا من ترجمة السيد، وذكر أخاه العارف الكبير السيد محمد بن عبد الكبير رحمه الله تعالى.

١٢) «**اقتطاف أزهار الحديقة فيما لمؤلفه من الشيوخ في علمي الشريعة والحقيقة**»؛ للعلامة الفقيه الفلكي الصُّوفي المحدِّث السيد إدريس بن محمد العابد العراقي الحسيني الفاسي، ترجم فيه لشيخه الحافظ[٤]، وذكر مقروآته عليه، وهي قسم من أوائل كتاب الموطإ للإمام

---

(١) (ص١٩٧).

(٢) (٢/٣٧٢-٣٧٣) آخر «جامع كرامات الأولياء» في الطبعة المصرية الأولى.

(٣) أثبتُّ نصَّه في كتابي «مقالات ومقدمات الحافظ الإمام السيد محمد عبد الحي الكتاني» يسر الله إكماله وطباعته.

(٤) (ص٢٥٦-٢٥٧).

مالك بن أنس رحمه الله، وثلث ألفية العراقي بشروحها، وتعليقات منه، كلاهما بالقرويين.

ورسالة الإمام القُشَيري بمنزله بعد العصر.

ثُمَّ ذكر قراءته عليه لمسلسلات ابن عقيلة، بعد استنساخه إياها من نسخة شيخه.

وذكر طبقة سماعه لمسلسلات ابن عقيلة بخطِّ شيخه المصنف، وفي الكتاب مواطن أخرى كثيرة ذكر فيها شيخه المصنف.

١٣) «**ارتشاق الرحيق من أسانيد عبد الله بن الصديق**»؛ من تخريج محمود سعيد ممدوح، ذكر فيه[١] روايته عن العلامة المؤرخ المحدِّث محمد راغب الطباخ الحلبي عن الحافظ، وصاحب الثبت من تلاميذ الحافظ الذين تشرفوا بالجُثُوِّ على الرُّكَبِ بين يديه، والاستنارة بعلمه والقراءة عليه، والرواية عنه.

والنزول شؤم كما يقول أهل الحديث رضوان الله عليهم، وَأَشْأَمُ منه التنكر للمشايخ والأساتذة، وأمَّا الافتراء عليهم والتنقيص من عالي مقامهم فدركة من الخذلان أخرى والعياذُ بالله، ولعلَّ هذا التصرف وقع من مُخَرِّجِ الثَّبَتِ دون المُخَرَّجِ له العلامة الشَّيخ عبد الله بن الحاج محمد الغماري، فقد رأيته في كثير من إجازاته يفتخر بالرواية عن شيخه الحافظ، بخلاف مُخَرِّجِ الثَّبَتِ الذي يفتري الأكاذيب، ويكتب الأراجيف؛ ليرفع من خسيسة قوم ويضع من عالي رتبة الإمام عبثًا.

---

(١) (ص٧٦).

١٤) **«الأحاديث المختارة في الأخلاق والآداب» المسمى: «الغرائب والوحدان»**؛ للشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، وقد بدأه بأول مثال للغرائب والوحدان في نظره واصطلاحه فقال:

«مثل حديث «ومن لغا فلا جمعة له»، وقع السؤال عنه عندنا بالمغرب، هل رواه أحد من أصحاب الكتب المسندة؟ وما رُتبته؟ وألَّف فيه الشَّيخ عبد الحي الكتاني رسالة سمَّاها «عقد اليواقيت والزبرجد في أن حديث ومن لغا فلا جمعة له مما نُقِّبَ عنه في الأخبار ولم يوجَد»، جزم فيها بأنه لا أصل له، معتمدًا على أنَّ الكُتُب المشهورة لم تذكره، ولم تُعرج عليه، وأطال في عد تلك الكتب، مع بيان المخطوط منها والمطبوع.

ثُمَّ وجدنا الحديث مُسندًا من حديث ابن عباس[1] بلفظه المسؤول عنه في «تاريخ واسط» للحافظ أسلم بن سهل الواسطي، الملقب ببحشل، أحد شيوخ الطبراني، وهو كتاب غريب، لم يقف عليه الكتاني، ولو وقف عليه لما كتب رسالته السَّابقة، ولما أكثر فيها من ذكر الكتب التي راجعها لأجل ذلك الحديث». اهـ كلامه

وقد اشتمل على مغالطات أبينها اختصارًا:

أولًا: لم يؤلف الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني كتابه بسبب سؤال ورد، بل لنازلة علمية ذكرناها في مقدمة «عقد الزبرجد»، فانظرها

---

(١) كتب المؤلف المذكور هنا تعليقا في حكاية تضعيف مجالد بن سعيد، ثم ذكر من وثقه ومن حسن حديثه، متجاهلاً من قبله من رجال الإسناد بقصد أو دونه، وقد علَّقْتُ على ذلك في مقدمة تحقيقي لـ«عقد اليواقيت والزبرجد».

معزوة لمصدرها، أمَّا ما عند الغماري فهو من التَّخَرُّص بالغيب والرجم به، ومن مخالفة قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[1].

ثانيًا: قوله بأنَّ شيخه الحافظ ألَّف فيه رسالة محلّ نظر، فالحافظ ألَّف في هذا الحديث بخصوصه مُجلَّدًا حافلًا.

والواقع أنَّ ما لأخيه أحمد وهو «تبين بلهه» هو الرِّسالة التي لا يتجاوز عدد صفحاتها أصابع اليد الواحدة، فكأنَّ الأمور اختلطت على الشَّيخ، فظنَّ ما لأخيه للحافظ، وما للحافظ لأخيه، وهو تصور خاطئ، ينظر بمقارنة ومقاربة العِقد الكتاني وتبين بله الغماري، فحَقِّقْهُ ولا تركن للتقليد.

ثالثًا: قوله بأنَّ الحافظ جزم في كتابه بأنَّ الحديث لا أصل له، غير صحيحٍ، ولا مطابق لحكم الحافظ في كتابه، ولتحقق من تسارع وتسرع الشَّيخ في حكمه هذا، أو قل على التحقيق: عدم وقوفه أصلًا على كتاب شيخه، وتخرصه عليه رجمًا بالغيب، على القاعدة الغمارية، انظر مقدمة تحقيقي لـ«عقد اليواقيت» في فصل أسميته «حُكْم الإمام الحافظ على زيادة ومن لغا»[2].

رابعًا: قَوْلُهُ بِأَنَّ شيخه جزم بأن تلك الزيادة لا أصل لها مُعتمدًا على أنَّ الكتب المشهورة لم تذكُره، مُخالف للواقع، فلم يقل ذلك البتة، وكتابه بين أيدينا، ولم يقتصر بالرجوع إلى الكتب المشهورة، بل راجع عليها عشرات الكتب التي ما رآها الشَّيخ الغماري ولا أخوه، ولولا أنه رأى

---

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) (ص٢٧-٢٩).

الحافظ وتشرف بالتتلمُذ عليه لقلنا بأنه ما رآها ولا رأى من رآها، ونحن نمثل لذلك بكتاب «الأحاديث المعللة» للإمام الحافظ الناقد أبي الحسن علي بن المديني رحمه الله، فهو من مصادر الحافظ في كتابه[1]، وقد صدر ولله الحمد بعنايتنا بدار الحديث الكتانية، ولم يتشرَّف الشَّيخ بتكحيل عينه به هو ولا أخوه من قبله.

خامسًا: قوله: «وأطال في عدِّ تلك الكتب، مع بيان المخطوط منها والمطبوع»؛ طامةٌ أكبر من أختها، فالكتاب بحمد الله قد صدر بعنايتنا وانتشر، وليس فيه مِمّا يدعي الشَّيخ أي أثر، ولتحقق ذلك انظر الفصل الذي عقده الحافظ للمُصنفات الحديثية والكتب الفقهية وغيرها التي طالعها بحثًا عن هذه الزيادة ولم يجدها فيها، وهي في مطبوعتنا من (ص١٦٣-إلى ١٦٨).

بل إنَّ وقت تأليف الحافظ لكتابه المذكور - وهو سنة ١٣٢٥ - كانت جلُّ تلك المصادر مخطوطة، أو في حكم المخطوط في طبعات هندية نادرة.

سادسًا: قوله: «ثُمَّ وجدنا الحديث مسندًا من حديث ابن عباس بلفظه المسؤول عنه في «تاريخ واسط» للحافظ أسلم بن سهل الواسطي الملقب ببحشل»؛ لا أدري هل وجده الشَّيخ في نسخة المكتبة التيمورية، أو وجده في النُّسخة الرصاصية التي اعتمدها وطار بها كُلَّ مطار شقيقه، فإن يكنه فتلك طامة علمية، ومُصيبة منهجية، تنادي على العلم والحديث والتحقيق بالسَّلام، وإن لا تكنه فنُسائل الشَّيخ هل قرأ الإسناد ونظر فيه، وتحقَّق

(١) (ص١٦٧).

من رجال إسناده، أو أنَّ شهوة الرد على شيخه الحافظ أنسته القواعد العلمية؟

سابعًا: قوله: «وهو كتاب غريب»؛ مخالفة منه لقول شقيقه الشَّيخ أحمد في «تبيين بلهه» الذي يقول فيه[1]: «هذا الكتاب ليس بغريب ولا نادر، بل هو متداول بين أهل الحديث، مشهور عند أهله...»، فتعارضَ قولهما، فيحتاج إلى جمع مُقلِّدِهما ومُدَّعِي العصمة فيهما بين قوليْ المعصومين عنده، فالأخ الأكبر ينفي الغرابة عن الكتاب، والأخ الأصغر يثبت الغرابة له، ولا ندري من نصدق؛ الأكبر أم الأصغر.

ثامنًا: علَّق الشَّيخ على كلامه بأنَّ في إسناد الحديث عند بحشل مجالد، والواقع أنَّ في الإسناد علل ثلاث، طوى الشَّيخ كشحه عنها، لأحد الاحتمالات الثلاثة: إما أن يكون عن جهلٍ بها، أو غفلة عنها، أو سكت عنها عامدًا لِيُبْقِيَ شهوة الرد على شيخه متَّقدةً، ونحن نبين ذلك اختصارًا، وإلَّا فمقدمتنا للعقد قد تكلَّفت ببيان ذلك[2] فنقول:

إنَّ في إسناده يزيد بن صالح، وهو مجهول الحال، ونحن نسائل الشَّيخ عن حاله، ومن حَسَّنَ حديثه، ومن وَثَّقَهُ، ومن روى عنه، بل ومن ذَكَرَهُ حتَّى.

ثُمَّ إنَّ شيخ يزيد بن هارون؛ العلاء بن راشد، مجهول لم يوثقه أحد، ونسائل الشَّيخ عن ذلك، أعلِمَه أم طواه قصدًا، ثُمَّ نسائله عن مخالفة هذا

(١) (ص٢٣٨) بنقدنا له.

(٢) (ص٥٤-٥٩).

المجهول الذي في إسناده إليه مجهول للحافظ الثقة عبد الله بن نمير، وقد رواه عنه على الصواب جماعات من الأئمة، منهم الإمام أحمد بن حنبل، والإمام أبو بكر بن أبي شيبة، وغيرهم ممن ذكرنا بعضهم في مقدمة دراستنا للعقد.

فهذه علل ثلاثٌ في إسناد هذا الحديث سكت عنها الشَّيخ عن جهلٍ أو غفلة أو شهوة.

تاسعًا: قوله: «ولو وقف عليه لما كتب رسالته السابقة»؛ فيه نظر، فقد وقفنا عليه ورأينا تلك الزيادة شاذّة، مخالفة لرواية الثقة الذي حَفَظ حديثه الثقات، ورووها كذلك عنه.

عاشرًا: قوله: «ولو وقف عليه لما كتب رسالته السابقة، ولما أكثر فيها من ذكر الكتب التي راجعها لأجل ذلك الحديث»؛ مخالفة ثانية منه لشقيقه الذي ادّعى في «تبيين بلهه»[1] أَنَّ الحافظ اقتصر على البحث في الكتب الستة ومختصراتها، والترغيب والترهيب، وانتهى به البحث إلى الجامع الكبير. فهو مما تعارض فيه الشقيقان، وقد سبقت الإحالة إلى ما رجع إليه الحافظ من المصادر، فانظره. وهذا الكتاب لم أُعَرِّج عليه حال طباعتي للعقد وتقديمي له، سهوًا مني، فناسب إلحاقه بما كتبناه في مقدمة «عقد اليواقيت والزبرجد» في بيان ما في كلام أخيه أحمد الغماري من أغلاط وأخطاء؛ ليكون القارئ منها على بال.

١٥) «**إرشاد النبلاء إلى إجازات العلامة رضى الله محمد المختار السوسي من الشيوخ والعلماء**»؛ جمع وتصنيف ونشر ولده الأستاذ

(١) (ص٣٢٢) مع نقدنا له.

رضى الله عبد الوافي المختار السوسي، وقد ترجم فيه للحافظ ضمن شيوخ والده الذين أجازوه وَفُقِدَتْ نصوص إجازاتهم له، فاستغرق ذلك من (ص٢٠٨ إلى ص٢١٥)، واستوفى فيها المواطن التي وقف على ذكر شيخ والده في كتبه، ثُمَّ ذكر قصيدة والده الواوية في مدح الحافظ، وما كتبه القاضي عبد الأحد بن الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني كمقدمة لهذه القصيدة في كناشته، وأثبت صور رسالة من والده لشيخه الحافظ.

١٦) «**إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان في أسانيد الشَّيخ عمر حمدان**»؛ للعلامة محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي، ترجم فيه للحافظ[1]، وذكر فيها أن شيخه الإمام عمر حمدان كان معيدًا لدرس الحافظ في الحرم الشَّريف الذي حضره جمع غفير من العلماء سنة ١٣٥١هـ.

وسيأتي الحديث عن حجة المُصنِّف الثانية سنة ١٣٥١، واحتفاء العلماء والكبراء به، ومجالسه الحديثية الحافلة التي عقدها بالحرمين الشريفين

١٧) «**التأليف ونهضته بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري**»؛ للأستاذ المقرئ المؤرخ عبد الله الجراري الرباطي، ترجم فيها للحافظ، وذكر فيها[2] تعريفًا موجزًا بالأستاذ الإمام ومشيخته، ثُمَّ تعريف بكتبه المطبوعة، وإشارة عابرة إلى بعض كتبه المخطوطة، ثُمَّ كلمة عن خزانته العامرة.

(١) (ص٥٢-٥٦).
(٢) (ص١٦١-١٦٤).

وفي الكتاب إشارات أخر للحافظ لدى تراجم أصحابه وتلاميذه والمرتوين من علومه، من ذلك قوله عن العلامة أحمد النميشي في ترجمته له [١]: «وَمِمَّا ساعده على تنمية معارفه اتصاله بالمرحوم السيد عبد الحي الكتاني، ولزوم خزانته الواسعة، والغُنية بمجلداتها العلمية ما بين مطبوع ومخطوط يندر وجودها في غيرها من المكاتب».

ومن ذلك قوله في ترجمة العلامة محمد بن أبي بكر التطواني [٢]: «كان السيد التطواني يأخذ بالمكيال الأوفى، بخاصة الفترة المديدة التي قضاها ملازمًا المرحوم عبد الحي الكتاني، وَمُنْكَبًّا على خزانته الفَيَّاضة والمليئة بنوادر المخطوطات، يلتهمها غائصًا في خضمها البعيد العمق، الشيء الذي خلق منه رجل البحث والاطلاع، وكوَّن منه مصدرًا حيًّا ومرجعًا هامًّا للكُتاب والباحثين؛ على اختلاف هواياتهم واتجاهاتهم الفنية».

١٨) «**تاريخ الشعر والشعراء بفاس**»؛ للعلامة الأديب الكاتب المؤرخ أحمد النميشي الفاسي. قال في مقدمته [٣]: «يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُقَدِّم خالص تشكراتي لسعادة الشريف العلامة الأستاذ مولاي عبد الحي الكتاني، إذ من روض خزانته البديعة اجتنيت زهر هذه المسامرة، والتقطت دررها، ناهيك بخزانة أَمِنَتْ أن يصير وِتْرُها شَفْعًا، وأن يَطْمَعَ أَحَدٌ في تَصْيِيرِ مُفْرَدِها جَمْعًا، بل صارت كعبة تحج لها الوفود من كل ناحية، ويقصدها سواح الأجانب من الجهات النائية، فيبهرهم ما يرون فيها من الذخائر، ويروقهم ما يبصرون من كل نفيس فاخر».

---

(١) (ص٧٣).
(٢) (ص١٠٤).
(٣) (ص٧-٨).

وفي الكتاب أيضًا إشارات أخرى للحافظ، منها [١] ذكر قصيدة للعلامة محمد العبّادي، أنشدها في موسم والد الحافظ.

ومنها [٢] ذكر قطعة من قصيدة الأديب عبد السلام الذويب، المتوفى برباط الفتح سنة ١٣٣٤ في مدح الحافظ.

١٩) «**تاريخ الوراقة المغربية**»؛ للعلامة المؤرخ البحاثة الشريف محمد بن عبد الهادي المنوني الحسني، أجرى للحافظ ذكرًا في كتابه بصفته كان صاحب ذوق خاص في الكتب حسب تعبيره، فقال [٣]: «ونستدرك هنا الإشارة إلى عالم مغربي تميز بخصوصية في عالم الوراقة، وكان هو محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني الفاسي (ت١٣٨٢/١٩٦٢)، فقد انفرد في الشمال الإفريقي بحس وراقي خاص، أكسبه معرفة واسعة بخطوط العلماء أندلسيين ومغاربيين ومشارقة، مؤلفين وسواهم، قدماء ومحدثين، لا يجارى في ذلك بين أهل عصره، ومؤلفاته وكتبه شاهدان ببعض ذلك».

٢٠) «**التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز**»؛ للعلامة الكبير الشَّيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري (ت١٣٧١)، ذكر فيه [٤] أنه سمع من السيد الإمام حديث الأولية، وقال فيه أيضًا [٥]: «و«فهرس الفهارس» للسيد محمد عبد الحي الكتاني، في مجلدين، أرويه عنه، وأجازني عامَّةً بعد أن سمعتُ منه المسلسل بالأولية بمنزل صديقنا حبيب الله الشنقيطي بقلعة مصر».

---

(١) (ص١٠٦).
(٢) (ص٩٧).
(٣) (ص٣١٦-٣١٧).
(٤) (ص٧). (٥) (ص٢٩).

٢١) «**تنشيط الفؤاد من ذكر الإسناد**»، وهو ثبت العلامة المؤرخ عبد الله بن محمد غازي الهندي ثُمَّ المكي، لم أقف على هذا الكتاب بعينه[١]، لكني وقفت على منتخب منه في «الرحلة الحجازية الثانية» للحافظ[٢]، وقد أثبت ترجمة الشَّيخ غازي له من هذا الكتاب، ونصها: «قال الشَّيخ عبد الله غازي الهندي المكي في معجمه: الشَّيخ الثالث عشر من أشياخي العلامة الفاضل والفهامة الكامل صاحب التآليف المفيدة والكمالات الجامعة، الفقيه المحدث، مولانا السيد عبد الحي بن العلامة السيد عبد الكبير الكتاني الفاسي، ذكر شيخنا الشَّيخ أحمد المكي رحمه الله ترجمته فقال: شيخنا السيد محمد عبد الحي الكتاني، ولد بفاس في يوم الجمعة عند أذان الجمعة سنة ١٣٠٣، واشتغل بطلب العلم سنة ١٣١٤، وحدَّثَ وما في وجهه شعرة، حتى إنه أراد بعض العلماء تلقي المسلسل بقبض اللِّحية عنه فقبض على ذقنه وليس فيه نبات، وأقبلت عليه الطَّلبة من كل جانب، وكاتب أهل الآفاق، وأجلسه والده وأخوه على السجادة الكتانية في سنة ١٣٢٢، وطاف بلاد المغرب، وتلقى منه كثيرون، وهو قائم بنشر جل الطرق الموجودة على وجه البسيطة، وله إذن وإلباس من أهل كل طريق شفاهًا ومراسلةً.

وتوجه للحج في ١٧ رجب عام ١٣٢٤، فدخل مصر في رمضان، ومن أجلِّ من تلقى عنه فيها مفتي الديار المصرية الشَّيخ بكري الصدفي،

---

(١) وسألت عنه حفيدته الأستاذة المؤرخة أماني غازي فأجابتني بأن الكتاب غير موجود عند ذرية الشيخ.

(٢) (ق١١).

وعالمها الشَّيخ بَخِّيت، بل وشيخه وشيخ محمد عبده في الفقه الحنفي حسين بن محمد منقارة الطرابلسي، مفتي عموم الأوقاف بمصر.

ودخلَ مكة في ٢١ ذي القعدة عام ١٣٢٣ اهـ، اجتمَعْتُ به في العام المذكور حين قدم مكة، وسمعتُ منه الحديث المسلسل بالأولية، وأجازني إجازة عامة بجميع ما يجوز له روايته لفظًا، وهو أخذ عن جماعة من المشايخ المشاهير، منهم والده، وأخوه السيد، وخاله السيد جعفر، وابن خاله...»، ثُمَّ عدد الأشياخ في نحو أربع ورقات. اهـ بنصه من الرحلة الحجازية الثانية للمصنف.

٢٢) «**التمهيد لأئمة التجديد**»؛ للإمام العلامة المعقولي المفسر المحدث عبيد الله بن الإسلام السندي الهندي المكي، قال فيه[١]: «عبيد الله، عن الشَّيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني المغربي المالكي، عن أبيه، عن الشَّيخ عبد الغني الدّهلوي عن........ عن الإمام عبد العزيز، عن الإمام ولي الله الدهلوي».

عبيد الله، عن السيد عبد الحي المالكي.

وقال[٢]: «ولما جاء الشَّيخ عبد الحي الكتاني المغربي المالكي إلى الحج سنة ١٣٥١، فصحبته وسمعتُ منه الحديث المسلسل بالأولية، وأجاز في ذلك المجلس الحاضرين بعموم رواياته، وكان الشَّيخ من حُفَّاظِ العصر».

---

(١) (ق١٦٣) نسخة جامعة السند، وقد أكرمني بها فضيلة الأستاذ صلاح بن عايض الشلاحي الكويتي جزاه الله خيرًا.

(٢) (ق١٦٣) هامش.

٢٣) **«الثبت الكبير»**؛ لتلميذه العلامة الفقيه المشارك المدرس حسن المشاط المالكي، أجرى ذكر الحافظ في شيوخه، وهو الشَّيخ السادس عشر[١]، فحلَّاه بحلاه، ونعته بنعوته وألقابه العلمية، ثُمَّ ذكر حجة السيد الثانية وملازمته له مدة مقامه بمكة المكرمة، وَحَدَّدَ داره التي كان نازلًا بها، وذكر أنه دعاه لداره، وأنه كان كل يوم يدعى لدى أحد علماء مكة، ويظل اليوم بكامله في المذاكرات العلمية، ويجيز في تلك الندوات الحديثية، ثُمَّ ذكر ما سمعه عليه أو منه، ثُمَّ ذكر مجلس شرحه لـ«لأوائل السنبلية» بالمسجد الحرام - مما سيأتي نقل نصه في فصل مفرد هنا بعدُ - وصفته ونعته، ثُمَّ تناوله كِتَابَيْ شيخه الإمام الحافظ السيد رضي الله عنه «التراتيب الإدارية» و«فهرس الفهارس» هديةً مقرونة بالإجازة.

٢٤) **ثبت الإمام المجاهد السيد أحمد الشريف السنوسي رحمه الله تعالى**، قال الحافظ في رحلته الحجازية الثانية[٢]: «وهو في مجلد وسط»، وقد ترجم لتلميذ جده المعمر الشَّيخ عبد الهادي العواد، فقال لدى ذِكْرِ الآخذين عنه: «ومنهم: ولي الله، العالم الشهير، والعلامة خادم الحديث النحرير، السيد الجليل الباذخ الأصيل، شريف الحسب والنسب، السيد عبد الحي بن السيد عبد الكبير الكتاني، أخذ عن السيد عبد الهادي، وعن والده السيد عبد الكبير، وقد تعرفنا بالسيد المذكور بالمكاتبة، فهو من المحبوبين المخلصين العالمين العاملين، ولا زال متمسكًا بطريق أستاذه سائرًا على منواله، وقد أفادني الشَّيخ المذكور أنه أَلَّفَ كتابًا في مناقب

(١) (ص١٧١-١٧٨).
(٢) (ق ٢٧).

سيدنا ابن السنوسي، وسماه: «المسلك المحبوب في صاحب جغبوب»، وله تآليف عديدة جليلة مفيدة، وقد أرسل إلينا من تآليفه، وصارت معرفة ومواصلة، ثبتنا الله وإياه على ما يحبه ويرضاه»[١].

٢٥) **«الثبت العالي الرفيع في إسناد أهل العلم والتوقيع»**، لتلميذه العلامة الشَّيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع النجدي ثُمَّ المكي، ترجم الحافظ ضمن شيوخه في ثبته المذكور[٢] فقال: «ومنهم: العالم الكبير، المُحَدِّث الشهير، حامل علم الإسناد في بلاد المغرب، الشَّيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، صاحب الثبت الكبير، المسمى بـ«فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات»، وهو ثبت عظيم قد حوى غالب الأثبات من القرن الثامن إلى عصرنا هذا، مع تراجم أصحابها، وهو مطبوع في مجلدين من القطع الكبير، وقد أجازني بجميع ما حواه وكتب عليه بخطه، وناولني إياه، وقد سمعتُ منه حَديث الرَّحْمَة المُسَلْسَل بالأَوَّلِية، ومُسلسل سورة الصَّف، وقد سمعت منه أيضًا النصف الأول من «الأوائل السّنبلية» بقراءة الشَّيخ عمر حمدان في المسجد الحرام، وقرأتُ عليه النصف الأخير منها بعد أن أمرني بذلك بمحضر جمع غفير من العلماء والعامة في المسجد الحرام».

٢٦) **«الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلان»**، للشيخ زكريا بن عبد الله بيلا، تضمن هذا الكتاب ترجمة للإمام الحافظ، تقع في المجلد الثاني منه (ص٥٨٠-٥٨١)، ومن الجديد فيها

(١) (ق٣١) من الرحلة الحجازية الثانية.
(٢) (ص٤٢) دار الصميعي.

تعيينه للمحل الذي انعقد به درس الحافظ في المسجد الحرام الشريف، والكتاب المقروء، ومعيد الدرس، وحضوره هو للدرس، وقد ذكر صفة المجلس ومحلّه أيضًا في ترجمة والده الشَّيخ عبد الله بيلا من الجزء الأول (ص١٦٣).

وفي الكتاب إشاراتٌ كثيرةٌ تتّصلُ بترجمة الحافظ، غالبها في ذكر الآخذين عنه، وهم في كتابه بالعشَرات، ونظرًا لكون كتابنا «معجم الآخذين عن الإمام الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني الحسني والمُرْتَوِيين من علومه» قد تكفَّلَ بإحصاء من وقفنا عليه من أسمائهم، فإننا نكتفي هنا بهذه الإشارة فقط، مع تسجيل أنه احتفظ في ترجمة العلامة محمد بن عوض بافضل[1] بخبر لطيف وظريف، وهي سماع الأخير مع جماعة من الإمام الحافظ في جوف الكعبة المشرفة، وهذا الخبر ذكره أيضًا الإمام الحافظ في كتابه «المدخل إلى كتاب الشفا»[2].

٢٧) **«جامع كرامات الأولياء»**؛ للعلامة القاضي الأديب يوسف بن إسماعيل النبهاني، ترجم للحافظ ضمن ترجمة أخيه العارف السيد محمد بن عبد الكبير[3]، وذكر لقاءه به، وسجل عنه كرامته التي حصلت له في سبيل تحصيله نسخة «مسند الإمام الدارمي»[4]، وذكر أيضًا بعض نوادر الكتب والخطوط التي رآها عنده، وسجل من مذاكراته معه، وقيَّدَ كرامةً له

---

(١) (٢/٤٦٣).

(٢) (ص٢٣٨-٢٣٩) بعنايتي.

(٣) (١/٢٢٧-٢٢٩) الطبعة الأولى.

(٤) وفقنا الله لإخراجها مصورة طبق الأصل، مع دراسة موسعة عنها لكاتبه، وصدرت في حلة قشيبة في دارنا دار الحديث الكتانية.

شاهدها رفيقه في رحلته للحج العلامة الأديب محمد الصّادق الجبالي التونسي رحمه الله، ثُمَّ ذكر مولده ومولد أبيه وأخيه، وختم الترجمة بثنائه البالغ عليه مع كونه في سنّ إحدى وعشرين عند لُقِيّه له، وسنقتطف من ثنائه عليه في الفصل المفرد لذلك بعدُ.

وفي الكتاب إشارات أخرى للحافظ، فقد روى عنه كرامة للعارف الكبير سيدي المختار بن أحمد الكنتي[1].

٢٨) **«الدليل المشير إلى فلك الاتصال بالبشير النذير»**؛ لتلميذه العلامة القاضي السيد أحمد بن أبي بكر الحبشي المكي رحمه الله تعالى.

في الكتاب ترجمة للسيد الإمام طويلة[2]، جلّها مأخوذ من «مقدمة فهرس الفهارس» لولد الحافظ السيد العلامة الأديب القاضي سيدي عبد الأحد، ومن «فهرس الفهارس» نفسه، سوى ذكره لرحلة الحافظ الحجازية الثانية وأخذه عنه، فقال[3] عن أخذه عنه: «اجتمعت بشيخنا المترجم لَمَّا جاء إلى مكة سنة ١٣٥١، وحضرت كثيرًا من مجالسه، وكان أول اجتماع لي به بدار مضيفه شيخنا العلامة الشَّيخ عمر حمدان يوم الثلاثاء ثاني ذي الحجة الحرام من العام المذكور... ثُمَّ ذكر ما أخذه عنه، ومن ذلك: الحديث المسلسل بيوم العيد بمنى، ثُمَّ ذكر نصّ إجازتين كتبهما له السيّد، وثالثة كتبها على ظهر كتابه «منح المنة» المطبوع.

---

(١) (٢/٤٦٠) ط دار الجيل.

(٢) (ص١٤٨- ١٧٥).

(٣) (ص١٦٩).

قلت: وفي الكتاب أيضًا معلومات عن الحافظ والآخذين عنه من شيوخه، تنظر ترجمة العلماء الأعلام: محمد الطيب المراكشي[١]، وترجمة السيد محمد أمين كتبي[٢]، وترجمة عبد الله غازي المكي[٣]، وعمر بن أبي بكر باجنيد[٤]، والسيد عيدروس بن سالم البار المكي[٥].

٢٩) **«دليل الحج والسياحة»**؛ للقاضي أحمد بن محمد الهواري، في الكتاب عدة إشارات مهمة للحافظ، فأولها[٦] إثباته لرسم الحافظ داخل مكتبته العامرة، تلك الصورة المشهورة التي نشرت مع مقالة العلامة محمود شاكر في المقتطف.

ثُمَّ قال[٧]: «وقبل ختام هذه الكلمة نقول: إننا وجدنا في جميع الدوائر العلمية التي زرناها ذكرًا جميلًا لِمَا تركه من التِّذْكَار الحسن في الديار المصرية فضيلة الشَّيخ الأكبر ومحدث الديار المغربية العلامة الجليل الشَّريف الأصيل مولانا عبد الحي الكتاني، الذي رأى في شخصه المصريون فردًا نادرًا من عظماء رجال الحديث..».

---

(١) (ص١١٥).
(٢) (ص٣٩٩).
(٣) (ص٢٢٠).
(٤) (ص٢٩٦).
(٥) (ص٣٢١).
(٦) (ص٧٠).
(٧) (ص٧٣).

وقال لدى حديثه عن المكتبة التيمورية[١]: «ومن عناية صاحبها المرحوم أنه كان يكاتب بعض أصحاب المكاتب الشَّهيرة بالمغرب الأقصى في شأن ما عنده وما عندهم من الكتب، ويعتني بجلب كثير من الآثار المغربية الإسلامية إليها،...... وكذلك وقفنا فيها على صور بعض كبار علماء المغرب، الذين كان يعتمدهم في عمارة خزانته، ويربط معهم أوصار المودة ووصلة العلم والآداب، منهم على الترتيب الذي وجدناهم عليه شيخ المحدثين الرجل العظيم الذي أحيى للمغرب في مصر ذكرًا خليقًا به الشريف الجليل مولانا عبد الحي الكتاني».

ثُمَّ أثبت نصَّ تقريظ الحافظ لكتابه، وهو نفيس جدًا، عرف فيه بأشهر كتب الرحلات الخطية التي احتوت عليها مكتبته العامرة، أو رآها أو اطلع عليها[٢]، وقد غدا هذا التقريظ مصدرًا لكثير من الباحثين كما ذكرناه في كتابنا «مقالات ومقدمات الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني».

٣٠) **«ديوان شاعر فاس العلامة الأديب عبد الرحمن بن جعفر الكتاني»**؛ جمع وترتيب الدكتور مولاي علي الكتاني، فيه قصيدة له سمَّاها «الجوهر النفيس في النسب الكتاني النفيس»، وممّا يتصل بالحافظ قوله فيها[٣]:

وَعَابِدُ الحَيِّ هُمَامٌ فَاضِلُ ... بِفَضْلِهِ قَدْ شَهِدَتْ دَلَائِلُ
وَبِرِوَايَةِ الحَدِيثِ قَدْ عُنِي ... وَجَدَّ فِي تَحْصِيلِهِ وَلَمْ يَنِ
وَكُتُبٌ فِيهِ لَهُ عَدِيدَهْ ... كَأَنَّهَا جَوَاهِرُ فَرِيدَهْ

---

(١) (ص٧٧).
(٢) (ص٢٩٢-٢٩٧).
(٣) (ص٦٦).

لَـهُ شُيُوخٌ جَمَّـةٌ بِـالمَغْرِبِ ... يَسْمُو بِهِم فَخْرًا لِأَعْلَى مَنْصِبِ

وَقَدْ أُجِيزَ مِن شُيُوخِ المَشْرِقِ ... فَبَـدْرُهُ بِـذَاكَ أَبْهَـى مُشْـرِقِ

وَعِنْـدَمَا حَـجَّ أَخُـوهُ اسْـتَخْلَفَهْ ... عَلَـى التَّلامِيـذِ فَنَـالَ شَـرَفَهْ

وله فيه قصيدة كتبها له لما جاءه مهنئًا بقدوم أخيه من الحج سنة ١٣٢١، انظرها فيه[1]، وله قصيدة أخرى في مدحه[2].

٣١) **«ديوان العلامة الأديب المحدث السيد محمد الناصر بن محمد الزمزمي بن الإمام محمد بن جعفر الكتاني»**، في هذا الديوان قصيدة نظمها برغبة شيخه الحافظ في موسم والده الإمام العارف سيدي عبد الكبير، قال[3]: «رغب إِلَيَّ المحدث المؤرخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني أن أنظم في ذكرى أبيه قصيدة بمناسبة موسمه الذي يقيمه له كل سنة منذ وفاته، فقلت هذه القصيدة، وقمت خطيبًا بها في داره يوم الموسم في الخزانة الكتانية»، وفيها يقول في آخرها:

وَفِي ابْنِكَ يَا عبد الكَبِيرِ رَجَاؤُنَا ... عَلَى مِثْلِهِ هَـذِي الأُمُورُ تَـدُورُ

٣٢) **«معجم المطبوعات المغربية»**؛ للعلامة الفقيه الأديب المؤرخ السيد إدريس بن الماحي القيطوني الإدريسي الحسني، ترجمه ترجمة نفيسة[4]، انفرد فيها بذكر تاريخ مولد شيخه الحافظ سنة ١٣٠٠[5]، ثُمَّ وصف الشَّيخ الإمام وعلومه ومعارفه ومجالسه وأسفاره، والبلدان التي

(١) (ص٩٥-٩٦).
(٢) (ص٩٦-٩٧).
(٣) (ص٤٥).
(٤) أراه تصحيفًا من الطبع وما أكثره في مطبوعة الكتاب.
(٥) (١٥٤٦/٢).

دخلها، ومكتبته، ثُمَّ قائمة بمؤلفاته التي لم تطبع، ثُمَّ تاريخ وفاته، ثُمَّ ذكر تسعة كتب للحافظ طبعت، وعرَّف بمحال طبعها، وعدد صفحاتها، ثُمَّ قائمة بمصادر ترجمته.

٣٣) **«معجم المطبوعات العربية والمعربة»**؛ للأستاذ يوسف إلياس سركيس المصري[1]، وقد خلط بينه وبين أخيه الإمام العارف سيدي محمد رحمه الله؛ فذكر له من كتب أخيه ضمن ترجمته «الحكم»، و«خبيئة الكون»، و«الكمال المتلالي»، و«لسان الحجة»، و«لقطة العجلان»، على أنها له وهي لأخيه، فظنهما واحدًا لكون كل منهما يسمى محمدًا، إلّا أنّ السيد اسمه مركب من الاسم الشريف وعبد الحي، بخلاف أخيه فاسمه مفرد، وقد ذكر من مؤلفات السيد «الرَّحْمَة المُرْسَلَة»، و«السر الحقي الامتناني»، و«منية السائل»، - وتصحف عنده إلى فنية -، و«المفاكهة».

وكان قد طبع من مؤلفات السيد وقت طباعة الأستاذ سركيس لكتابه عدة كتب أخرى، هي: «اليواقيت الثمينة»، فقد طبع سنة ١٣٢٩ بالجزائر، و«البيان المعرب في بعض ما ورد في أهل اليمن والمغرب»، فقد طبع على الحجر بفاس قبل سنة ١٣٣١هـ، و«الإجازة الصغرى»، فقد طبعت بمصر سنة ١٣٢٣ سنة حج السيِّد الأولى.

٣٤) **«موجز ثبت الدرر الغالية في رواية الأسانيد الدمشقية العالية، وإثبات بعض الأحاديث والمسلسلات المتصلة بالعلماء والمحدثين الثقات»**؛ للشيخ المسند محمد صالح بن أحمد الخطيب القادري الحسني

(١) (١٥٤٦/٢).

الدمشقي، طبع بدمشق في المطبعة الهاشمية سنة ١٣٩٠، قال في ثبته هذا[١]: «رقم ٨٢: المجيز لمشايخي، السيِّد محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني (١٢٩٠-١٣٨٠) - كذا وقع عنده، وهو خطأ في المولد والوفاة كما سبق ويأتي - مؤلف «ثبت الأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات»، حضرتُ درسه العام في الجامع الأموي في دمشق سنة ١٣٥٢ بعد حجته الأخيرة، وقد أخذ عن خمسمائة شيخ، وسمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية إلى سفيان بن عيينة، وأول حديث في «صحيح الإمام البخاري»، وآخر حديث فيه بأسانيده المتصلة إلى رسول الله ﷺ، ومن مشايخه والده السيد عبد الكبير، والسيد محمد أبو النصر الخطيب، والسيد عبد الله السكري، والسيد حامد بن الشهاب أحمد العطار وغيرهم.

وقد سبق[٢] أن ذكر «فهرس الفهارس»، فذكر أنه يرويه عن مصنفه بواسطة العلامة السيد محمد المكي بن السيد محمد بن جعفر الكتاني، ثُمَّ ذكر[٣] روايته لحديث الأولية عنه.

وروى[٤] كتابه «الأوائل الكتانية» عن أربعة من شيوخه عنه، وهم السيد محمد هاشم رشيد الخطيب الحسني، والسيد سهيل بن عبد الفتاح الخطيب الحسني، والسيد المكي الكتاني، والسيد محمد بن أحمد الهاشمي، أربعتهم عن الحافظ مؤلفها.

---

(١) (ص١٤).
(٢) (ص٥).
(٣) (ص١٧).
(٤) (ص٤١).

٣٥) «منتخبات التواريخ الدمشقية»؛ للمؤرخ محمد أديب تقي الدين الحصني الدمشقي، ذكر في الخاتمة أسماء مجيزيه، فقال[١]: «وقد أجازني العلامة النحرير والمحدِّث الشَّهير الحافظ لجميع الأسانيد السيد السند عبد الحي الكتاني الشريف، ثُمَّ ذكر نصّ إجازته له[٢]، وهي الإجازة الصُّغرى المطبوعة بمصر، ووقع في المطبوع تحريف وتصحيف، فالأول في تاريخ الإجازة حيث رسم ١٣٢٩، وهو بلا شك سنة ١٣٢٤، ووقع اسم والد الحافظ عبد الكريم، وهو عبد الكبير.

٣٦) «المعجم الأصغر»؛ للشيخ أحمد بن الحاج محمد بن الصديق الغماري دفين القاهرة، قال في مقدمته[٣]: «أما بعد: فهذا معجمٌ صغيرٌ جمعت فيه أسماء شيوخ الإجازة خاصة، دون شيوخ الأخذ والتلقي....»، قلت: وقد ذكر فيه من ذكرهم في «المعجم الوجيز» و«البحر العميق» مع زيادات، فممن ذكرهم:

شيخ والده ومجيزه الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني، ونصّ ترجمته له[٤]: «عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، يروي عن نحو مائة وسبعين شيخًا[٥]، يطول ذكرهم، وهم مذكورون في أول «فهرس الفهارس

---

(١) (١٣١٤/٣).
(٢) (١٣١٨/٣).
(٣) (ق٢) من نسخة مصورة بخطه.
(٤) (ق٢٠) نسخة مصورة بخطه.
(٥) الواقع أنَّ الإمام الحافظ يروي عن نحو خمسمائة شيخ، فقد قال في مقدمة «فهرس الفهارس» (٥٨/١): «تسمية بعض من رويت عنه في هذه العجالة من أهل المشرق والمغرب، ولم أقصد استيفاءهم أو حصرهم، فإنَّ عدد من =

والأثبات» له، وهو مطبوع في مجلدين، ولي مستخرج عليه مع ترتيبه وتهذيبه».

قلت: ولا أعلم ماذا يعني بالمُستخرج، فللشيخ اصطلاحٌ خاصٌ به خالف به الأولين والآخرين، كما بينته في مقدمة «عقد اليواقيت والزبرجد»[1].

تنبيه: كثير من شيوخ صاحب المعجم من الآخذين عن السيد، إلَّا أنَّ صاحب المعجم يتعمد طَيَّ ذلك، ونحن نذكر أسماءهم هنا للفائدة، وتفاصيل أخذهم عن الحافظ، تنظر في كتابنا «معجم الآخذين عن الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني رحمه الله».

١) أحمد رافع الطهطاوي.

٢) بسيوني عسل القرنشاوي، تدبَّجَ مع الحافظ.

٣) بهاء الدين القاوقجي.

= رويت عنه أو كتبت أو كاتبته على البعد نحو الخمسمائة نفس، بين رجال ونساء بمكة والمدينة وبيت المقدس ومصر والإسكندرية ودمشق ورملة وفلسطين وبعلبك وبيروت وطندتا ودمياط ونابلس واصطنبول وبغداد وبلاد الهند والسند واليمن وفاس ومراكش وزرهون ومكناس وسلا والرباط وآسفي وطنجة وبجعد وجبال الهبط والقصر ودمنات وسوس وشنقيط وبلاد الصحراء ووجدة وتازا وتلمسان ومازونة ومعسكر ومستغانم والبليدة والمدية والجزائر وبوسعادة وبرج بوعريريج وقسمطينة وتونس والقيروان والمنستير وسلمان، وغيرها من بلاد الله شرقا وغربا» وقد بلغت بهم في كتابي «معجم شيوخ الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني ومروياته عنهم» قريبًا من ذلك العدد، والله ولي التوفيق.

(١) (ص٧٨-٨٠).

٤) زاهد بن الحسن الكوثري.

٥) عبد الله غازي الهندي ثُمَّ المكي.

٦) عبد الجليل بن سليم الدرا الدمشقي.

٧) عبد الستار بن عبد الوهاب الصديقي الهندي ثُمَّ المكي.

٨) عبد القادر شلبي الطرابلسي.

٩) عبد المجيد بن إبراهيم الشرنوبي، أخذ عنه تدبّجًا.

١٠) علي بن حسين بن إبراهيم المالكي المكي.

١١) عمر حمدان المحرسي، وهو عمدة صاحب المعجم في العلوم الحديثية، وأكثر من قرأ عليه من مجيزيه، وعمدته في الفنون الحديثية هو الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني.

١٢) فتح الله بن أبي بكر بناني الرباطي، تدبَّجَ معه الحافظ سنة ١٣١٩.

١٣) كمال الدين القاوقجي، سمع منه صاحب المعجم حديث الأولية، وهو سمعها من الحافظ الكتاني سنة ١٣٢٣.

١٤) والده محمد بن الصديق بن أحمد بن عبد المؤمن الغماري، سمع من الحافظ وأجيز.

١٥) محمد إمام السقا، تدبَّجَ مع الحافظ.

١٦) محمد بخيت المطيعي، تدبَّجَ مع الحافظ.

١٧) محمد بن الجيزاوي الوراقي، تدبَّجَ مع الحافظ.

١٨) محمد بن محمد زباره اليمني.

١٩) يوسف بن إسماعيل النبهاني، تدبَّجَ مع الحافظ سنة ١٣٢٣.

٢٠) أم البنين آمنة بنت عبد الجليل الدرا، سمعت من الحافظ سنة ١٣٢٤، وجدَّد لها الإجازة سنة ١٣٥٢.

فهؤلاء عشرون شيخًا من تلاميذ وأصحاب الحافظ، يروي صاحب المعجم بواسطتهم عن الحافظ، فهو إذا تلميذه وتلميذ تلاميذه، فاعلمه.

ثم أوقفني أخي المحدّث المسند البارع الشَّيخ أحمد بن عبد الملك عاشور المدني حفظه الله ورعاه، على ترجمة السيد في كتاب الغماري «البحر العميق»[1]، إلّا أنه دلسه فيها تدليسًا موهمًا، ونحن نثبت نَصَّ الترجمة، ثُمَّ نعلق عليها بما يكشف ظُلْمَةَ التَّدْليس والتَّعْمِية المقصودَة:

«العلامة المسند الراوية أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الإدريسي الزواوي، طلب العلم ببلده على والده وجماعة، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام فأخذ بها عن جماعة؛ كأحمد البرزنجي، وفالح الظاهري، وعلي ظاهر الوتري، وحسين بن محمد الحبشي، ومحمد أمين رضوان، وعبد الله بن درويش السكري، وعبد الجليل برادة، وعبد الرحمن الشربيني، وسليم البشري وغيرهم، قدم إلى القاهرة، وأنا بها سنة إحدى وخمسين، وأجاز لي إجازة عامة، رحمه الله».

(١) (٤١٢/١).

وقد اشتملت الترجمة على تدليسات نبينها:

الأول منها: تغييره كنية السيد المشهورة إلى كنية له يصح أن يُكْنى بها، وهي أبو عبد الله، لأن اسمه محمدًا، وقد جرت العادة بتكنية من اسمه محمدًا أبا عبد الله، قال الحافظ السيد أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي الحسيني في كتابه «تحفة الأحباب في الكنى والألقاب»[1]: «ثُمّ أطلق على الاسم الكريم (محمد) في الاصطلاح العرفي الكنية بأبي عبد الله، باسم أبيه».

والثاني منها: نسبة الحافظ لوالد جده، فهو محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد، فطوى من نسبه تسمية والده وجده ونسبه لوالد جده.

والتدليس الثالث نسبته السيد لزواوة، نسبة لجده الأعلى السيد يحيى بن عمران بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى بن محمد الإمام إدريس رحمهم الله تعالى، الذي بويع بزواوة، ولقب بأمير النّاس وبالكتاني، فجرى اللقب على عقبه من بعده، لأنه أول من جيش بخيام الكتان، وكانت تستعمل من صوف أو شعر، فدعي بالكتاني لهذا السبب، انظر في ذلك «المظاهر السامية»[2] للسيد.

وباقي الترجمة يدلُّ على السيد، إلى أنَّ قوله ورحل إلى الحجاز... فأخذ عن... علي بن ظاهر الوتري، محلّ نظر، فإنَّ السيد أخذ عنه مكاتبة من المدينة المنورة إلى فاس، وعندما حجَّ السيد سنة ١٣٢٣ كان مجيزه

(١) (ص٢٥).
(٢) (ق١٢-١٣) نسخة مكتبة الدار البيضاء.

السيد علي بن ظاهر الوتري قد توفاه الله تعالى قبلها بسنة، كما هو معلوم من ترجمته.

والموطنُ الثاني الذي يستدرك به على الغماري أنه ذكر في كتابه «البحر العميق»[١] أنه تشرف بلقاء السيد قبل اللقاء الذي أرَّخ له في ترجمته له، وهو سنة ١٣٤١، أي: قبل عشر سنوات من لقائه بالحافظ في القاهرة، وهو في طريقه لحجته الثانية، وملازمته له ولخدمته مدة بقائه في القاهرة.

٣٧) **«النبذة اليسيرة النافعة التي هي لبعض جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة»**[٢]؛ لابن خالته وابن عمه الإمام شيخ الإسلام المحدث الفقيه الصوفي المؤرخ السيد محمد بن جعفر الكتاني، ترجمه فيه ترجمة مختصرة، وأثنى عليه ثناء عاطرًا، وحلَّاه بحُلاه، ونعته بنعوته، وتبركًا بكلام هذا الطود الراسخ والجبل الشَّامخ أسوق نصَّ ترجمته بلفظه، قال رحمه الله تعالى: «وخَلَّفَ - أي السيد الإمام عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه - ولده الشَّهير المحدث الكبير العلَّامة الماهر التاريخي النسَّابة الباهر، ذا التآليف الكثيرة، والفوائد الغزيرة، والنكات العجيبة، والاستنباطات الغريبة، الحاج[٣] الأبر أبا عبد الله مولانا محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، أخذ عن والده وأخيه الأكبر منه، وعن غيرهما من الشُّيوخ،

(١) (٦٢/١).
(٢) (٢٢٢-٢٢٣).
(٣) لعل كلمة الحاج سبق قلم من مؤلف الكتاب، فقد اصطلح أهل المغرب على أن لا ينعت بكلمة الحاج من حج من الأشراف، فلذلك حذف هذه الكلمة العلامة القاضي سيدي عبد الأحد في مقدمته لفهرس الفهارس لما نقل من «النبذة اليسيرة».

واستجاز عددا كثيرًا من الأكابر وأهل الرُّسوخ، وحج البيت الحرام، وحصلت له شهرة كبيرة بمصر والحجاز والشام، واستجاز هناك واستفاد، كما أنه حدث وأجاز وأفاد، وهو حيٌّ لهذا العهد، وفقه الله وأرشده وأدام النفع به، آمين».

٣٨) **«نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف»**؛ للعلامة المُستجيز من الحافظ مراسلة مؤرخ اليمن السيد محمد بن محمد زبارة الصنعاني، نقل منه في ترجمة الإمام الحافظ اللغوي النسابة السيد محمد مرتضى الزبيدي، فقال[١]: «وترجمه شيخنا مسند البلاد المغربية وحافظها المعاصر السيد عبد الحي بن عبد الكبير في كتابه «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات» فقال... ثُمَّ قال: «وجامع هذا المعجم والتراجم يروي مؤلفات صاحب الترجمة وما اشتملت عليه ألفية السند، وإجازاته في العلوم العقلية والنقلية بطريق الإجازة العامة بتاريخ شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٥ للهجرة من شيخنا «فهرس الفهارس والأثبات» المطبوع في جزءين بمدينة فاس سنة ١٣٤٧»».

٣٩) **«اللؤلؤة الفاشية في الرحلة الحجازية»**؛ وهي وقائع رحلة الإمام السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني، جمعها العلامة عبد السلام بن محمد بن المعطي العمراني السرغيني. في الرحلة المذكورة عدد من المعلومات والفوائد النفيسة عن الحافظ وسيرته.

(١) (٩٣١/٢ - ٩٣٢).

١) فمنها: ما دوَّنه مؤلفها[1] من سماعه شيخه الإمام العارف السيد محمد بن عبد الكبير يثني الثناء الباهر على شقيقه الحافظ، وشهادته له بالحفظ والإتقان والتحرير في علوم الحديث، وأنه بلغ رتبة الأقدمين، وأن تآليفه اليوم تبلغ السّبعين، كلها في غاية التحقيق والتدقيق.

٢) وقد أثبت نصّ رسالة وإجازة شقيق الحافظ له، وقد كتبها له في مدينة طنجة قبل مغادرته للحجاز[2]، وفيها ثناؤه البالغ عليه.

٣) وذكر فيها وصول مكتوب من الحافظ للفقهاء والعلماء الذين في ركاب أخيه وشقيقه، وهو في مكة المكرمة بتاريخ ١٨ رمضان المعظم سنة ١٣٢١[3].

٤) وفيها أيضًا أنهم استجازوا للحافظ من العلامة بركة الحجاز العارف أبي علي حسين بن محمد الحبشي المكي[4].

٥) وفيها ذكر زيارة شيخه العارف السيد محمد بن عبد الكبير للعارف السيد حسين بن محمد الحبشي، وطلبه الإجازة منه لابنه السيد محمد المهدي ولشقيقه الحافظ[5].

٦) وأثبت نصّ رسالة من شقيق الحافظ، وجهها لوالدهما الإمام السيد عبد الكبير الكتاني، وفيها يسلم على الحافظ[6].

---

(١) (ص١١٣).

(٢) (ص١٣٢-١٣٦).

(٣) (ص٢٠١).

(٤) (ص٢١٠).

(٥) (ص٢٣١).

(٦) (ص٢٤٩).

وهنا أشير إلى أن صاحب الرحلة لم يقيد كُلَّ ما وقع في رحلة شيخه من المجريات واللقاءات، إذ أننا نعلم أنّ العارف الإمام السيد محمد بن عبد الكبير استجاز لشقيقه من عدد من العلماء دون السيد حسين الحبشي الذي ذكره المؤلف، وقد استوفاهم الحافظ في ثبت خاص سماه «مطية المجاز إلى من لنا بالحجاز أجاز»، وأشار إلى بعضهم في ثبته «النجوم السوابق الأهلة في من أجاز لي أو كتب لي من الأجلة».

٤٠) **«رحلة الأمير محمد علي باشا في شمال إفريقيا»**[1]؛ قال فيها سمو الأمير محمد علي باشا رحمه الله تعالى: «وفي منتصف الساعة الرابعة مساء ذهبنا لزيارة الشَّيخ السيد عبد الحي الكتاني، وهو من سلالة عائلة قديمة من مراكش، عُرفت بالعلم والإمارة، وكان أحد أفرادها أميرًا على هذه البلاد، وقد سبق لهذا الشَّيخ الإقامة[2] في القاهرة في عهد حكم شقيقي[3]، وَذَكَّرَني ببعض الأصدقاء من علماء مصر، وهو يسكن على مسافة نصف ساعة من فندقنا، وبالقرب من جامع الأندلس[4].

وكثيرًا ما سَمِعْتُ بأهمية مكتبة هذا العالم، مما زاد شوقي إلى زيارته لاهتمامي بالكتب القديمة والمنسوخات الأثرية، فكان سروري عظيمًا

---

(١) (ص٤٧- ٤٩) طبعة ١٣٤٣ /١٩٢٥م.

(٢) في مروره للحج ذهابًا وإيابًا، فدخوله الأول للديار المصرية سنة ١٣٢٣ في رمضان منها، ثم عاد بعد الحج سنة ١٣٢٤، وقد كتب الإمام الحافظ رحلة حجته هذه، إلاّ أنّنا لَمْ نَقِفْ منها إلاّ على أوراق من مسودتها.

(٣) هو الملك عباس حلمي الثاني، ولد سنة ١٢٩١، وتوفي سنة ١٣٦٣، راجع ترجمته ومصادرها في «الأعلام» للزركلي (٣/٢٦٠-٢٦١).

(٤) هي داره بحي سيدي أبي جيدة العامرة بفاس.

عندما علمت بمكتبته، إذ لا يوجد في مراكش مكاتب أو كتبية للكتب القديمة كما هو الحال في أوروبا، فقابلنا هذا الشَّيخ باحتفاء عظيم، وهو قوي البنية، ممتلئ الجسم، معتدل القامة، طلق المحيا، عليه سيماء الوقار، كما يلوح على وجهه علائم الذكاء وسعة العقل.

وممَّا سرني أن رأيتُ على طاولة الصَّالون نسخة من رحلتي في أمريكا التي نشرتها بالعربية، وأطلعني على عدة مؤلفات، جاء فيها ذكري، فدلني لطفه هذا على أنه كان يعرفني قبل أن يراني، وبعد أن قدم إلينا الشَّاي -كما هي العادة في مُراكش- أطلعنا على مكتبته الحاوية نحو ثلاثة آلاف كتاب، ضمنها كثير من المنسوخات، بعضها ترجع إلى ألف عام، ومع ذلك في حالة جيدة، فتصفحنا زهاء السَّاعتين بعض تلك المنسوخات التي لها عند المُسلم أهمية كبيرة، والتي قد لا يهتم بها الأوروبي كثيرًا لخلوها من البيانات والرُّسومات الفنية، وإنها لمن أثمن المكاتب، لما تحويه من الكتب النادرة عن تاريخ المغرب والإسلام والمنسوخات لمشاهير المسلمين، وإنَّ هذا الشَّيخ كثير الولع بالكتب القديمة وبجمعها، والبحث عنها، والدرس فيها، بخلاف مواطنيه المسلمين، وله مؤلفات كثيرة، وقد تلقى عنه الحديث أثناء وجوده بالأزهر الشَّريف كثير من علمائنا، لا يزال بعضهم على قيد الحياة.

ولقد أظهر لي تأثرًا شديدًا لِمَا دَوَّنَهُ الأستاذ الشَّيخ طنطاوي جوهري في أحد مؤلفاته من الطعن القاسي عليه، واتهامه بأنه وعائلته كانوا موالين للفرنساويين، وَسَهلُوا لهم حكم بلاد مراكش، شاكيًا ألمه، مما يشين سُمعته بالباطل، دون تبيين حقائق الأمور، وهو بريءٌ من كل ذلك، مُصَرّحًا أنه لو

تريث الأستاذ جوهري وتحرى الخبر من دليل الحوادث، وهي أوضح من أن تخفى على أحد من النّاس لكان أول من واسى الشَّيخ الكتاني فيما أصابه وعائلته من شقاء وعذاب وسجن ومصادرة في المال، وشرح لي بتلك المُناسبة شيئا كثيرًا تتألم له النفس، ولا محلَّ لذكره في كتاب رحلة خصوصية، غفر الله لنا جميعًا، وهو أعلم بما تكنه السرائر، وقد كان سروره عظيمًا لزيارتنا، حتى أنه طلب إلينا تأجيل سفرنا إلى اليوم التالي، وقبول تناول الغداء عنده».

ثم قال[1]: «بعد طعام العشاء زارنا الشَّيخ الكتاني مع سكرتيره في الفندق، وكان يرافقه خادمان مُسلحان بالبنادق، وهي حيطة لاجتياز الطريق».

وقال في موطن آخر[2]: «وعند عودتنا إلى الأوتيل بادرنا بإرسال عفشنا، وفي منتصف الساعة الثانية عشر ذهبنا إلى بيت الشَّيخ عبد الحي، وكان بانتظارنا بالباب، وبعد ربع ساعة كان الطعام جاهزًا، فجلسنا على الطَّريقة الشَّرقية، حول مائدة واطئة، وبدأنا الطعام بعسل مرصع بقطع من الزبدة، ولا يتطلب هذا فنًّا كثيرًا، ثُمَّ ضاني مشوي، فدجاج، ثُمَّ ضاني، ولكن مطبوخ ومحشي برز محلي بالسكر، وبداخل السَّلطة قطع من البرتقال، وختمنا بالكسكسي، وقد دام تناول الطعام مدة طويلة، بالرغم من رجائي الشَّيخ بأن يكون الطعام بسيطًا جدًا، لعلمي بما يستغرقه من الوقت في مراكش، فإنه من علامات إكرام الضيف والأدب أن يستغرق تناول الطعام وقتًا طويلًا...».

---

(١) (ص٤٩).
(٢) (ص٥٠).

وجاء في آخر الرحلة ما نصُّه[1]: «يذكر القارئ ما ورد في هذا الكتاب عن استياء السيد الكتاني وشكواه مما نسبه إليه فضيلة الأستاذ الشَّيخ طنطاوي جوهري في مؤلفه «جزء أول من الجواهر في تفسير القرآن صفحة ١٩١»، فعندما علم فضيلة الشَّيخ بذلك استنكر هذا الخبر، وأكد بأنه يقصدُ التيجاني لا السيد الكتاني، مظهرًا عطفه عليه، عالمًا بما نابه في سبيل الدين والوطن، وهذا نص العبارة: «عرف الفرنسيون جهل المسلمين، واستكانتهم وأنهم يستخزون لذوي البيوتات والشَّرف، فعملوا بنصيحة كتابهم والسياحين، منهم أن المسلمين تحت رحمة قوادهم من الأشراف وكبار الأولياء كالكتاني وماء العينين، والتيجاني، وشريف مراكش، فأغدقوا عليهم النعم، وغشوا على عقولهم بالمال، فمال لهم الشريف المراكشي من بيت الملك، والتيجاني، وساقوا هذه الأمم العمياء إلى ساحات العذاب».

وقال الشَّيخ طنطاوي: «إن هذه العبارة تقيد أن إغداق النعم التي نصح بها الكتاب الفرنسيون لم يقبلها السيد الكتاني، وإنما مال إليهم التيجاني وشريف مراكش لسوق هذه الأمم العمياء».

وقد وعد فضيلة الأستاذ الشَّيخ طنطاوي جوهري أن يوضح هذا الموضوع إيضاحًا وافيًا عند إعادة طبع مجلده «تفسير القرآن»، وسيكون ذلك قريبًا إن شاء الله.

٤١) «سِفْرُ الإجازات»؛ لتلميذه وخريجه العلامة المؤرخ البحاثة الشريف محمد بن عبد الهادي المنوني، وقد كانت نسخته المتداولة بين طلاب الشَّيخ رحمه الله مرقونة على الآلة الكاتبة، ثُمَّ جمعها في كتاب مع

---

(١) (ص٨١-٨٢).

ترجمته صاحبنا الأستاذ محمد بن عبد الله الرشيد، سَمَّاه «العلامة محمد بن عبد الهادي المنوني، ترجمته لنفسه، ونصوص إجازاته، وتوثيق مقالاته».

وسأقتبس من «سفر الإجازات» المعلومات المتصلة بالحافظ، مع الإحالة على كتاب الأستاذ الرشيد لكونه مطبوعًا وأيسر للرجوع إليه:

١- ذكره ضمن شيوخه فقال[1]: «العلامة المُحدِّث الناقد، الواسعُ الاطلاع والرواية، الشَّيخ محمد عبد الحي بن الشَّيخ عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني، المتوفى يوم الجمعة ٢٨ ربيع الثاني ١٣٨٢/ ٢٨ شتنبر ١٩٦٢م، قرأتُ عليه في أواخر كتاب «الشفا» للقاضي عياض بين العشاءين في جامع القرويين، ومن قبل حضرتُ عنده بعض دروس في «موطإ» الإمام مالك بالجامع ذاته، وفي مكناس جملة دروس من أول «صحيح البخاري»، ألقاها في رحلته لهذه المدينة خلال شهر جمادى الأولى ١٣٥٣.

٢- وأورد نصَّ إجازته له تامة عن «منح المنة»[2].

٣- وفي نصِّ إجازة العلامة محمد راغب الطباخ للفقيه المنوني، وفيها أنه يروي عن العلماء عمر بن أبي بكر بن عبد الله باجنيد المكي، والشَّيخ سعيد بن محمد اليماني، والشَّيخ محمد عبد الباقي بن ملا علي الأيوبي المدني بواسطة واستدعاء الحافظ له لما حج سنة ١٣٥١[3].

---

(١) (ص٩٣).
(٢) (ص١٠٨-١١٨).
(٣) (ص١٣٣).

٤ - إجازته من الشَّيخ ابن عبد الله بن حسن الشَّرقي واجتماعه به، كان يوم الجمعة ٢٣ شوال الأبرك عام ١٣٥٧، واجتماعه به كان بمنزل الحافظ رحمه الله تعالى[1].

٥ - وهذا الشَّيخ يروي عن الحافظ كما في إجازته للفقيه المنوني.

٤٢) **«سلم الوصول إلى العلماء الفحول»**؛ للمؤرخ المسند عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي، قال فيه ما نصُّه[2]: «ومن مشايخي الفقيه العالم العلم، الركن المستلم، العلامة الفهامة، المؤرخ الإخباري الأنجد، المُسْنِدُ الأعْمَدُ الأصْعَدُ، أبو الكنى وأبو الإسعاد وأبو الإقبال وأبو المجد محمد عبد الحي ابن الشَّيخ عبد الكبير الكتاني الحسني الإدريسي الفاسي، فإني قد استجزته أيضًا مكاتبة، فحرر لي إجازة مطولة، وسماها: «النجوم السَّوابق الأهلة فيمن لقيته أو كتب لي من الأجلة»، ذكر فيه مائة شيخ، واقتصر عليهم اقتداء بالقاضي أبي الفضل عياض، ثُمَّ سرد سبعًا وستِّين فهرسة من فهارس أهل المغرب الأقصى والأوسط والأدنى، وثمانية وستين ثبتًا من أثبات أهل المشرق من أهل الحجاز ومصر والإسكندرية والشام والعراق...»، وتاريخ تأليفه لهذا الكتاب قبل وصُول الحافظ إلى مكة المكرَّمة ولقائه به؛ فإنه نصَّ في آخره[3] أنه ألَّفه في رجب الفرد سنة ١٣٢٣.

٤٣) **«شجرة النُّور الزكية في طبقات المالكية»**؛ للعلامة محمد بن محمد مخلوف التونسي، ترجم فيها[4] للحافظ ترجمة مقتضبةً؛ ذكر فيها بيته

(١) (ص١٥٤).
(٢) (ق ٨) نسخة جامعة الملك سعود بالرياض رقم ١٢٤٤.
(٣) (ق١٥).
(٤) (٤٣٧/١).

وشهرته بالعلم والصَّلاح، وبعضًا من مشيخته، ثُمَّ قال: «جمع بين شَرفَيْ الاكتساب والنَّسب، قدِم الحاضرة ولقي من الإقبال فوق ما يُقَال، وذلك في المحرم سنة ١٣٤٠»، ثُمَّ ذكر حلوله بالقيروان، ثُمَّ دخوله لسوسة، وبعدها للمُستنير قاصدًا زيارة الإمامين المازري وابن يونس، وما لقي من احتفالٍ وإقبالٍ بكلِّ بلدٍ حلّ به، ومن كان بمعيته لدى لقائه به، ثُمَّ ذكر مُذاكراته معه وطلبه الإجازة منه، وأشار إلى تقريظه للكتاب وهو في آخر الكتاب[1].

٤٤) **«زبدة أسانيدي»**؛ للعلامة المُحدّث المدرس بالمسجد النبوي الشريف، الشَّيخ مصطفى بن أحمد العلوي الشّنقيطي، ترجمه في ثبته المذكور[2]، وهو الشَّيخ الخامس من شيوخه فيه، ذكر فيه أنه لقي الحافظ في حجته الثانية بالمدينة النبوة المنورة بمنزل مضيفه العلامة محدّث الحرمين الشَّريفين الشَّيخ عمر حمدان المحرسي المدني، الذي طلب من شيخه الحافظ أول قدومه أن يسمع طُلَّابه حديث الرَّحمة المُسلسل بالأولية، فسمعه منه صاحبُ الثبت، ثُمَّ ذكر روايته عنه لثلاثي الإمام الطَّبراني الذي وقع له في معجمه الصَّغير، وساقه الحافظ بإسناده في كتابه «التراتيب الإدارية»[3].

٤٥) **«طرق الاتصال بذوي الفضل والكمال»**؛ وهو شيوخ وأسانيد الشَّيخ خليل بن عبد القادر طيبة المكية (١٣٢٣-١٣٩٨هـ) رحمه الله.

(١) (٢/٣١٦-٣١٧) وقد أثبتنا نصه في كتابنا «مقالات ومقدمات الإمام الحافظ الشريف محمد عبد الحي الكتاني».
(٢) (ص١٩-٢٢) والشكر موصول لأخي الدكتور سعيد طوله المدني، جزاه الله خيرًا على تزويدي بصورة الكتاب بعد طول بحثي عنه.
(٣) (٢١٥/١-٢١٨) ط الأولى.

ذكر فيه[1] إجازته لمُستجيزه بجميع مؤلفات السَّيِّد، وخصوصًا كتابه «فهرس الفهارس»، ثُمَّ ذكر كلامًا في الثناء عليه، ثُمَّ لقاءه بمؤلفه سنة حجه سنة ١٣٥٢[2]، ومعه ابنه سيدي عبد الكبير، وانفراده بخدمته هو ومحدث الحرمين الشَّريفين الشَّيخ عمر حمدان المحرسي المدني، حينما توجهوا إلى المدينة النبوية المنورة.

ثُمَّ ذكر راويته للصَّحيح قراءةً لبعضه بمكة، وإجازة لباقيه فيها، وبالمدينة المُنورة مناولةً مع بقية الكتب السِّتَّة ومسانيد الأئمة الثلاثة.

٤٦) **«فيضُ الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي»**[3]؛ للشيخ المؤرخ المُسند الراوية عبد الستار بن عبد الوهاب البكري الصديقي الهندي المكي الحنفي رحمه الله تعالى، ترجم فيه للحافظ الأستاذ[4]، فذكر مولده، وأنه كان سنة ١٣٠٣ في ربيع الأول، أو ربيع الثاني، وأنه اشتغل بطلب العلم سنة ١٣١٤، ثُمَّ تحديثه وما في وجهه شعرة، وإقبال طلبة العلم عليه، ومكاتبة أهل الآفاق له.

قلتُ: والشَّيخ عبد الستار منهم، فقد استجازه مكاتبة سنة ١٣٢١، فأجازه بكتابه النجوم السوابق الأهلة.

ثُمَّ ذكر إجلاسَ أخيه وأبيه له على السَّجّادة الكتانية[5] سنة ١٣٢٠.

---

(١) (ص١٢).

(٢) كانت حجة الحافظ الثانية سنة ١٣٥١.

(٣) في الرحلة الحجازية الثانية وقف الحافظ على هذا الكتاب وانتقى منه، ومن اللطيف أنه نقل منه ترجمته الشخصية.

(٤) (٨٤٠-٨٣٩/١).

(٥) اصطلاح مشرقي يعني: الاستخلاف في مشيخة الطريقة.

ثُمَّ تاريخ توجُّهه للحج سنة ١٣٢٣ في سابع رجب منه ودخوله لمصر، واحتفال أهلها به، وأخذهم عنه، وتسمية ثلاثة من أعيانهم، فالأول: مفتي الديار المصرية الشَّيخ بكر الصَّدفي الحنفي، والثاني: مفتي الإسكندرية حينه، ومفتي الديار المِصرية بعد العلامة محمد بخيت المُطيعي، والعلامة شيخ الحنفية بالديار المصرية حسين بن محمد منقاره مفتي الأوقاف بمصر.

ثُمَّ تاريخ وصوله لمكَّة المكرمة، ومحلّ نزوله منها، ثُمَّ ذكر اجتماعه به وإجازته له العمومية، وختم بالإشارة إلى الثبت الذي كتبه باسمه، وهو «النجوم السوابق الأهلة».

وهو في كتابه هذا كثير الاعتماد على «فهرس الفهارس» وتراجمه، بل يعدّ مصدرًا رئيسيًا في كثير من تراجمه، ومن النادر أن يحيل على محلّ استفادته للترجمة، ولعلَّ سبب ذلك أنَّ كتابه مسودة غير كاملة التبييض والتحرير.

٤٧) **«عنوان السَّعادة والإسعاد لطالب الرواية بالإسناد»**؛ لشيخ الجماعة بمكناسة الزيتون العلامة أبو عبد الله محمد بن الحسين العرائشي، ولد سنة ١٢٨٠ وتوفي سنة ١٣٥١. فرغ من تقييدها عشية يوم الأحد ١٤ شعبان عام ١٣٥٠، تقع في ٨٣ صفحة، وهي بمكتبتي مصورة عن نسخة بخزانة تلميذه العلامة السيد محمد المنوني، الذي أفرد ترجمته بمقالين في مجلّة دعوة الحق.

وقد جاء في الفهرسة المذكورة[1] لدى ذكر «فهرسة الإمام ابن

---

(١) (ق١٩).

غازي»، فإني أرويها بجميع ما اشتملت عليه من أسانيد الكتب إجازةً عن الشَّريف الجليل الفاضل الحجة النبيل الحافظ أبي عبد الله سيدي محمد عبد الحي الكتاني، وهو يرويها...

ثُمَّ روى عنه عددًا من الأثبات، ثُمَّ قال[١]: «وكتب لي جميع ذلك بخطِّ يده المباركة، كما هو تحت يدي، وكذا أجاز لي إجازة عامةً لفظًا وكتابةً بكتابه العظيم، المُسمَّى «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات»، وهو في مجلدين، اشتمل على إسناد نحو ألف فهرس، إجازة بجميع ما ذكر عامةً مطلقةً تامةً، وختم ذلك بقوله: «قاله وكتبه خديم الحديث والإسناد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني الإدريسي، تاب عليه مولاه بفاس ثالث ربيع الثاني عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف».

٤٨) **«فهرسة الشُّيوخ والأسانيد»**؛ للإمام السيد علوي بن عباس بن عبد العزيز المالكي الحسني، جمع وترتيب ولده الدكتور السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني، ترجم فيه[٢] للحافظ ضمن شيوخ والده، فقال: «قَدِمَ مكة المكرمة سنة ١٣٥١، ودرس بالمسجد الحرام اثني عشر ليلة، وأجاز الوالد بالحديث المُسلسل بالأولية وغيره من المُسلسلات القولية والفعلية، وقد قرأ عليه الوالد «الأوائل السنبلية»، و«العجلونية»، وبعضًا من أول «الموطأ»، ثُمَّ ذكر شيوخه ومروياته عنهم».

---

(١) (ق٢٠).

(٢) (ص٢٠٤-٢٠٨).

وذكر فيه أيضًا[١] أنَّ جدَّه السيد عباس بن عبد العزيز المالكي يروي عن الحافظ أيضًا.

وذكر عددًا من شُيوخ والده ممَّن روى عن الحافظ، استوفيناهم في كتابنا «معجم الآخذين عن الإمام الحافظ لسان السُّنة الغرَّاء السيد محمد عبد الحي الكتاني الفاسي الحسني رحمه الله»، ونشيرُ إليهم هنا، فنقول:

- العلامة محمد علي المالكي (ص٣٢).
- العلامة محدث الحرمين الشريفين الشَّيخ عمر حمدان المحرسي التونسي (ص٤٧).
- العلامة أحمد ناضرين (ص٧٢).
- العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي (ص٧٤).
- العلامة محمد العربي التباني (ص٩٨).
- العلامة أبو بكر سالم البار (ص١١٧).

٤٩) **«منطق الأواني بفيض تراجم عيون أعيان آل الكتاني»**؛ لمؤرخ البيت الكتاني الدكتور الشَّريف محمد حمزة بن علي الكتاني.

ترجم فيه للحافظ[٢] ترجمةً مُختصرةً مُركَّزة، استوعبت جميع مراحل حياته، وأهم أعماله، وأشهر مؤلفاته، وتاريخ وفاته.

٥٠) **«هادي المسترشدين إلى اتصال المسندين» الملقب بـ«تقريب المراد في رفع الإسناد»**؛ للعلامة عبد الهادي المدراسي الهندي[٣].

---

(١) (ص١٣).

(٢) (ص١٧٠-١٧٦).

(٣) (ص٢٧٢/٢٧٣) طبع حيدر أباد سنة ١٣٥٥.

ذكره ضمنَ شيوخه الذين يروي عنهم بالإجازة العامة، فقال: «العلامة الجليلُ، الفهامة النبيل، مولانا السيد عبد الحي بن الشَّيخ الشهير السيد عبد الكبير الكتاني الفاسي المغربي المالكي، أدام الله فيوضاته»، ثُمَّ ذكر بعض أسانيده.

قلت: ومن الغريب أنه روى عن الحافظ بالإجازة العامة، وعاش الحافظ بعد طبع كتابه نحوًا من ثلاثين سنة.

وفي الكتاب إشاراتٌ أخرى للحافظ، منها: ذكره له ضمن شيوخ شيخه السيد عيدروس بن سالم البار[1].

وذكره أيضًا ضمن شيوخ شيخه العلامة عبد الله غازي المكي[2].

وذكره أيضًا ضمن شيوخ شيخه العلامة عبد الستار الدهلوي المكي[3].

وذكره أيضًا ضمن شيوخ شيخه العلامة محمد مراد القازاني[4].

قلت: وسأكتفي بهذه المصادر الخمسين، وللاستزادة من المصادر التي ترجمت للحافظ أو التي ذكر فيها يُنظر كتابنا المُحال عليه أوَّلَ هذا الفصل.

* * * *

---

(١) (ص١١٥).

(٢) (ص١٥٥ – ١٥٦).

(٣) (ص١٦٦).

(٤) (ص١٨٨-١٨٩).

أسرته

هو من بيت السَّادة الأشراف الكتانيين، وهذا البيت الشَّريف قد أفرده عددٌ من المؤرخين والنسّابين بعدد من المُصنَّفات المُستقلَّة، نذكر منها المصنفات التالية:

١- «الدرر واللآل في شرفاء عقبة ابن صوال» للعلامة المؤرخ الشريف محمد بن الطيب القادري، ذكره الحافظ في مقدمة «المظاهر السامية»[1].

٢- ونسّابة المغرب النقيب أبو الربيع سليمان بن محمد الحوات العلمي الفاسي، ذكره الحافظ في مقدمة «المظاهر السامية»[2].

٣- «نظم الدرر واللآل في شرفاء عقبة ابن صَوَّال» للعلامة أبي الفتح محمد الطالب بن حمدون بن الحاج السلمي، وقد طُبع بتحقيق الدُّكتور مولاي علي بن الشَّيخ المنتصر الكتاني رحمه الله.

٤- العلامة المُفتي مبارك بن عمر العبدي السَّبعي، له «الكوكب السَّاني في النَّسب الكتاني» ذكره الحافظ في مقدمة «المظاهر السامية»[3].

---

(١) (ق ١) نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء.

(٢) (ق ٢) نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء.

(٣) (ق ٢) نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء.

٥- «الرياض الريانية في الشُّعبة الكتانية» للإمام جعفر بن إدريس الكتاني، منه نسخة مخطوطة في المكتبة الكتانية المودعة اليوم في المكتبة الوطنية تحت رقم (٤٩٧ك).

٦- «النبذة اليسيرة النافعة التي لبعض أستار الشعبة الكتانية رافعة» للإمام محمد بن جعفر الكتاني، وقد طبع بدمشق.

وقد قال العلامة نسّابة المغرب أبو محمد عبد السَّلام القادري الحسني عن البيت الكتاني الشريف في كتابه «الدر السني في من بفاس من أهل النسب الحسني» «هم من شعب الأدارسة، الذين آثارهم واضحة غير دارسة، نسبهم أوصل نسب، وسببهم أوثق سبب، وبيتهم بيت مسكنة وعفاف وتواضع، فهم في النّاس على ما هم عليه في أنفسهم من الخمول، تسليم من الكافة لنسبهم الشَّريف وقبول، لا يخفى سرهم ولا يجهل أمرهم.

وقال القاضي المؤرخ النَّسَّابة المحدّث عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي إثر نقله للكلام السابق في «رياض الجنة»[١]: «وما ذكره من وصفهم بالخمول لم يبق ملازمًا لهم، فقد اشتهروا أخيرًا بمن ظهر فيهم من أهل الولاية والصلاح، كالأخوين أبي عبد الله محمد الطيب، وأخيه أبي عبد الله محمد المدعو الحمدوشي، وتلاهما جدُّنا من قِبَل الأم أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد صاحب زاوية القطَّانين، ثُمَّ ظهر فيهم بعدهم بالمظهر العلمي شيخنا أبو الفضل جعفر بن إدريس، وولده شيخنا أبو الأنوار

(١) (١/٤٥).

محمد، وخالنا أبو المواهب عبد الكبير، ثُمَّ ازداد البيت الكتاني شهرة بما أوتيه صاحب الترجمة - يعني شقيق المؤلف الإمام محمد بن عبد الكبير - من بُعد الصيت، وإقبال الخلق، وناهيك به». اهـ

قلت: وفاته تعدادُ عدد من علماء البيت الكتاني أسبق طبقةً ممن ذَكَر، فمنهم العلامة محمد بن أحمد بن علي بن قاسم بن عبد العزيز بن محمد الشَّريف الإدريسي الشَّهير بالكتاني (ت١١٢٥هـ)، وله مصنفات وقفت منها على كتاب «نصرة العترة الطاهرة من أبناء علي وفاطمة الزاهرة»[١] فرغ منه عام ١١١٤.

* * * *

(١) منه نسخة ضمن مجموع في الخزانة الملكية مراكش ٩١ تبتدئ من (ق١٧٤).

نسبه الشريف

هو كما ساقه الحافظ في أول كتابه «الردع الوجيز لمن أبى أن يجيز»[1]، وكما في ترجمة شقيقه الإمام العارف السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني في معجم شيوخ القاضي عبد الحفيظ الفاسي، المسمى بـ«رياض الجنة»، أو «المدهش المُطرب»[2] وغيرهما كثير:

«محمد عبد الحي ابن الشّيخ أبي المكارم عبد الكبير، ابن الشّيخ أبي المفاخر محمد، بن أبي الصَّلاح عبد الواحد المدعو الكبير، ابن الإمام الشّهير أبي العباس أحمد بن أبي مالك عبد الواحد، بن أبي حفص عمر، بن أبي العلاء إدريس، بن أبي العباس أحمد، بن أبي الحسن بن قاسم، بن أبي فارس عبد العزيز، بن أبي عبد الله محمد، بن أبي قاسم، بن عبد الواحد، بن علي، بن محمد، بن علي، بن موسى، بن أبي بكر، بن محمد، بن عبد الله، بن هادي، بن يحيى المدعو أمير الناس، ابن عمران، بن عبد الجليل، ابن أمير المؤمنين يحيى، بن يحيى، بن محمد، ابن الغوث الأعظم مولانا إدريس الأزهر، ابن الهمام الغطمطم مولانا إدريس الأكبر، ابن عليّ القدر مولانا عبد الله الكامل، ابن الجلي الفضل مولانا الحسن المثنى، ابن وليّ النّاس مولانا الحسن السبط، ابن سيدة

---
(١) (ق ١٨٢) ضمن مجموع.

(٢) (١/٤٤-٤٥) ط الأولى.

عالمها مولاتنا فاطمة البتول، ابنة رسول العالمين سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وشرف وأكرم وأنعم وعظّم الحسني، الشهير بالكتاني نسبا وطريقة، الفاسي استيطانًا وخلقة».

نسبه من جهة الأم:

وأمه هي الشّريفة الفاضلة السيدة الكاملة فضول بنت إدريس بن الطايع بن إدريس بن محمد الزمزمي، بن محمد الفضيل بن العربي بن محمد بن علي (الجد) الجامع للأشراف الكتانيين، والمتقدم ذكره في عمود نسب الإمام من أبيه، وقد أفرد الحافظ ترجمة أمه بكتاب لطيف أسماه: «ترقية المريدين بما تضمنته ترجمة السيدة الوالدة من أحوال العارفين»[1].

* * * *

---
(١) طبع بتحقيق الدكتور محمد بن عزوز.

بيئته التي نشأ فيها[1]

لا شك أنَّ للبيئة التي ينشأ بها المرء تأثيرًا بالغًا في حياته وتوجهاته واهتماماته، وقد وُلِدَ الإمام في بيت العلم والشرف، تَحُفُّهُ المكارم والفضائل من كل الجهات، فأبوه هو الإمام جبل السنة العارف الرباني المحدث السيد عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني، وَجَدُّهُ هو القطب محمد بن عبد الواحد المدعو الكبير الكتاني، وأخوه هو الإمام العارف الشهيد محمد بن عبد الكبير الكتاني، وأمه هي الشريفة الفاضلة السيدة الكاملة فضول بنت إدريس بن الطايع الكتاني، وخاله هو الإمام صالح علماء المغرب وشيخ فقهائه السيد جعفر بن إدريس الكتاني، وأبناء خاله هم العلماء الأعلام؛ الإمام المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني، والعلامة المحدث الناسك أحمد بن جعفر الكتاني، والعلامة الأديب عبد العزيز بن أحمد، وشاعر فاس العلامة الأديب عبد الرحمن بن جعفر رحمهم الله تعالى.

كما أنَّ جد والده من قبل الأم هو الإمام أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمن المعروف بابن الحاج السلمي الفاسي، وخال والده هو محدث فاس في عصره محمد بن حمدون بن الحاج، وخاله الثاني هو الإمام آخر قضاة العدل بفاس محمد الطالب بن الحاج، وأبناء خال والده هم: مؤرخ

---

(١) ملخصًا من ترقية المريدين للحافظ (ص٧٨-١٠٠).

الدولة العلوية الشريفة العلامة المؤرخ النحوي أحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج، وأخوه العلامة المشارك المهدي بن محمد بن الحاج، وجدته لأبيه هي بنت الولي الصالح محمد بن الطيب الصقلي الحسيني، وخال أبيه هو العارف السيد عمر بن محمد بن الطيب الصقلي الحسيني.

فانظر إلى هذه المكارم والمعالي التي تحفه من كلِّ الجهات، ولا شك أنَّ لهذه الصلات النسبية تأثيرها في حياته.

* * *

مولده

اختلفت الأقوال في تحديد سنة مولد المصنف، ولعلّ ذلك لكونه كان لا يرى من المروءة أن يُخْبِرَ بسنه، وقد ألمع إلى ذلك في كتابه «المظاهر السامية» فقال[١]:

«أمّا مولده فقد كان ذكره أولًا، ثُمَّ أراد الإعراض عن إثباته ثانيًا للأثر المُسلسل في ذلك، المعمول به عند المحدثين سلفًا وخلفًا...»، ثُمَّ ذكرَ الحديث المسلسل في ذلك.

وأنا أذكر الأقوال التي وقفت عليها في ذلك:

١) أنه ولد سنة ١٣٠٣ في ربيع النبوي منها، وهذا التاريخ وجدته مقيّدًا بخطّ المصنف نفسه في كناشته رقم ٢٦١[٢]، ونصُّه: «الحمدُ لله، وُلِدَ كاتب الأحرف عبد الحي في ربيع النبوي عام ١٣٠٣».

وهو ما جاء في «مطالع الأفراح والتهاني»[٣] لمؤرخ سيرته وابن خالته وتلميذه العلامة السيد عمر بن الحسن الكتاني، وهو ما جاء في ترجمة

---

(١) (ق ٢٢٩-٢٣٠ نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء).

(٢) (ق ٢).

(٣) (ص١٠٩).

الحافظ أيضًا في كتابه «جامع كرامات الأولياء»[١] للمُتدبَّج معه العلامة القاضي الأديب الشَّيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، وقد كتب كثيرًا منها من مشافهات المصنف له.

ونحوه في معجم صاحبه محدث الشرق المسند الإخباري الرّحال أحمد أبو الخير العطار الهندي المكي[٢]، وزاد فحدّدَ اليوم بيوم الجمعة، إلَّا أنه لمْ يُعيِّن الشهر.

ونحوه بالنصِّ عند تلميذ المصنف القاضي السيد أبو بكر الحبشي في كتابه «الدليل المشير»[٣]، ونحوه في «فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي»[٤] للشيخ المؤرخ المسند الراوية عبد الستار بن عبد الوهاب البكري الصديقي الهندي المكي الحنفي رحمه الله تعالى، فقد ترجم فيه للحافظ الأستاذ[٥] وذكرَ أنَّ مولده كان سنة ١٣٠٣ في ربيع الأول أو ربيع الثاني.

وقد ذكر تلميذه وابن أخيه العلامة السيد محمد الباقر الكتاني، ونقله عنه الدكتور مولاي علي بن الشَّيخ محمد المنتصر الكتاني في

---

(١) (٣٨١/١).

(٢) نقله الحافظ في رحلته الحجازية الثانية عن معجم تلميذه الشَّيخ المؤرخ المسند عبد الله غازي الهندي ثم المكي، وهو عن المحدث العطار رحمهم الله تعالى.

(٣) (ص١٤٨).

(٤) في الرحلة الحجازية الثانية وقوف الحافظ على هذا الكتاب وانتقائه منه، ومن اللطيف أنه نقل منه ترجمته الشخصية.

(٥) (٨٣٩/١-٨٤٠).

تعليقه على «المظاهر السامية»[١] أنه ولد سنة ١٣٠٣ دون تعيين الشهر واليوم.

٢) القول الثاني: أنه ولد في جمادى الثانية سنة ١٣٠٢، وقد جاء ذلك عند ابن أخيه العلامة السيد محمد المهدي الكتاني في طرّة أول نسخته من «المظاهر السامية»[٢] وصرّح بأنه قرأه بخط المصنف.

ونحوه في «منطق الأواني بفيض تراجم عيون أعيان آل الكتاني»[٣] لمؤرخ البيت الكتاني الدكتور الشريف حمزة بن علي بن المنتصر الكتاني حفظه الله.

٣) القول الثالث أنه ولد سنة ١٣٠٥، وقد ورد في كتاب «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي[٤]، وهذا القول بيِّن السقوط كجُلِّ الترجمة التي كتبت بإملاء من معارف الزركلي بالمغرب، من أعداء الإمام وحاسدي فضله، كما هو ظاهر منها، وقد احتوت على أخطاء جسيمة، ومغالطات قبيحة نبهنا عليها فيما سبق.

فجعله تاريخ مولد الحافظ سنة ١٣٠٥، أمر لم يذكره به أحد من مترجميه إلا هو، فقد دارت أقوال المؤرخين الثقات بين سنتي ١٣٠٢ وسنة ١٣٠٣ كما رأيت، ولا أعلم مستند الزركلي في هذا التاريخ، فلعله قيده عن غير ثقة كَجلِّ ترجمته للإمام.

---

(١) (ص١٢٧) من ترجمة المصنف بقلمه المستلة من المظاهر.

(٢) (ق ٢) مصورة من خزانة الدكتور الشريف حمزة بن علي الكتاني.

(٣) (ص١٧١).

(٤) (١٨٧/٦).

٤) القول الرابع: أنه ولد سنة ١٣٠٠، وهو قرين سابقه في الوهاء والسقوط، ويكفي أنَّ قائله هو محمود سعيد ممدوح في ترجمته المظلمة للحافظ من كتابه «تشنيف الأسماع إلى شيوخ الإجازة والسماع»[١]، وفي جُزَيْئه «فتح العزيز في أسانيد السيد عبد العزيز»[٢]، وتعقيبه بقيل على القول الثاني، وهو تاريخ مولده الصَّحيح سنة ١٣٠٣ من عجائبه، فهو التاريخ الذي وقفتُ عليه بخط الحافظ، وهو الذي عند مؤرخ سيرته العلامة عمر بن الحسن الكتاني كما سبق قريبًا، فانظر للتاريخ الصَّحيح أصبح هو المُؤَخَّرُ المُعَبَّرُ عنه بقيل، وانظر للتاريخ الذي لا دليل عليه ولا سابق إليه هو المُصَدَّرُ به عنده.

ولا جرم فقد جُبِلَ هذا الرجل على عدم التحقيق والتثبُّت، فهو خرّيج النّسخِ الرَّصاصِيَّة والبعد عن الحقائق العلمية، وترويج الافتراءات الوَهْمِيَّة، رزقه الله الهداية والتوبة والأوبة من سبل الضلال ومناهج السَّبِّ والشتم والتَّنَقُّصِ من فضلاء الملة المحمدية، وأعيان سلفها الأخيار.

وقد قلّده من اغتَرَّ بكتابه، وهو الدكتور يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي في كتابه «معجم المعاجم والمشيخات»[٣] فقد جعله من مصادره الأساسية التي ينهل منها بعزو ودونه، حتى السموم التي نثرها في تراجم

---

(١) (٤٢٩/٢) ط الثانية، وهي من دون اسم الناشر، بل وضع على اسمه ملصقات تخفيه، لما أنّ الكتاب يشين صاحبه وناشره والمساهم فيه من كل وجه، نعوذ بالله من الخذلان.

(٢) (ص٢١).

(٣) (٥٢٢/٢).

العلماء، ظَنًّا منه أنه مصدر أصيل ورُكنٌ ركين، وهو دون ذلك، لانعدام الثقة بمؤلفه، وقلة التحقيق وكثرة التلفيق في كتابه وتراجمه.

ثُمَّ رأيتُ تلميذ المصنّف العلامة السيد إدريس بن الماحي الحسيني ذكره كذلك في كتابه «معجم المطبوعات المغربية»، والذي يظهر لي أنه تحريفٌ مطبعي، فإنَّ الكتاب كثير التحريف في التواريخ والأرقام، لأنَّ مصنفه لم يُصححه بيده، فوقعت فيه أوهام كثيرة، ولا أدلَّ على هذا من ترجمة الحافظ نفسها، فقد وقع فيها أن كتابه «البيان المعرب» طبع سنة ١٣١٩، وهو تحريف، فإنَّ الكتاب لم يؤلف أصلاً إلَّا سنة ١٣٢٩، كما هو في مقدمة الكتاب وخاتمته.

فبقي هذا القول من مفاريد الوضّاع المصري ومناكيره الكثيرة التي استحقَّ بها التّرْك، وأن يهوي بها في مهاوي الدَّرْك.

* * * *

شيوخه في الفقه المالكي خصوصًا

وقد اقتصرنا في هذا الفصل على شيوخه في الفقه المالكي، ومن تفقَّهَ بهم من شيوخه دون سائر شيوخه في بقية العلوم الإسلامية واللُّغوية والعقلية وغيرها، فلذلك محل آخر غير هذه المقدمة فنقول:

تفقَّه المصنِّف على مذهب إمام الأئمة وتاج علماء المِلَّة مالك بن أنس الأصبحي المدني رحمه الله تعالى، الذي اختاره أهل المغرب والأندلس من القرن الثاني للهجرة، إلى يومنا هذا ولله الحمد، إلَّا من خرج عن سبيل المؤمنين وخالف جماعة المسلمين من الروافض اللعَّانين ممن لم تقم لهم قائمة ولن تقوم بحول الله في بلاد المغرب، فمن مشاهير شيوخه في الفقه المالكي.

١) والده الإمام الفقيه المحدث العارف الرباني جبل السُّنة والدين السيد عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني الفاسي الحسني[1].

---

(١) ولد سنة ١٢٦٧ وتوفي سنة ١٣٣٣. مصادر ترجمته: فهرس الفهارس(٢-٧٤٣-٧٤٧)، والمظاهر السامية (ق٤١-٧٠) نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء)، النجوم السوابق الأهلة (ق٦٣-٧٤) نسخة مكتبة المسجد الحرم المكي الشريف، ونور الحدائق (ص٦١) بعنايتي، بل لولده الحافظ كتاب مفرد في سيرته وقفت على بعضه في مبيضته. ومعجم عبد الحفيظ الفاسي (٢/٧٤-٧٧) جامع كرامات الأولياء للنبهاني (١-٢٢٧)، «النبذة اليسيرة» للسيد محمد بن =

قال في «نور الحدائق في إجازة محمد الصادق»[1]: «أخذت عنه وسمعت عليه التفسير والفقه والتصوف، وأجازني ولقنني وألبسني، وأذن لي في كلّ ما عنده، وما تحمّله من شيوخه بكلّ إقليم ومصر...».

٢) شقيقه الإمام العارف السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني[2]، قال في «نور الحدائق»[3]: «لازمته من حين الصبا، وبه تربيت وتهذبت، وأخذت عنه التفسير والحديث والفقه والتصوف والأصول والكلام والسير والفلسفة التشريعية».

= جعفر الكتاني (٢١٤-٢٢٢)، قدم الرسوخ لسكيرج (ص٣٤٥-٣٥٨)، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام (٨-١٦٦/١٦٩) نقلا عن معجم عبد الحفيظ الفاسي، وزاد بالإحالة على مواطن ترجمته في كتب ولده الإمام الحافظ رضي الله عنه، ومعجم المطبوعات المغربية (ص٢٩٨-٢٩٩)، وفيض الملك المتعالي (٨٣٨/١)، وسل النصال (ص١١)، وغيرها كثير.

(١) (ص٦١).

(٢) ولد سنة ١٢٨٩ واستشهد سنة ١٣٢٧، مصادر ترجمته: المظاهر السامية (ق٦٩-٢٢٩)، وأفرد الحافظ السيد الإمام حياة أخيه الإمام السياسية بكتاب مستقل، وقد أفردت ترجمته بتآليف عديدة طبع منها كتاب لولده العلامة السيد محمد الباقر الكتاني، معجم شيوخ عبد الحفيظ الفاسي (٤٤/١-٤٩) الطبعة الأولى، و(٤٠-٤٤) ط العلمية، ويوجد ضمن مجموع في خزانة آل سعود بالدار البيضاء أوراق بخطه في ترجمته لشيخه المذكور، والظاهر أنها من معجمه الكبير، الإعلام للعباس بن إبراهيم (١٥٥/٧-١٦٨)، معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين (٣٣١/٢) لابن زيدان، معجم المطبوعات المغربية (ص٣٠٣-٣٠٥). وغيرها كثير.

(٣) (ص٦٢).

٣) خاله الإمام شيخ فقهاء فاس السيد جعفر بن إدريس الكتاني[1].

قال في «نور الحدائق»[2]: «أخذت عنه الحديث، والفقه، والسير وأجازني جميع ما عنده من المرويات والمؤلفات».

وقال في «المعجم الصغير»: «خالي جعفر بن إدريس الكتاني سمعت عليه فقهًا وغيره، وأجاز لي».

وقال في «الطب الروحاني»[3]: «أخذت عنه مسائل من الفقه، وسمعت عليه بعض «المختصر» بشروحه بدارنا، وأجازني به وبغيره مرتين».

٤) ابن خاله شيخ الإسلام الإمام محمد بن جعفر الكتاني[4] قال في

---

(١) ولد سنة ١٢٤٦ وتوفي سنة ١٣٢٣. مصادر ترجمته: فهرس الفهارس (١٨٦/١-١٨٨)، النجوم السوابق الأهلة (ق٥٦/٥٩)، نور الحدائق (ص٦٢ بعنايتي)، الإجازة الأيوبية لولده سيدي محمد بن جعفر (ص١٧-١٨)، فهرسة العلامة حسن مزور (ص٦٧ فما بعدها)، مختصر العروة الوثقى (ص٩١)، معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين (٢-١١٦-١٢١)، اليواقيت السنية المهداة للحضرة العراقية (ق٦٥-٦٧)، لسيدي محمد بن أحمد بن الحاج السلمي الفاسي، شجرة النور الزكية (٤٣٣/١)، معجم المطبوعات المغربية (ص٢٩٥-٢٩٧).

(٢) (ص٥١) بعنايتي.

(٣) (ق ١١).

(٤) ولد سنة ١٢٧٤ وتوفي سنة ١٣٤٥. مصادر ترجمته: فهرس الفهارس (٥١٥/١-٥١٨)، النجوم السوابق الأهلة (ق٢٠)، معجم الشيوخ عبد الحفيظ الفاسي (٧٧/١-٨٢)، الطبعة الأولى، قدم الرسوخ (ص١٦٥-١٧١)، معجم =

«النجوم السوابق الأهلة»[١]: «حضرت درسه، أبقاه الله تعالى في الحديث، فسمعت عليه بعض صحيح البخاري، و**الموطأ**، وأبي داوود، و**جامع خليل**، و**مختصره**، و**المرشد**، والخلاصة، والهمزية وغير ذلك، وقرأت عليه جميع العجلونية، والأربعين الوِتْرِيَّة، وتفاوضنا في عدة مسائل مرارًا، واستجزته فأجاز في كل ماله من مروي ومؤلف...».

وقال ولده العلامة القاضي سيدي عبد الأحد الكتاني رحمه الله تعالى[٢]: «حضر درسه في الصَّحيحين، والموطأ، وسنن أبي داود، والألفية، و**المختصر**، و**المرشد**، و**جمع الجوامع** وغير ذلك، وسمع عليه كثيرًا من المسلسلات والأوائل والفوائد».

٥) العلامة الفقيه المشارك محمد بن قاسم القادري[٣].

= المطبوعات المغربية (ص٣٠٠-٣٠١)، شجرة النور الزكية (١/٤٣٦-٤٣٧)، سل النصال (ص٤٣-٤٦) وغيرها كثير، وقد أفردت ترجمته بعدد من المصنفات تراجع.

(١) (ق٢٠).

(٢) (٤/١).

(٣) ولد سنة ١٢٥٩ وتوفي سنة١٣٣١، مصادر ترجمته: النجوم السوابق الأهلة (ق١٧-١٩)، فهرس الفهارس(٢/٩٣٥-٩٣٧)، الإجازة الأيوبية (ص٢٦)، معجم شيوخ عبد الحفيظ الفاسي (١/٥٢-٥٥ الطبعة الأولى)، فهرسة العلامة حسن مزور (٣٢-٤١)، قدم الرسوخ (ص٣٩٢)، معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين (٢-٢٥٩/٢٦١)، مختصر العروة الوثقى (ص٤٧)، معجم المطبوعات المغربية (ص٢٨٤-٢٨٥).

قال في «الردع الوجيز لمن أبى أن يجيز»[١]: «حضرت عنده في **ابن السبكي**، وجلّ الشمائل، والبردة، و**المختصر**، وتوحيد المرشد بحاشيته وغير ذلك وأجازني لفظًا».

وقال في «فهرس الفهارس»[٢]: «نروي عن الشَّيخ المذكور كل ما له من مؤلف ومروي إجازة مرات، وهو من عمدنا في القرويين، حضرنا عليه في الحديث و**الفقه** والكلام بحاشيته على الشَّيخ الطيب والنحو و**الأصول** وغير ذلك».

وقال في «معجمه الصغير»: «محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الحفيظ الجيلاني، حضرتُ عليه في الشمائل، والبردة، و**ابن السبكي**، و**المختصر**...».

وقال صاحبه العلامة القاضي الأديب أبو العباس أحمد بن العياشي سكيرج الفاسي التيجاني في كتابه «رياض السلوان»[٣]: «وعلى شيخنا القادري الأجرومية، والبردة بالأزهري، وحاشيته عليها، والشمائل بحاشيته، والشَّيخ الطيب بحاشيته، و**ابن السبكي**، و**المختصر**».

٦) العلامة شيخ الجماعة أحمد بن الخياط الزكاري[٤].

---

(١) (٢٤ ق).

(٢) (٩٣٦/٢).

(٣) (ص٤٣).

(٤) ولد سنة ١٢٥٢ وتوفي سنة ١٣٤٣ مصادر ترجمته: فهرس الفهارس (١/٣٨٧-٣٨٩)، الإجازة الايوبية (ص٢٥)، فهرسة العلامة حسن مزور(٦٦-٦٧)، معجم عبد الحفيظ الفاسي(١/١٢٧-١٣٣)، مختصر العروة الوثقى للحجوي =

قال في مذكراته[1]: «فحضرت دروس شيخ الجماعة أبي العباس أحمد بن الخياط كثيرًا في الفقه والحديث، والسير، والتصوف، والحكم العطائية، والطرفة، والشفا بجامع الأبارين حتى ختمهما في رمضان عام ١٣١٨».

٧) العلامة الفقيه المعقولي النحرير محمد بن عبد السلام كنون الشهير بكنيون الفاسي[2].

قال في مذكراته[3]: «وأبي عبد الله محمد كنون، **خاتمة ابن السبكي**، والتلخيص، كلاهما بالقروين، وصحيح مسلم، ولازمته في قراءة **عبادة المختصر بالدردير** وكان درسه فيها مشهودًا لازمته فيه بالقروين، ثُمَّ بجامع عين الخيل».

= (ص٤٣-٤٧)، معجم المطبوعات المغربية (ص١٠٥-١٠٦)، النعيم المقيم في ذكر مدارس العلم ومجالس التعليم (٣/١٨٨-٣٧٢)، نيل المراد بمعرفة رجال الإسناد (١- ١٧) وما بعدها. معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين لابن زيدان (٢-٤٠)، سل النصال (ص٣٢ -٣٣).

(١) (ق٨).

(٢) ولد سنة ١٢٧٠ وتوفي سنة ١٣٢٨. مصادر ترجمته: معجم شيوخ عبد الحفيظ الفاسي (١-٤٩-٥٢) إتحاف الأعيان بأسانيد العرفان لحسن مزور (ص٤٥-٤٨)، قدم الرسوخ (ص١٣٤-١٤٢) معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين (٢-٣٢٤/٣٢٥)، مختصر العروة الوثقى (ص٣٧)، معجم المطبوعات المغربية (ص٦٥-٦٦).

(٣) (ق٨).

وقال صاحبه العلامة الأديب القاضي أبو العباس أحمد بن العياشي سكيرج الفاسي التيجاني في كتابه «رياض السلوان»[1]: «وعلى الفقيه الحاج محمد كنون، **عبادة المختصر بالدردير**، وخاتمة **ابن السبكي** ومجالس من المطول فيه».

وقال ولده العلامة الأديب القاضي العبقري السيد عبد الأحد الكتاني[2]: «**حضر عليه في جمع الجوامع، وعبادة المختصر بشرح الدردير**».

٨) العلامة الفقيه المفتي النوازلي القاضي عبد السلام الهواري الفاسي[3]

قال في «النجوم السوابق الأهلة»[4]: «حضرتُ درسه في «**الموطأ**»، و«**الشمائل**»، و«**التلخيص**»، و«**الزقاقية**»، وأجاز لي عموما بكل مروي له، **وكان ذلك بعد عصر الثلاثاء حادي عشر رمضان عام ١٣١٩**».

---

(١) (ص٤٣).

(٢) (٤/١).

(٣) ولد سنة ١٢٥٨ وتوفي سنة ١٣٢٨. مصادر ترجمته: النجوم السوابق الأهلة (ق٢-٢٤) نسخة الحرم المكي الشريف، معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين (٢-١٧١)، معجم شيوخ عبد الحفيظ الفاسي (٢/١١٠-١١٣)، معجم المطبوعات المغربية (ص٣٥٣-٣٥٤) مختصر العروة الوثقى للحجوي (ص٥١)، الفكر السامي له (٢/٣٧٤).

(٤) (٢/ق٢٤) نسخة الحرم المكي الشريف.

وقال في «المعجم الصغير»: «عبد السلام بن محمد بن الطاهر المقرئ، سمعت عليه **الموطأ**، والشمائل، **والمختصر** وغيره وأجاز».

ورأيت في «الكناش الأخضر» للحافظ ما نصه[1]: «سمعت..... وعلى الهواري الشمائل، **والعبادة إلى آخر باب الصيام ومجالس أُخَر من صدرها**».

٩) العلامة النحرير قاضي الجماعة بفاس السيد العلامة الفقيه قاضي الجماعة بفاس محمد بن رشيد العراقي الحسيني[2]

قال الحافظ في مذكراته[3]: «والقاضي أبي عبد الله محمد بن رشيد العراقي، في **«مختصر خليل» كثيرًا**، وفي الهمزية بالزاوية الصقلية، والزاوية الكتانية».

---

(١) (٢/ق٢٤) نسخة الحرم المكي الشريف.

(٢) توفي سنة ١٣٤٨. مصادر ترجمته: معجم شيوخ عبد الحفيظ الفاسي (١/٩١-٩٣)، مختصر العروة الوثقى (ص٥)، معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين (٢/٣٠٧)، رياض السلوان بمن اجتمعت به من الإخوان (ص١٥٠)، معجم المطبوعات المغربية (ص٢٣٧-٢٣٨)، النعيم المقيم (٨-١٣-١٢٣) التأليف ونهضته بالمغرب (ص١٥٣) سل النصال (ص٥٦). وأفرد ترجمته تلميذه العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج السلمي الفاسي المتوفى سنة ١٣٦٤ بكتاب سماه: «اليواقيت السنية المهداة للحضرة العراقية»، ومنه نسخة نفيسة بمكتبة آل سعود بالدار البيضاء.

(٣) (ق٢٩).

وقد وقفتُ على تقييده وصوله في هذه القراءة عليه في «المختصر الخليلي» من أوله إلى الوقت المختار كما في «كناشه الأخضر»[1]، وهذا التقييد في وقت القراءة، فلا أعلم هل حضر عليه فيه مجالس أُخَر؟ أم أنه وقف في هذا المحل؟

١٠) العلامة المتبحر الفقيه الأصولي البياني النحوي الميقاتي المنطقي الصوفي النظار أحد الأفراد من علماء فاس[2] أبو العباس أحمد بن محمد بن الطيب الجاوزي[3].

قال في «كناشته»[4]: «حضر عليه في الكلام والنحو والبيان والمنطق **والفقه**».

وقال صاحبه العلامة الأديب القاضي أبو العباس أحمد بن العياشي سكيرج الفاسي التيجاني في كتابه «رياض السلوان»[5]: «وعلى الفقيه السيد أحمد بن الطيب الجاوزي الفيلالي **المختصر**، والأجرومية، والألفية، والشمائل، والسنوسية، وطرفًا من المنطق، والاستعارة بالشَّيخ الطيب».

---

(١) (ق٤٦/ب).

(٢) هذه الحلى بقلم الحافظ في كتابه البحر المتلاطم الأمواج (ق٦) نسخة مكتبة السيد محمد المهدي الكتاني.

(٣) ولد سنة وتوفي سنة ١٣٢٤، مصادر ترجمته: معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين (٢/٨٩)، ومختصر العروة الوثقى (ص١٠) ط الأولى، (ص٢٧) ط د ابن عزوز، وإتحاف المطالع (١/٣٧٠).

(٤) (ق١٨١).

(٥) (ص٤٣ من النسخة المرقونة).

١١) العلامة الفقيه المعقولي أحمد بن الجيلاني الأمغاري الفاسي[١].

قال في «النجوم السوابق الأهلة»[٢]: «حضرته في الأصول كثيرًا مدة، وقليلًا في غيره».

وقال العلامة سكيرج في «رياض السلوان»[٣]: «وعلى الفقيه سيدي أحمد بن الجيلالي ابن السبكي».

سلسلة تفقهه على مذهب الإمام مالك بن أنس

قال في كتابه «نور الحدائق في إجازة الشَّيخ محمد الصادق» ما نصه[٤]: «سلسلة الفقه المالكي»[٥]: «أخذتُ الفقه عن جماعة من الأعلام: كشيخنا الوالد، وشقيقنا الشَّيخ أبي الفيض وغيرهما، وهما أخذاه عن خالي أبي البركات جعفر بن إدريس الكتانيّ.

وأروي الفقه أيضًا عنه، وعن أبي العباس أحمد بن الطالب بن سودة، والقاضي حُميد بناني، وأبي محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي وغيرهم،

---

(١) توفي سنة ١٣٥٢، ترجمته في: قدم الرسوخ (ص٣٢١-٣٣٣)، إتحاف ذوي العناية (ص١٥)، الفكر السامي (٢/٣٨٣)، مختصر العروى الوثقى (ص٤٥)، معجم شيوخ عبد الحفيظ الفاسي (١/١٤٥-١٤٦)، و سل النصال (ص٧١-٧٢)، وإتحاف المطالع (٢/٤٦٦).

(٢) (ق٣٤).

(٣) (ص٤٣ من النسخة المرقونة).

(٤) (ص١٣٠-١٣١) بعنايتي.

(٥) وهذه السلسلة لا يشترط فيها الإجازة العامة، بل هي للتفقه والدراية، وقد تكون مقرونة بالإجازة العامة وبأخذ غير الفقه من المرويات كما هو ظاهر.

تفقّه خمستهم بشيخ الجماعة في المغرب، أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحجرتي، وهو تفقّه بشيخه أبي محمد عبد السلام اليازمي.

ح وأعلى منه بدرجة: أنّي أروي علم الفقه أيضًا عن شيوخنا؛ ابن سودة، وبناني، والسيد محمد بن أحمد الحسيني، والمعمّر سالم بن العربي الحمري؛ أربعتهم عن الشَّيخ بدر الدين الحمومي الفاسي، وهو واليازمي تفقها بشيخ الجماعة أبي عبد الله محمد التاودي بن سودة المري، وهو تفقّه بالشَّيخ ابن عبد السلام بناني، ومحمد بن قاسم جسوس، والشَّيخ يعيش الرغاي، وهم أخذوا عن أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي وغيره ممّن أخذ عن أبيه أبي السعود عبد القادر بن عليّ بن يوسف، وهو من أصحاب المنجور والقصار: كالعارف الفاسي، والجنان، وأبي محمد عبد الواحد بن عاشر، وأبي القاسم بن أبي النعيم، وأبي العباس المقري، بعضهم عن القصّار، وبعضهم عن المنجور، أمّا القصار فعن سيدي رضوان الجنوي، عن سُقَيِّن، وأمّا المنجور فعن سقين وغيره من أصحاب ابن غازي، عن ابن غازي، عن القوري، عن أبي موسى الجاناتي، عن أبي عمران موسى العبدوسي، عن سيّدي عبد العزيز القروي، عن أبي الفضل راشد الوليدي، عن أبي محمّد صالح الهسكوري، عن أبي موسى المومناني، عن أبي القاسم بن بشكوال، عن ابن عتّاب، عن أبي محمد مكي القيرواني، عن أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، عن أبي بكر بن اللَّباد، والأبياني، ودرَّاس بن إسماعيل، والأبهري، عن يحيى بن عمر البلوي الإفريقي القيروانيّ مؤلف «الاختصار المستخرجة»، عن سحنون، وعبد الملك بن حبيب، عن ابن القاسم، وأشهب، عن مالك،

عن ربيعة ونافع؛ الأول: عن أنس، والثاني: عن ابن عمر وهما عن رسول الله ﷺ.

وللمغاربة طرقٌ كثيرةٌ أشار لها الشَّيخ أبو مهدي عن الثعالبي في «كنز الرواية المجموع»[١] راجع سياقه في «الرحلة العياشية»، و«الناصرية» والله أعلم».

❋ ❋ ❋ ❋

(١) (ق٥٦- ٦٠ نسخة المصنف منه).

أعماله

تشعبت وتنوعت أعمال المؤلف بين العلم والتعليم والتدريس، والوعظ والإرشاد والتذكير، والجهاد والإرشاد والإصلاح العلمي والديني والاجتماعي والسياسي، ومحاربة الإلحاد والملحدين، والتبشير النصراني، والذي كان السدَّ الأبرز المقاوم له في جبال الأطلس بين قبائل البربر الذين كان يفد عليهم بعد تعطيل الدروس في القرويين، ويقيم مدة تزيد على الشَّهرين في الخيام في البوادي مع طلابه ومحبيه من أصحابه وفقهاء مجلسه، لنشر تعاليم الإسلام، وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم أحكام الطهارة والصلاة والعبادات، ويتولى المصنف بنفسه تدريس التفسير والحديث النبوي الشريف كل يوم، مع موعظة العامة وتحبيبهم في دينهم، ومقاومة البدع والفرق الضالة وغلاة الطوائف مما هو حَرِيٌّ بأن يفرد بمصنف مستقل يسَّرَ الله ذلك، ولكني أتعرض في مقدمة هذا الكتاب لما يتصل بمادة الكتاب الأساسية، ألا وهي: إحياؤه للسنن النبوية ودعوته لها، ثُمَّ أعمال المصنف في الفقه المالكي وخدماته له، فسأذكر ما يتصل بجهود المصنف في هذين المجالين وأعماله فيهما على سبيل الإيجاز والاقتضاب، فأقول وبالله التوفيق:

جهوده في إحياء السنن النبوية

دعوته في دروسه إلى إحياء علوم الكتاب والسنة والانتصار لهما

كان الإمام رحمه الله تعالى بما رزقه من سعة في العلم وتفنن فيه واسع المدارك رحب المعارف غير جامد على حرف أو مذهب أو طريقة أو نحلة، بل كان حُرَّ الفكر واسع الرأي والاطلاع، درس المذاهب الإسلامية في مصنفات أصحابها، ولقي رجالات كل مذهب ودَارَسَهُمْ وجالسهم وذاكرهم وثاقفهم، ممَّا جعل شخصيته العلمية والفكرية فذَّةً في زمانها وأوانها، وقد كان منهجه ومذهبه في الفقه الإسلامي أنه مالكي أثري يميل إلى ما نصرته الأدلة الشرعية من الأقوال الفقهية، وسيأتي لهذا مزيد بيان، إلَّا أننا نشير هنا إلى أنَّ دعوته إلى العودة إلى الكتاب والسنة تتجلى في صور عديدة؛ نذكر منها:

- دعوته إلى تقديم الكتاب والسنة والانتصار لهما وتجلية الشبه المثارة حول دعوته في دروسه الحافلة، التي كان المسجد الأعظم بمدينة فاس -جامع القرويين- شاهدًا عليها مدة تنيف على الستين سنة، حيث كان الإمام يدرس الكتب العالية في التفسير والحديث النبوي الشريف والفقه المالكي، وقد قال هو في صفة دروسه في إقراء موطإ الإمام مالك في مراسلته مع الإمام السيد محمد المكي بن عزوز ما نصه: «ومما وقع لي

في هذه المسألة أني كنت عام أول أقرئ الموطأ في القرويين، فوصلتُ إلى حديث المسألة، فقرَّرته وصوبت القائل به، وزيَّفتُ مذهب المخالف على عادتي في دروسي الحديثية، ولو في القرويين من غير حشمة، فبلغ ذلك إلى رجل كان وقتها بفاس يقال له شعيب الدكالي، الذي كان مع عون الرفيق فرعون مكة عفا الله عنا وعن الجميع، وكان المخزن صَدَّرَهُ وَقَدَّمَهُ نكايةً في الكتانيين بعد المحنة لانتحاله زعمًا منه ومن أنصاره، وإلا فهو فيه أفرغ من فؤاد أم موسى، كما بينت عواره وضلاله وكذبه في مؤلف لي مخصوص[1] من أشهى شيء عندي أن أتحفكم بنسخة منه بعد هذا، فلمَّا وصل إلى حديث المسألة في الموطأ قال: «هذا من مَرْوِيِّ مالكٍ لا من قوله، أو مما رواه مالك ولم يذهب إليه، فلقيته بعد ذلك وأوضحت له المنهج الذي أوضحته في «البحر» بنصوص أئمة المذهب من تقديم موطإ الإمام عند الاختلاف على المدونة، فضلًا عَمَّا دونها، وقلت له: كيف يجوز على مثل مالك في دينه وورعه وهديه أن يفتي الأمة ويدون في كتاب جعله حجة فيما بينه وبين الله، فلا يقول به، ولا يتمذهب به، فرجع إليَّ على عادته مع كل جليس، وهذا الرجل هو اليوم قاضي الجماعة بمراكش الحمراء، أُخِّرَ إليها بعد أن كان أسمى المناصب لا تروقه ولا يعشقه، لأنه يرى أنَّ أمره أجلُّ من ذلك وأعظم».

وقد دَرَّسَ على الصِّفَةِ المذكورة جُلَّ كتب الحديث النبوي الشريف، فقد ذَكَرْتُ في كتابي «الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني وجهوده في علوم السنة النبوية» أخبار إقرائه للموطإ للإمام مالك بن أنس رحمه الله

---

(١) هو كتابه «الأجوبة النبعة عن الأسئلة الأربعة».

مرارًا، وصحيح الإمام البخاري مرارًا، وصحيح الإمام مسلم مرارًا، وسنن الإمام التِّرمِذي مَرَّةً، وسنن الإمام أبي داود مرَّات، وسنن الإمام ابن ماجه، والمعجم الصغير للإمام الطبراني، وشمائل الإمام التِّرمِذي، ومختصره للشمائل[1]، وغيرها من كتب السنة النبوية الشريفة، وكتب الفقه والتفسير التي دَرَّسَها، مما ذكرته في كتابي سابق الذكر مُوَثَّقًا مُبَيِّنًا مصادر كل ذلك، ومن حضر عليه من العلماء إقراء تلك الكتب.

دعوته من خلال مؤلفاته للتمسك بالكتاب والسنة وتقديمهما

وهذا الأمر واضح في جُلِّ مصنفات الإمام وتآليفه، ونحن هنا نكتفي بأمثلة من ذلك، فمنه:

- قوله في كتابه «النور الساري على صحيح البخاري» في باب ما يجوز من البصاق والنفخ في الصلاة، قال بعد أن نقل أقوال عدد من كبار فقهاء المذهب في مخالفتهم لنصّ المدونة عملًا بحديث الباب[2]: «فانظر كيف كان شيوخك وشيوخ أشياخك حملة الفقه ووعاته يقدمون حديث الصحيح على نصِّ المدونة إذا خالفته».

- وقال في كتابه «منية السائل اختصار الشمائل» في باب عبادة النبي ﷺ ما نصُّه: «قلت: لاح لي أن ألحق هنا فصلًا أذكر فيه كيفية صلاته ﷺ، مِمَّا لَعَلَّكَ لا تقف عليه إلا بعد مطالعة عدة دواوين في أجيال متطاولة، فأقول:

(١) سيأتي بعد قليل نقل من مختصره للشمائل يوضح سبب إيراد الكتابين هنا مع كونهما من كتب الشمائل.

(٢) (ق٢٠/أ).

«... ثُمَّ يرفع ﷺ يديه حين إحرامه مُكَبِّرًا جهرًا، قابضًا يده اليُسرى بيده اليمنى على صدره، ولم يثبت عن النبي ﷺ خلاف هذه السُّنة...» اهـ باختصار.

- وقال في ختام كتابه «نور الحدائق»[1] لدى وصيته للمجاز ما نصه: «ومن أشرف ما يُتقى به مخاوف الدُّنيا والآخرة علم الكتاب والسُّنّة، فهما القسطاس الأقوم، والأقنوم للسّعادات الأقوى الأتمّ. ففي الكتاب والسنة علم الأوائل والأواخر، وتمدن العصر الحاضر، بل هو المثال الذي اتخذه الحكماء منهاجًا، وسلك الشطَّار اهتداء به واتخذوه سراجًا، وكلّ من أراد أخذ الدين غضًّا طريًّا مجرّدًا عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فليأخذه منهما بعد إتقان آلتهما، وإياك أن تكون كقومٍ أكثروا من الآلات والأسباب، وتركوا المقاصد وراء ظهرهم، فمثال من يدمن قراءة النحو والبيان والأصول والمنطق وغيره، ولا يستعملها فيما وضعت لأجله وسيلة، كمن بقي كلّ عمره يجمع آلة بناء دارٍ ولم يبن، فكلّما قيل له: أين الدار لتسكنها؟، قال: لا زلت في الاستعداد لبنائها، مع أنّ العمر قصيرٌ، والوقت سيفٌ إن لم تقطعه قطعك، وقد عمل قوم على السوابق وقومٌ على اللواحق، وقال الحكيم: أنا ابن الوقت».

ثُمَّ قال: «ولا تنس في العبادات والمعاملات موطأ الإمام مالك، فإنها النور السادح والهدي المحمّديّ الخالص المقطوع به، ولا تزعزعك شقاشق المتفقّهة، فقد أجمع النظّار على أنّ الموطأ المرجع عند الاختلاف، وهي المقدّمة أحاديثها وفتاويها على كلّ فتوى، لو كان ناقلها مَن كان، ومن علم

(١) (ص١٨٦-١٨٨).

أنّ هذا الإمام أجلُّ من أن يَرْوِيَ للنّاسِ ما ليس عليه عمل، علم أنّ مالكًا في واد، والذين يدعون تقليده في وادٍ، فمذهب مالكٍ ما حوته موطؤه، فإنه آخرُ وأوّلُ ما أملاه وصنَّفه، وبها كان يفتي إلى أن لقي ربّه. وقد بسطنا هذا بما لا مزيد عليه في «البحر المتلاطم الأمواج»، واعلم أنّ المذاهب كلّها على هدىً وطريق قويمة، إلا ما كان دليله في الصّحيحين أو أحدهما فهو أقوم منها، ولو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف». اهـ.

وفي هذا النص فوائد نجلي بعضها، فنقول:

قد جعل الإمام الحافظ الإجازةَ والاتصال الحديثي مدخلًا ووعاءً لنقل أفكاره العلمية ومبادئه الإصلاحية، وهي وسيلة وغاية تغيب عن الجُهّال وأتباعهم ممّن نظروا إلى علم الإسناد نظرةً قاصرة لقصورهم عن كُمّلِ الرّجال، فجعلوا الإسناد والمُسنِد في مقام الذمّ لخلو مقلّديهم من دقائق صناعته، واقتصارهم على التقليد والتركيب، وجهلهم بفوائده العديدة التي أشرنا إلى واحدة منها هنا.

ويبقى المثال الأوضح والأجلى لذلك من مُصنَّفاته التي وقفنا عليها هو كتابه هذا «البحر المتلاطم الأمواج»، وسنفرده ببحث مستقل.

دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة
من خلال الإجازات التي كان يكتبها لطُلَّابِه

من ذلك قوله في إجازة تلميذه العلامة محمد بن أبي بكر التطواني[1]: «مؤكدًا عليه الاشتغال بالسنة وعلومها والإكباب على تعاطيها،

(١) ذيل الفهرس العلمي (ص١٣٦)، وعنه كتاب ابن عزوز عن الفقيه التطواني (ص٢٢٠).

والجُثي بين يدي أهلها وحملتها، فإنها والله الحبل المتين الذي من تمسَّك به وصل واتصل وأوصل، ومن أعرضَ عنها انقطع، وعن الله ورسوله انفصل».

نماذج من دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة
من خلال الإجازات التي كان يكتبها على لسان مشايخه

قلتُ: والأظرفُ من ذلك قوله في الإجازة التي أنشأها على لسان والده الإمام السيد عبد الكبير الكتاني للشيخ المحدث المسند الإخباري أحمد أبو الخير العطار الهندي المكي[1] فقال: «بَلْ وَقَدْ أجزت بكلِّ ذلك كافّة من أدرك جزءًا وَلَوْ قَلِيلًا من حياتي وعقبي، إجازةً عامةً مطلقةً تامةً، وعلى الأخص من ينتحل صناعة الحديث وَالعَمَلَ بِهِ» اهـ بتاريخ ثامن وعشري محرم عام ١٣٢٦.

دعوته إلى مبادئه في رحلاته ومراسلاته ووصاياه

كان المصنف كثير الترحال والتنقل في ربوع العالم الإسلامي، وفي كل محل حلَّ فيه إلا ودرّس وحدّث وَشَنَّفَ الأسماع بما وهبه الله تعالى من علوم ومعارف، وقد كان كما وصلنا من رحلاته شديد الحرص على الدّعوة إلى تقديم الكتاب والسُّنة، ونحن هنا نشير إلى ما وقفنا عليه في رحلات المصنف من دعوته إلى سنة القَبْض في الصلاة لمناسبة لا تخفى.

(١) حفظ لنا السيد طرفًا منها في كناشه الأخضر (ق٨٧/أ).

قال في رحلته الحجازية الأولى[١]: «وقد كان رافقنا من سويس في البحر بعض الأجلة من القطر التونسي وتأنسنا بهم، منهم أحد المدرسين بجامع الزيتونة الأديب الشَّيخ محمد الطاهر بن سليمان بطيخ المالكي[٢]، واستجازني في الحديث والطريقة الشاذلية وغيرها، فأجزته عمومًا، وقيَّدَ عني فوائد...».

ثُمَّ قال: «وجرى أيضًا ذكرُ مسألة القَبْض في الفريضة والبسملة الجهرية والرفع في المواطن الثلاث، وأفدته أنَّ ما اشتهر في كتب المتأخرين مِنَ الإمام المازري فمن بعده، أنه يستحب قراءة البسملة في الصلاة مراعاة لخلاف الشافعي لا معنى لمراعاة قول مذهب آخر، مع أنه وجد القول بوجوبها أيضًا طبق مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه في مذهب مالك، حكاه القاضي عياض في «الإكمال» ومن بعده، فأي معنى لمراعاة خلاف الشافعية في هذه المسألة؟ وهذا ظاهر جلي واضح، وتذاكرنا أمر القَبْض، فقلت له: أما أولًا فإنا مالكية لسنا بقاسمية ولا بأشهبية، وهذه مقدمة مسلَّمة نتيجتها أنَّ ما قاله في كتابه أولى مما روي عنه في غير كتابه، وهذا هو الشأن في كل ما خالف القول الكتاب مع جهل المتقدم من المتأخر، وثانيًا أن من عدانا إن كانوا قاسمية فلابن القاسم رواية عن مالك في القَبْض، وهي أنه أحد من روى عن مالك الموطأ، وعدَّ

---

(١) (ق ١٩٥/١٩٦).

(٢) توفي سنة ١٣٢٩ كما قيده الحافظ عن صاحبه العلامة قاضي المالكية بتونس محمد الصادق النيفر في كناشته رقم (٢٦١) (ق ١٠٥)، وفي ترجمته من عنوان الأريب (٢/١٠٢٦-١٠٣١) أنَّ وفاته كانت قبل ذلك بسنة سنة ١٣٢٨.

به من جملة من رواه، وأما ثالثًا؛ ففي المدونة ما بين الشيوخ لما رووها خالفت مشهور النقل عن مالك، وعن صاحب الشرع ﷺ قولًا واحدًا أولوها بالتأويلات الثلاث، قال شرَّاح خليل: فإن فعله تَسَنُّنًا على مذهب المدونة أيضًا، وهذه مقدمات لا أظنُّ أي مكابر يقدح فيها بالمرة قولًا واحدًا، وهي مع قِصرها لا تقبل الخدش والتخمين، وطال البحث بما لا يخلو من فائدة.

وفي «الرحلة الجزائرية التونسية القيروانية» يذكر عددًا من الأخبار من مذكراته في هذا الباب ودعوته للرجوع إلى الكتاب والسنة.

ومن ذلك ما سيأتي في نصِّ مراسلاته مع العلامة محمد المكي بن عزوز من مواقف وأخبار كثيرة تتَّصلُ بهذا الجانب من شخصيته.

ومن ذلك ما كتبه في وصيته لتلميذه العلامة مُحدِّث الحرمين الشَّريفين الشَّيخ محمد المنتصر الكتاني رحمه الله تعالى، ونصُّه[١]: «وعليه أن يتعاطى هذه الوسائل- علوم الآلة - بصفة كونها وسائل ولا يراها مقاصد، فينقطع بها عن علمي التفسير والحديث، خصوصًا سنة جده الرسول الأعظم، ففيهما الشفاء من جميع أدواء الجهل والداءات الحسية والمعنوية، فمن تعاطى كلام الرسول الأعظم باعتبار أنه المُصلح الأكبر، والمُربّي الأعظم، وأُقْنومَ الإسعاد الديني والدنيوي، وَجَدَ فيه كل شيء، واستفاد منه كل شيء، وتحقق أنه عليه السَّلام مصلح العالم الأكبر، فيكتفي بطبه عن طب الأطباء، وبحكمته عن حكمة الحكماء، وبفقهه عن فقه

---

(١) (ق١/٢).

الفقهاء، وجميع المُشَرّعين والمفتين، وبفصاحته وبلاغته عن بلاغة جميع البلغاء...».

تعظيمه لأهل الاجتهاد في تراجمه لهم في مؤلفاته وإبدائه لإعجابه بمؤلفاتهم وأرائهم

وهذا واضح في قسم من ادعى الاجتهاد أو ادُّعي فيه، من كتابه «البحر المتلاطم الأمواج»، وفي كتابه «إفادة النبيه في من ادعى الاجتهاد أو ادُّعي فيه» المنتخب منه، كما يظهر أيضًا واضحًا جليًّا في كتبه التاريخية والإسنادية، فمن يقرأ مثلًا ترجمة الحافظ ابن حجر من كتابه «فهرس الفهارس»[١]، وترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية منه[٢]، وترجمة العلامة صالح بن محمد بن نوح الفلاني[٣]، وترجمة الإمام الشريف محمد بن علي بن السنوسي[٤]، وغيرهم من أعلام هذا المشرب الأثري، يُدْرِك منزلتهم السامية والخاصة في قلب الحافظ ووجدانه، وتعلُّقَهُ بهم، وميله إليهم، فتراه يهتم بآثارهم ومؤلفاتهم، ويحصلها ويطالعها ويعتني بها، ويظهر ذلك في إبدائه لإعجابه الشّديد بالعلماء الذين من أرباب هذا المسلك، بل إنّ تراجمهم هي الأطول والأنفس في كتابه «فهرس الفهارس» كما يظهر بالتتبع والاستقراء.

---

(١) (٣٢٧-٣٢١/١).

(٢) (٢٧٨-٢٧٤/١).

(٣) (٩٠٦-٩٠١/٢).

(٤) (١٠٤٩-١٠٤٠/٢).

وقال في ترجمته لوالده من «فهرس الفهارس»[١]: «مُحَكِّمًا للسنة في أحواله أقوالًا وأعمالًا حركةً وسكونًا، حتى تَجَسَّدَتْ به، لا مذهب له ولا طريقة دون الكتاب والسنة، كتابه المُصْحَف، مات وهو يكتب القرآن في اللَّوْح، مع أنه كان شديد الحفظ له من صغره، وديوانه «الصّحيح»، ختمه نحو الخمسين مرة ما بين قراءته له على المشايخ وإسماع له، وكان يعرفه معرفة جيدة، يستحضر نوادره ومخبآته، ويستحضر «فتح الباري» استحضارًا عظيمًا، وأتمَّ سماع وإسماع الكتب الستة، ولم يبق بفاس في عصره ولا بالمغرب من تمَّ له ذلك، يعرف النّاس له منة إحياء السنة وكتبها بفاس، والقيام عليها قيام النقاد المهرة، يستحضر أحاديث الكتب الستة كأصابع يده...».

وفي كتابه «بيوتات جبل درن وزواياه ورجاله»[٢] أثناء تلخيصه لكتاب «العواصم من القواصم» للإمام الحافظ القاضي أبي بكر بن العربي نقل عبارة له ذكرها عن نفسه في كتابه المذكور، ووقفها بقوله: «شهادة ابن العربي لنفسه بالاجتهاد».

وأُسجِّلُ هنا ما ذكره عنه تلميذه العلامة الكبير الفقيه محمد بن أبي بكر التطواني رحمه الله تعالى في نص فريدٍ يصوِّرُ علاقة التلميذ بشيخه، ويبرز اهتمامات الحافظ، ويصف مجالسه العامرة، رحمه الله تعالى، ونصه[٣]: «في رحلتي الثانية إلى فاس، التي قضيتُ فيها أزيد من عشرة

---

(١) (٧٤٥/٢).

(٢) (ق٦/١٩).

(٣) ترجمته لنفسه المنشورة بذيل الفهرس العلمي للقاضي رشيد المصلوت =

أعوام، إذا قلت: إن معظم هذه المدة كانت وقفًا على ملازمة الشَّيخ لا أعتبر نفسي مغاليًا، نسختُ الكثير من كتبه[١]، ولازمت دروسه الحديثية، وفي معظمها كنت القارئ بين يديه، وَقَلَّمَا تخلَّفتُ عن رفقته في أسفاره، ومع كثرة ما كنتُ أسمع منه، وهو المورد العذب والكعبة المحجوجة لكتاب التاريخ وطلاب البحث، فإن المتعة الروحية والحديث يدور حول أقطاب الكمال، وعظماء الرجال، هي التي كنتُ أشعر بها في مجالسه الخاصَّة التي كانت تستغرقُ عدة ساعات، وربما تمتدُّ إلى منتصف الليل، وكنت أحيانًا لا أملك عيني شوقًا إلى من هاموا بحبِّ الله، وجندوا مواهبهم بالحال والمقال لإعلاء كلمة الله، والشَّيخ نفسه بسعة اطِّلاعه ووقفوه على الكثير من نوادر ما أبقته الأيام من آثار الأئمة الأعلام، كان يُقَدِّرُ قدر الرجال بما يشهد لهم بالكمال من خالد الأعمال، والموفق من يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال.

ولقد قال لي في يوم من الأيام، وهو في طريقه إلى الزاوية: أربعة من الأئمة أجد لهم في قلبي من الإجلال ما لم أجده في غيرهم من عظماء الإسلام، وظننت - وهو ابن الزاوية - أنه سيذكر الشَّيخ الأكبر، ومن هم على مشربه، ولكن الواقع بعكس ذلك، فالأربعة هم: ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦، وابن العربي المتوفى سنة ٥٤٣، وابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧، وابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٧...».

= (ص١١٨-١٢٠)، وعنه الدكتور محمد بن عزوز في كتابه «العلامة محمد بن أبي بكر التطواني السلاوي» (ص٣٣-٣٤).

(١) ذكرنا منها ما وقفنا عليه في كتابنا «المعجم المعرف بمؤلفات الإمام الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني وما لحقها من أعمال».

ثُمَّ قال: «وبالجملة، فالشَّيخ كان يُقَدِّر قَدْر الرِّجال بما خلفوه من الآثار التي تشهد لهم بالكمال، بقطع النظر عن ميولهم المذهبية والعقدية، فابن حزم، وابن العربي، وابن عقيل، وأبو جعفر الهاشمي، وعياض، والغزالي المتوفى سنة ٥٠٥، وابن الجوزي، والقطب الجيلالي المتوفى سنة ٥٦١، وابن تيمية، والحاتمي المتوفى سنة ٦٣٨، الكل عند المرحوم مع ما بينهم من التنافر أئمة عظام، وبهم وبأمثالهم يعتز الإسلام». اهـ

ميله للاجتهاد المنضبط بضوابط العلماء دون الخبط خبط عشواء وطريقة الأدعياء

وقد شرح فكرته ومبادئه في ذلك في مراسلته مع العلامة محمد المكي بن عزوز، بل للمصنف مصنف أسماه: «الاستناد في تيسير الاجتهاد»، أشار له في خاتمة ترجمة العلامة الطيب بن كيران من كتابه «إعلام الحاضر والآت بما في السّلوة من الهنات»[١].

وسنفرد فصلًا في التعريف بمبادئ منهاج وطريقة المصنف، والمؤكد أنها تخالف طريقة الأدعياء ممَّن تزبَّب قبل أن يتحصرم، وارتقى مرتقًا صعبًا لم يكن له بأهل من ذم التقليد والمقلدين جملة، ودعوى الاجتهاد بالتشهّي والتمنّي، وهو حقيقٌ بأن يجتهد في نفي الدَّعاوي والأكاذيب التي اختلقها هو وحزبه من الوضَّاعين من بعده.

---

(١) (ق٢/٢).

جهوده في التجديد في الفقه المالكي

وأما جهوده في التجديد في الفقه المالكي، فيمكن عرض محاور هذا الموضوع في ثلاث رئيسية:

المحور الأول: جهود المصنّف في التّصنيف والتأليف في الفقه المالكي.

المحور الثالث: والجهد الثاني جهوده في إصلاح تدريس الفقه المالكي تطبيقًا وتنظيرًا.

المحور الثالث: في حفظه لكتب المذهب ونوادر ما تفردت به خزانته العامرة من كتب ودواوين المذهب، وهذه المقدمة لا تسع التفصيل والتطويل، فسأكتفي بلمحة من ذلك، إلى أن يمنَّ الله علينا بكتابة مفردة في ذلك.

الجهد الأول: مؤلفاته ومصنفاته الفقهية

رأيتُ في تقدمتي لأكبر كتبه الفقهية أن أُعرِّف بما بلغني العلمُ به من تراثه الفقهي؛ لأن جُلَّه مما فات الدكتور محمَّد العلمي ذكره في كتابه «الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي»، مع ورود ذكرها وأسمائها في عدد من المؤلفات التي فُرِغَتْ مادتها في «الدليل التاريخي»، وقد سألتُ مؤلف الدليل سنة ١٤٣٣ - وهي سنة صدور كتابه بالمعرض الدولي للكتاب بمدينة الدار البيضاء - عن السرِّ في ذلك، فأجاب بأنَّ ذلك محض سهو سيستدركه في الطَّبعات اللاحقة، ونحوه وقع له في كتابه الآخر «إفادة

السَّالك بتمييز الأعلام المتشابهة في مذهب مالك»[(١)]، فلم يذكر من مؤلفاته الفقهية إلَّا كتابين، وشان الترجمة بنقل كلام ابن سودة في التعريض بالحافظ، فأخطأ في تقليد الانحرافات السِّياسية التي كانت تُمْلِي على السُّودي تشويه صورة الأعلام الذين يترجم لهم، مما ينبغي أن يَتَنَزَّهَ عن مثله المؤرخ النزيه، الذي ينبغي أن يكتب التاريخ كما هو، دون إدخال المماحكات السياسية الضيقة في التاريخ.

لذا رأيتُ إثبات ذكر ما وقفتُ عليه من مؤلفات المؤلف الفقهية، مع بعض التعريف بها، ويمكن تقسيمها بحسب موضوعاتها إلى أقسام؛ هي الشروح الحديثية، وهي الكتب الأربعة الآتية.

١- «النور الساري على صحيح الإمام البخاري».

- إثبات نسبته إليه:

أ) قال في كتابه «نور الحدائق»[(٢)]: «كتبتُ منه من الجمعة إلى الزكاة، والتزمتُ ألا أتعرض فيه إلّا لِما أغفلته الشُّروح والحواشي».

ب) ونحوه في «المظاهر السامية»[(٣)].

ت) وقال في رسالة منه موجهة إلى صاحبه العلامة محمد المكي بن عزوز: «وأمّا مسألة الصلاة على الغائب فقد بسطْتُ فيها القول في حواشينا

---

(١) (ص٣٠٠-٣٠١).

(٢) (ص١٧١) بعنايتي.

(٣) (ق٢٧٧) نسخة المكتبة السعودية بالدار البيضاء.

على «صحيح البخاري»، التي التزمت فيها ألّا أذكُرَ ما تعرَّض له أحد من الشُّروح والحواشي بما لا مزيد عليه، ونقلتُ كلام ابن العربي في «العارضة» جوابًا عن ادعاء الخصوصية في حديث النجاشي، وقوله: «ما يَعُمُّ محمد يعمنا وما يخصه يخصنا». وقد استفسرت كلام الزرقاني في «شرح المواهب» استفسارًا أسفر عن مقابلة خشونته لابن العربي بالخشونة، والبادي بالشرّ أظلم».

ث) ونسبه لنفسه في قائمة مؤلفاته في كتابه «بيوتات جبل درن وزواياه ورجاله»[1].

ج) وأحال عليه في كتابه «البحر المتلاطم الأمواج»[2]، ونعته بحواشينا على الصحيح.

ونسبه إليه جماعة، نذكر منهم:

١- ولده القاضي عبد الأحد في مقدمة فهرس الفهارس[3].

٢- وابن خالته في «مطالع الأفراح والتهاني»[4].

٣- ونسبه له تلميذه وابن أخيه العلامة الصُّوفي الصَّالح السيِّد محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني رحمه الله تعالى في كتابه «سبيل الجنة في الاعتصام بالسنة»[5].

---

(١) رحلة مراكش والحوز والصويرة (ق٥١ب).

(٢) (ق١٩٧) نسخة مكتبة العلامة السيد محمد المهدي الكتاني.

(٣) (٢٤/١).

(٤) (ص٤٢٧) بعنايتي.

(٥) (ق ٧٤) نسخة مصورة من مكتبة الشريف حمزة بن علي الكتاني حفظه الله.

٤- والقاضي السيد أبو بكر الحبشي المكي في كتابه «الدليل المشير»[1].

٥- والدكتور يوسف بن إبراهيم الكتاني في كتابه «مدرسة الإمام البخاري في المغرب»[2].

نظرة عامة في طريقته ومنهجه وبعض خصائصه:

كان الحافظ في شرحه هذا وفيًّا لمنهجه واختياره الفقهي، الذي تجلى استدلالًا وتأصيلًا في كتابه الكبير، الذي نُعنى اليوم بإخراجه «البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القَبْض من العناد واللجاج»، فجلُّ المسائل التي يتعرض لها من مباحث الفقه كان لمتأخري المالكية فيها قولٌ واحد، يخالف ظاهر النصِّ بتأويل تأولوه، فيقيم الحافظ الدلائل على اتباع تلك السُّنن، مع حرصه على نقل من ذهب إلى ذلك من أئمة المذهب المالكي تعضيدًا لقوله، ونصرةً للسنن من داخل المذهب وبأقوال محققيه.

- وكان الغالب الأعمُّ على المصنِّف الكلام على الخلاف الفقهي وما يستنبط من الأحاديث، وقلَّما تعرض للمباحث الإسنادية، وعندما يتعرض لها يحيل على مصنفاته التي عالج فيها ذلك المبحث الإسنادي، وذلك ككلامه عند باب: «ما يقول إذا أمْطَرَتْ»[3] عن متابعة الإمام ابن المبارك، وسرُّ إيراد الإمام البخاري لها، وأحال على جزئه الذي أفرده لهذه المسألة

---

(١) (ص١٦٧).

(٢) (٦٠٣/٢).

(٣) (ق١١).

بخصوصها، وسماه: «المنافحات عن أسرار المتابعات»[١]، ومن المباحث الإسنادية الهامة مبحث ترجمة عبد الكريم بن أبي المخارق البصري في باب «التهجد بالليل»[٢]، وقد أحال على ما فصله في كتابه «البحر المتلاطم الأمواج»[٣] من حال هذا الراوي.

- قد يزيدُ زوائد وفوائد فيما يتَّصلُ ببعض أحاديث الصَّحيح، وما وقع للمُخرِّجين بخصوصها، ومثاله[٤]: تنبيهه على اقتصار جماعة[٥] على عزو حديث: «إذا جاء أحدكم والإمام يخطب أو قد خرج فليصلِّ ركعتين» لمسلم خاصةً، مع أنه في «صحيح البخاري»، وحدَّدَ الباب الذي ورد فيه، وبيَّنَ وجه العذر لمن اقتصر على عزوه لصحيح مسلم، وهو أنَّ الإمام البخاري لم يذكره في مظَّانه.

- من الملاحظ أنَّ المصنِّف يجري على مسلكه الذي شرحه في «البحر المتلاطم الأمواج» من تقديم نص «الموطأ» على نص «المدونة»، وهذا كثير جدًا في القطعة التي بين يدينا، ومثال ذلك: المسألة الأولى التي

---

(١) حققته وألحقته بمجموع من مصنفات المصنف الحديثية، يسَّرَ الله طباعته.

(٢) (ق١٦/أ).

(٣) (ق٤٣/٤٥).

(٤) (ق٤).

(٥) منهم ابن رشد في «بداية المجتهد» (١/١٧٣) دار الحديث القاهرة، والمنذري في «تلخيص السنن» (١/٣١٨)، والنووي في «شرح المهذب» (٤/٥٥٠)، والحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٣/١٠١٢)، والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (١/٤٤٢).

تعرض لها في شرحه، فإن نص «المدونة»[١] على كراهية قراءة الإمام بسورة فيها سجدة، إلا أنَّ الحافظ ذكر أنَّ الإمام مالك خَرَّجَ حديثَ الباب وسكت عنه فكان هو المعول عليه عندنا من مذهبه، ثُمَّ نقل من صوَّبَهُ من أعلام المذهب وهو بهذه المسألة يباين شروح المالكية لكتب الحديث فانظر مثلًا «الإكمال» للقاضي[٢]، و«المعلم» للإمام المازري[٣]، و«الفجر الساطع» لشيخه العلامة محمد الفضيل الشبيهي[٤].

وانظر باب: «الصفوف على الجنازة».

وفي باب: «ما يجوز من البُصاق والنفخ في الصلاة» قال: بعد أن نقل أقوال عدد من كبار فقهاء المذهب في مُخالفتهم لنصِّ المدونة عملًا بحديث الباب[٥]: «فانظر كيف كان شيوخك وشُيوخ أشياخك حملة الفقه ووعاته يقدمون حديث الصَّحيح على نصِّ المدونة إذا خالفته».

- وقد اعتنى في شرحه هذا بأقوال عُلماء المذهب المالكي، وعرض نُصوصهم في المَسائل الفقهية المبحوثة لديه، وعن الكتب التي نقل منها دون أن يكتفي بالإشارة إلى الأقوال الفقهية دون عزو على عادة المتأخرين.

---

(١) (١/٢٩١)، واختصار المدونة لابن أبي زيد القيرواني (١/١٧٦) ط نجيوبيه، مناهج التحصيل (١/٣٩٦-٣٩٧)، والتبصرة للخمي (٢/٤٢٩-٤٣٠).

(٢) (٣/٢٨٤- ٢٨٥).

(٣) (١/٣١٨).

(٤) (٣/١٨٤-١٨٥).

(٥) (ق٢٠أ).

- يُرَجِّحُ وينصُّ على ما يَجْنَحُ إليه من المسائل الخلافية بعد استيفاء الاستدلال لها، ولهذا أمثلة في القطعة التي بين يدينا.

- يُنَبِّهُ على أوهام من سبقه من الشُّرَّاح، وخصوصًا الحافظ ابن حجر، مثال ذلك: قول الحافظ في «الفتح»[١] في كتاب: الجمعة، باب: إذا رأى الإمام رجلًا جاء وهو يخطب أمره أن يصلي ركعتين، من أنَّ قصَّة سليك الغطفاني واحدة لم تتعدد، فذكر أنَّ ذلك خلاف ما للحافظ في «تلخيص الحبير»[٢]، وزاد في تخريج أحاديث الباب، فذكر أنه وقف عليه من حديث سليك، وجابر، وأبي هريرة، وسهل بن سعد، أشار لحديثهم التِّرمذي في «الجامع»[٣]، بعد أن أخرجه عن أبي سعيد الخدري[٤]: وكأنه لم تقع له عن أبي ذر أخرجها الطبراني[٥]، وعن أنس خرَّجها الدارقطني في السنن[٦]،

---

(١) (٢/٢٣٥).

(٢) (٣/١٠١٢) ط أضواء السلف.

(٣) أبواب الصلاة باب ما جاء في الركعتين إذا جاء الرجل والإمام يخطب (١/٥١٨) ط د بشار عواد معروف. وانظر تخريج حديثهم في «نزهة الألباب» في قول الترمذي: وفي الباب (٢/١٠٠٤) فما بعدها.

(٤) (١/٥١٧ رقم ٥١١) إلّا أنَّ حديثَ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند الإمام الترمذي ليس فيه التصريح بوقوع ذلك له، بل الذي فيه أن رجلا جاء يوم الجمعة في هيئة بذة، والنبي يخطب... الحديث.

(٥) الأوسط (٥/١٥٣ رقم ٤٧٢١).

(٦) (٢/٣٢٨) رقم ١٦١٨ ط مؤسسة الرسالة، وليس فيه أنَّ القصة وقعت له، وإنما فيه دخل رجل من قيس المسجدَ ورسول الله ﷺ يخطب... الحديث، قلت: وسليك بن عمرو غطفاني كما في الاستيعاب (٢/٦٨٧)، وغطفان قبيلة من قيس غيلان، فهو غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان كما في الأنساب للسمعاني (١٠/٥٩).

وعن محمد بن قيس مرسلًا عنده أيضًا[١]، وعن معتمر بن سليمان عن أبيه عنده أيضًا[٢]. وهذا التنبيه لم ينبه عليه من جاء بعد الحافظ من الشُّرَّاح كالقسطلاني في «الإرشاد»[٣]، وشيخه الشبيهي في «الفجر الساطع»[٤].

- ينقل أراء مشايخه التي سمعها عنهم، وخصوصًا والده، انظر مثلًا: باب هل يخرج الميت من قبره[٥]، وباب موت الفجأة[٦]، باب التهجد في الليل[٧]، وشيخه العلامة محمد بن عبد الواحد الزرهوني شارح الصحيح في باب: هل يخرج الميت من قبره[٨].

- يشير إلى النُّكت الصُّوفية، وكلام أهل الحقائق في فهم الأحاديث النبوية وتوجيه مشكلاتها، ومن أجلى أمثلة ذلك شرحه لحديث: باب إذا نفر النّاس عن الإمام في صلاة الجمعة[٩].

- يهتم بإبداء أسرار الصَّحيح وأسباب إيراد الإمام البخاري للتراجم والأبواب والأحاديث، وكمثال على ذلك يُنظر كلامه على باب التهجد في الليل.

---

(١) (٢/٣٢٩ رقم ١٦٢١ ط مؤسسة الرسالة).

(٢) (٢/٣٢٨ رقم ١٦١٩ ط مؤسسة الرسالة).

(٣) (٢/١٨٧-١٨٨).

(٤) (٣/٢١٤-٢١٦).

(٥) (ق٢٣/ب).

(٦) (ق٢٤).

(٧) (ق١٦/أ).

(٨) (ق٢٣/أ).

(٩) (ق٦).

- يتعرض للمباحث العقدية، ويشير إلى اختياراته فيها، ويستدل لها، وهذا طرف من كلامه على باب الدعاء والصلاة من آخر الليل[1] على حديث «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا...»، قال: «هذا من أحاديث الصِّفات، فيجري فيه طريقة السلف والخلف، ونحن على الهدى الأول إن شاء الله، فنبقيه على ظاهره مع نفي التشبيه، تحكيمًا لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] فيه وفي غيره...».

ثُمَّ قال بعد كلام طويل: «وبالجملة؛ فسفينة النجاة طريقة أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية المُطلقة، وعلى نحلتهم مات الأشعري وإمام الحرمين وغيرهم من فطاحلة المتكلمين، فما في كتب المتأخرين سلوك غير سبيلهم، نعم مسلكهم للعامي الذي لا يفهم ظاهر النص إلا بذلك سائغ، ولكن مَوْرِدَ السلف أعذب وأحلى، فهو المنهل الأجلى، أماتنا الله على طريقتهم آمين».

- يعتني بدفع ما ظاهره التعارض من الأحاديث النبوية، مثل تفصيله عن الأحاديث المتعارضة في باب: كيف صلاة الليل، وكم كان المصطفى يصلي من الليل[3].

- كان لحضور الإصلاح الاجتماعي وتنبيهه على المناكر والأخطاء الشائعة في مجتمعه وجه بارز في شرحه، ونكتفي بالتمثيل له بما له في باب التصفيق للنساء[4].

---

(١) (١٧أ-ب).
(٢) الشورى: ٩.
(٣) (١٦/ب).
(٤) (ق١٩).

٢- «تعليق على جامع الإمام التِّرْمِذي»

- إثبات نسبته إليه:

نسبه لنفسه في عدد من مؤلفاته منها:

١- «العطايا الإلهامية في شرح القصيدة اللامية»، قال[1]: «وقد كتبتُ كليمات في ذلك - أيْ سماع الحسن البصري رحمه الله تعالى، من سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه - على كتاب الأطعمة، من جامع التِّرْمِذي فلتراجع».

٢- ونسبه لنفسه في «المظاهر السامية» وقال[2]: «لم يكمل».

٣- وفي «نور الحدائق»[3].

٤- وفي «التراتيب الإدارية»[4].

٥- وفي «بيوتات جبل درن وزواياه ورجاله»[5].

وقد نسبه إليه من ترجم له، نذكر منهم:

أ- ولده في مقدمة «فهرس الفهارس»[6].

---

(١) (ق١٤).
(٢) (ق٢٧٧).
(٣) (ص١٧١) بعنايتي.
(٤) (٣٧٢/٢) ط الأولى.
(٥) رحلة مراكش والحوز والصويرة (ق٥٠ ب).
(٦) (٢٢/١).

ب- وذكر له في «مطالع الأفراح والتهاني»[١].

ت- ونسبه له تلميذه وابن أخيه العلامة الصوفي الصالح السيد محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني رحمه الله تعالى في كتابه «سبيل الجنة في الاعتصام بالسنة»[٢].

ث - والقاضي السيد أبو بكر الحبشي المكي في كتابه «الدليل المشير»[٣].

ج - ومحمد بن الشَّيخ عبد الله التليدي في كتابه «تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه»[٤].

ح- والدكتور محمد بن عبد الرحمن الصقلي في كتابه «جامع التِّرمِذي في الدراسات المغربية رواية ودراية»[٥].

قلت: وبقي ذكره على الدكتور إياد خالد الطباع في كتابه «الإمام التِّرمِذي الحافظ الناقد، فقيه السلف، وجامع السنن» في الفصل الذي عقده لشروح الجامع[٦].

---

(١) (ص٢٨١).

(٢) (ق٧٤) نسخة مصورة من مكتبة الشريف حمزة بن علي الكتاني حفظه الله.

(٣) (ص١٦٦).

(٤) (ص١٠٨).

(٥) (ص٣٠١).

(٦) (ص١٤٣-١٤٨).

القطعة التي وقعت إلينا منه:

وقعت لي قطعة من الكتاب تقع في ثمان ورقات بخطِّ مُصنِّفها، في طرة الورقة اليسرى الأولى منه ما نصُّه: «ورقات من تعليقنا على جامع التِّرمذي، وهي تبتدئ بشرح باب ما جاء في بدء الأذان»[١]. وهي غير متوالية، فالورقة الثالثة منه في التعليق على باب إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء، ثُمَّ الورقة الرابعة من التعليق على كتاب الحدود، ثُمَّ الورقة السابعة في التعليق على باب التسمية على الطعام، ثُمَّ الورقة الثامنة في التعليق على أبواب البر والصلة.

٣- «حاشية على سنن الإمام أبي داوود»

لَمْ أَرَ من نسبها للحافظ، لكني وقفتُ عليها في هوامش نسخته من «السُّنن» المودعة اليوم في المكتبة الوطنية تحت رقم (١٨٨ك)، وقد قُمْتُ بتجريد كل تلك الحواشي، مع الإشارة إلى الحديث الذي كتبت بإزائه تلك الحواشي في كتابي «الإمام الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني وجهوده في علوم السُّنَّة النَّبوية».

كتب في البدع والحوادث وإصلاح المجتمعات:

١- «تبليغ الأمانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة»

توثيق نسبته إليه:

نسبه المصنف لنفسه في «مذكراته»، وأشار إلى ملابسات تأليفه، وقد نقلنا نصَّ كلامه في ذلك في كتابنا «المعجم المعرف بمؤلفات الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني وما لحقها من أعمال».

---

(١) (٢٣١/١ رقم الحديث ١٨٩) ط د بشار عواد معروف.

وقال في كتابه «إعلام الحاضر والآت بما في السّلوة من الهنات»[١]:
«وقد تكلمنا على هذا المؤلَّف - «العرف الآسي في العرف الفاسي» للعلامة محمد المهدي الفاسي - وعوائد أهل فاس قديمًا وحديثًا وبدعها في كتابنا «تبليغ الأمانة» فليراجع».

وقال فيه أيضًا[٢]: «سمعتها من والده - يعني خاله الإمام جعفر بن إدريس الكتاني - وقيدتها عنه عام ١٣١٨، وسقتها في كتابي «تبليغ الأمانة»».

ونسبه له جماعة منهم:

١- ولده في مقدمة «فهرس الفهارس»[٣].

٢- والعلامة عمر بن الحسن في كتابه «مطالع الأفراح والتهاني»[٤].

٣- والقاضي أبو بكر الحبشي في كتابه «الدليل المشير»[٥].

٤- والعلامة إدريس بن الماحي القيطوني في كتابه «معجم المطبوعات المغربية»[٦]، إلّا أنَّه قال بأنَّ الكتاب طبع على الحجر بفاس، وفي ذلك نظر، إذ أن النسخة التي بين يدينا من طبعة فاس إنما هي طبعة سلكية».

---

(١) (ق١/٣٩) نسخة الخزانة الملكية ٢١٩.
(٢) (ق١٤/٢).
(٣) (٢٨/١).
(٤) (ص٢٨٢-٢٨٤).
(٥) (ص١٦٨).
(٦) (ص٣٠٢).

٥- والأستاذ المؤرخ المقرئ عبد الله الجراري الرباطي في كتابه «الرحلة الربيعية إلى فاس»[١].

٦- وفي كتابه «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين»[٢]، وقال: «جعله مصنفًا هامًا قد لا يستغني عنه مسلم يسعى لإصلاح حاله وحال محيطه وبيئته».

٧- والعلامة الشريف محمد بن عبد الهادي المنوني في كتابه «المصادر العربية لتاريخ المغرب»[٣].

نظرة في مباحث الكتاب:

يمكن تصنيف هذا الكتاب ضمن كتب البدع والحوادث، والكتب المصنفة في إصلاح المجتمعات، فقد صنفه مصنفه للحديث عن الأعراس والولائم والتباهي في أطعمة الجنائز وعشاء القبر، وحكم تبرُّج النسوة وخروجهن متزينات، وشروط خروج المرأة للمسجد وغيره، وحكم سماع الغناء من الأجنبية والتلذذ بغنائها، وشروط إجابة الوليمة شرعًا، والمناكر التي توجب التخلّف عنها، والكهانة والكهان وما يتعلق بذلك، وأحكام دخول الحمام، إلى غير ذلك من المباحث.

٢- «الأجوبة الفقهية»

للمصنف كتاب مفرد عنونه بـ «الأجوبة فقهية» قال عنها: «تخرج في مجلد» وقد نسبها لنفسه في «المظاهر السامية»[٤].

---

(١) (ص٤١).
(٢) (ص١٦٣-١٦٤).
(٣) (٢٧١/٢).
(٤) (ق٢٩١) نسخة المصنف.

ونسبها لنفسه أيضًا في «نور الحدائق»[١].

ونسبها له ولده في مقدمة «فهرس الفهارس»[٢].

والعلامة عمر بن الحسن في «مطالع الأفراح والتهاني»[٣].

والقاضي السيد أبو بكر الحبشي في «الدليل المشير»[٤].

وقد وقفتُ على عدد من أجوبة المصنِّف الفقهية أشير إليها هنا، وقد اعتنى بها دراسةً وتحقيقًا أخونا الأستاذ الفاضل يونس بقيان حفظه الله تعالى ضمن مجموع، وهي تحت الطبع بدار الحديث الكتانية يسَّر الله ذلك وهي:

١) «جواب عن إقطاعات الملوك».

٢) «جواب عن نازلة في إزالة المنكرات».

٣) «جواب عن مسألتين: الأولى صلاة الجنازة بغير وضوء، والثانية: دفن الكافر بأرض المسلمين».

مصنفات في مسائل فقهية مفردة:

١- «رفع العناد عن صور الخضب بالسواد» نسبه لنفسه في «المظاهر السامية»[٥]، وفي كتابه «نور الحدائق»[٦]، وقد حققه أخونا الأستاذ يونس بقيان ضمن المجموع السابق.

---

(١) (ص١٧٦) بعنايتي.

(٢) (١/٢٦).

(٣) (ص٢٦٦).

(٤) (ص١٦٦).

(٥) (ق٢٩١) نسخة المصنف،

(٦) (ص١٧٦).

٢- «بيان الحق بلا مَين في حكم القيام لأهل العلمين»، نسبه لنفسه في «المظاهر السامية»[١]، وفي كتابه «نور الحدائق»[٢]، وقال في كتابه «منية السائل»[٣]: «ولي فيه رسالة، وهي من أوائل[٤] مصنفاتي».

٣- «إتحاف الألباء في حكم الغسل على غسالة الكبراء» نسبه لنفسه في «المظاهر السامية»[٥]، وفي كتابه «نور الحدائق»[٦]، وقد اعتنيت بهذا الكتاب وقابلته على عدة أصول خطية يَسَّر الله طباعته قريبًا بمنه وكرمه.

السياسة الشرعية:

١- «الاغتباط بأسباب سقوط ملك صاحب الرباط» وقد طبع باسم «مفاكهة ذوي النبل والإجادة حضرة مدير جريدة السعادة»، وهو في أحكام الخلافة والبيعة، وبما تنعقد وبما تسقط.

٢- «فتوى في من هم أهل الحل والعقد».

ومن أجل ما ذُكِرَ وَغَيْرِهِ ترجمه في «جمهرة فقهاء المالكية» تلميذه العلامة القاضي محمد بن محمد مخلوف التونسي في كتابه «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»[٧].

---

(١) (ق٢٩١) نسخة المصنف.

(٢) (ص١٧٦).

(٣) (ص١٥٣) ط الخيالي.

(٤) وقع في مطبوعة د الخيالي (أول) وهو خطأ، وعلى الصواب ورد في نسخة الخزانة العامة الخطية.

(٥) (ق٢٩١) نسخة المصنف.

(٦) (ص١٧٦).

(٧) (١/٤٣٧) رقم الترجمة ١٧١٨.

ومع كل هذه الجهود والخدمات للمذهب المالكي أهمل ذكره الأستاذ رزق محمد عبد العليم في كتابه «أعلام المالكية من أهل البيت»، وكتابه قاصر على بعض البعض من آل البيت عليهم السلام، من المتمذهبين بمذهب إمام أهل المدينة النبوية المنورة مالك بن أنس رحمه الله تعالى، فلو قيَّدَ مطلق عنوانه لكان به أليق وبمضمون كتابه ألصق.

الجهد الثاني: جهوده في إصلاح تدريس الفقه المالكي

وهذا المحور يمكن تقسيمه بدوره إلى قسمين: فالقسم الأول: نعرض فيه لدروس المصنف الفقهية وطريقته فيها، والقسم الثاني: لدعوته لإصلاح تدريس الفقه.

١) «الموطأ» للإمام مالك.

وقد تكرر إقراؤه له، ومن أشهر ختماته له ختمة سنة ١٣٢٩، وأذكر هنا ما وقفتُ عليه من الفوائد والأخبار عن هذه السُلْكَةِ، ثُمَّ أشرع في تعديد من حضر الكتاب على الحافظ.

قال الحافظ في مراسلته مع الإمام السيد محمد المكي بن عزوز ما نصُّه: «ومما وقع لي في هذه المسألة أني كنت عام أول أقرئ الموطأ في القرويين، فوصلتُ إلى حديث المسألة فقررته، وصوبت القائل به، وزيفت مذهب المخالف على عادتي في دروسي الحديثية، ولو في القرويين من غير حشمة، فبلغ ذلك إلى رجل كان وقتها بفاس يقال له شعيب الدكالي، الذي كان مع عون الرفيق فرعون مكة عفى الله عنا وعن الجميع، وكان

المخزن صدره وقدمه نكاية في الكتانيين بعد المحنة لانتحاله زعمًا منه ومن أنصاره، وإلا فهو فيه أفرغ من فؤاد أم موسى، كما بينت عواره وضلاله وكذبه في مؤلف لي مخصوص من أشهى شيء عندي أن أتحفكم بنسخة منه بعد هذا، فلما وصل إلى حديث المسألة في الموطأ قال: هذا من مروي مالك، لا من قوله، أو مما رواه مالك ولم يذهب إليه، فلقيته بعد ذلك وأوضحت له المنهج الذي أوضحته في «البحر» بنصوص أئمة المذهب من تقديم موطإ الإمام عند الاختلاف على المدونة، فضلا عما دونها، وقلت له: كيف يجوز على مثلك مالك في دينه وورعه وهديه أن يفتي الأمة ويدون في كتاب جعله حجة فيما بينه وبين الله فلا يقول به ولا يتمذهب به؟ فرجع إليَّ على عادته مع كل جليس، وهذا الرجل هو اليوم قاضي الجماعة بمراكش الحمراء، أخرج إليها بعد أن كان أسمى المناصب لا تروقه ولا يعشقه، لأنه يرى أن أمره أجل من ذلك وأعظم».

وقد كتب الحافظ في هامش نُسخته المخطوطة من «تنوير الحوالك» للحافظ السيوطي المحفوظة بالمكتبة الوطنية تحت رقم (٤٤٦ك) ما نُصه تعقيبًا على الحافظ السيوطي في قوله: «وهل يتصور أن توجد سنة أمر بها النبي ﷺ ولم يعمل بها»: «قلت: أفاد بعض من حضر درسي في الموطأ في رمضان سنة ١٣٢٩، أن مما يندرج في هذا: السروالُ، حضَّ عليه ولم يلبسه، وأفاد غيره أيضًا التيمم فإنه أمر به، ولم يثبت أنه صلى فريضة بتيمم أيضًا».

وقد ذكر نحو هذا في «النور الساري في شرح صحيح البخاري»(١).

وذكر أنَّ الذي ذكر الأمر الثاني هو ابن أخيه العلامة السيد محمد المهدي الكتاني، مما كان سمعه من عمه من قبل فذكره به في مجلس الموطأ.

وقال الحافظ في «مذكراته»(٢): «ومما وقع في شأن تدريسي أنه لما كبرت الحلقة بالقرويين وتجمهر الناس، وكنت أقرئ الموطأ فوشى له (للسلطان المولى عبد الحفيظ) بعض القضاة بفاس بأن درسي أصبح مشهودًا، وأتكلم في المخزن، فوقَّع خطابًا للقضاة جميعًا، وكان يريد فضيحة أحدهم بأنَّ التدريس أنا أذنته به والحديث منه، وكونه يتكلم في المخزن يحتاج إلى إثبات».

وقال في «المظاهر السامية»(٣): «وافتتح الموطأ الذي هو باكورة المذهب، وأول كتاب ألف في الإسلام، فكان يحطب فيه الكلام على الفقه من المذاهب الأربعة وغيرها، مع ذكر الدليل لكل مذهب والانتصار للحق، ويتبع المتابعات والشواهد، والتعريف بالرجال ومذاهبهم وآثارهم».

ذكر من حضر إقراءه للموطإ:

١) العلامة السيد محمد المهدي بن الإمام العارف السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني، نصَّ الحافظ في ترجمته له من «المظاهر»(٤) أنه سمع عليه ثلث الموطأ.

---

(١) (ق ١٨/أ).

(٢) (ق ٣٩).

(٣) (ق٤٧) ضمن مجموع رقم (٣٢٩٣ك) بخط المصنف.

(٤) (ق٢١٧).

٢) العلامة أبو العباس أحمد بن بوشعيب الأزموري الجديدي، ذكر في تقريظه لكتاب شيخه «المظاهر السامية»(١) حضوره لختم البخاري بالقرويين سنة ١٣٢٩، ثُمَّ قال: «وحضرت دروسه في... والموطأ».

٣) كاتبه العلامة السيد عمر بن الحسن الكتاني صاحب كتاب «مطالع الأفراح والتهاني»، صرح فيه(٢) بأنه قرأ عليه الكثير من الموطأ، وقد ذكر صفة مجلسه في الموطأ فقال(٣): «حتى إن قراءته للموطإ بين العشاءين بالقرويين يتسابق النّاس إليها، ويجلسون في مواضعهم قبل المغرب، ويحضرها أشياخ شيوخه، وهذا لم نره لغيره، وتمتلئ القرويين على اتساعها بالناس كيوم الجمعة، ولم نسمع بمثل هذا وقع لأحد من العلماء فيما مضى، وقد ذكر المؤرخون أنّ القرويين تسع من النفوس اثنين وعشرين ألفًا وزيادة، فعلى هذا كان يحضر قراءته للموطإ هذا العدد الكثير، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم».

٤) العلامة المحدث محمد العربي العزوزي المغربي ثم البيروتي، ذكر في ثبته(٤) أنه قرأ الموطأ على المُصَنِّف.

٥) العلامة الكبير الفقيه النحرير الحسن بن عمر بن الحسن الرحماني الزرهوني (١٣٢٨-١٣٩٩).

---

(١) (ق٤٦٩).

(٢) (ص١١٤).

(٣) (ص٤٩٥).

(٤) (ص١٧).

جاء في ترجمته «إسعاف الإخوان الراغبين»[1] أنه أخذ عن السيد رضي الله عنه الموطأ، ثُمَّ ذكر أنه أجازه.

٦) العلامة محمد بن أبي بكر التطواني، كما في ترجمته «من أعلام المغرب»[2].

٧) العلامة الشريف الفقيه النحرير عبد الرحمن الشفشاوني الحسني الإدريسي، جاء في ترجمته من «إسعاف الطلاب الراغبين»[3] لدى ذكره مقروءاته على المصنف «... والموطأ».

٨) العلامة المحدث الفلكي المؤقت السيد إدريس بن محمد العابد العراقي الفاسي الحسيني، فقد قال في كتابه «اقتطاف أزهار الحديقة فيما لمؤلفه من الشيوخ في علمي الشريعة والحقيقة»[4] لدى تعديده لما قرأه على شيخه الحافظ: «أوائل كتاب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، بين العشاءين في العنزة المتصلة بوسط صحن جامعة القرويين، وقد شهد له بعض العارفين بالله الذين رزقهم الله سبحانه الكشف الصريح، والاطلاع الصحيح، بأنه يحضر من لا يحصى من الملائكة لدرسه، ويجلسون عند سطح الصحن ويستمعون لدرسه ويستغفرون الله تعالى له».

قلت: وقد سمعت هذه الحكاية من شيخنا في منزله بفاس سنة ١٤٢٦.

---

(١) (ص٩٨).

(٢) (ص٣٣٠).

(٣) (ص٣٧٧).

(٤) (ص٢٥٧).

٩) الفقيه السيد عبد السلام بن قاضي بني ويشكر بالريف سيدي محمد بن محمد العوفي الريفي، ينظر الترجمة اللاحقة.

١٠) رفيقه السيد شعيب بن علال القصوي السعيدي الريفي، قال الحافظ: «كلاهما حضر عندي في الموطأ والشفا والشمائل والهمزية، وأجزتهما عامة بتاريخ ٢٣ ربيع ٢ عام ١٣٥٤».

١١) العلامة المؤرخ البحاثة الشريف سيدي محمد بن عبد الهادي المنوني المكناسي الحسني، قال في ترجمته الذاتية[1] ذاكرا شيوخه ومقروءاته عليهم: «قرأت عليه أواخر كتاب الشفا للقاضي عياض بين العشائين في جامع القرويين، ومن قبل حضرت عنده دروسًا في موطإ الإمام مالك بالجامع ذاته».

١٢) شيخنا مسند العصر السيد عبد الرحمن بن الحافظ، أخبرني أنه حضر الموطأ رواية ودراية بالقرويين، ودامت هذه السلكة نحوًا من سنة لم يقطعها الحافظ، حتى وقت الشتاء وتهاطل الأمطار، فقد كان يضع سلهامًا غليظًا، ويصعد للقرويين لتدريس الموطأ، وقد كان شيخنا أحد قرائه الثلاثة في المجلس.

١٣) الأديب السيد عبد الكبير الكتاني، أخبرني شيخنا السيد عبد الرحمن أنه كان أحد قراء الموطأ على أبيه معه، ومع الآتي بعدهما.

١٤) الفقيه السيد عبد الله التيباري الجديدي، من أهل مدينة الجديدة، وأقران شيخنا السيد عبد الرحمن المرافقين له في الدراسة، وقد كان أحد سراد الموطأ في هذه الختمة.

---

(١) كتاب الأستاذ محمد الرشيد عنه (ص٩٣-٩٤).

وقد أقرأ بعضه مرات؛ فمن ذلك في المسجد الجامع بمدينة أم عسكر بالجزائر.

قال الحافظ في «الرحلة الجزائرية»[1]: «طلب مني أهل معسكر عقد درس بالجامع الأعظم عقب صلاة الجمعة، فبعد فراغ الخطيب من الخطبة وهو مفتي البلد العلامة ابن الصديق ندب النّاس للحضور بكيت وكيت، فلم يخرج من المسجد إلّا القليل، وقرأ العالم سيدي الحاج العربي بن الشّيخ سيدي عبد الله أول حديث من الموطأ، وعليه كان الإملاء، وامتد إلى قرب العصر، وحضر جميع علماء البلد؛ القاضي، والمفتي، والشّيخ سيدي عبد القادر، والشّيخ بن الدايم، وسيدي محمد بن عبد، وغيرهم من الأعيان والتجار».

ثُمَّ ذكر ممن حضر هذه المجالس العلماء، وهم:

١) العالم الفاضل الصوفي سيدي الحاج العربي الملقب بشوف بن الشّيخ العارف سيدي بنعبد الله الغريسي المعسكري: «.. وأول الموطأ قراءة عليَّ بلفظه بالجامع الأعظم من أم عسكر»[2].

ب) «الرسالة» لمالك الصغير الإمام أبي عبد الله بن أبي زيد القيرواني

قال الحافظ في كتابه «المظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية»[3]: «وقرأ الرسالة بالقرويين باكورة المذهب المالكي الثانية فكان درسه فيها مقصودًا».

---

(١) (١/٩٤ب).

(٢) (ق١/٩٨ أ).

(٣) (ق٢٧٥ نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء).

ومن جهوده في الباب إقراؤه لمدونة الإمام سحنون بن سعيد، وقد طال العهد بإقرائها، وقد وصلنا خبر إقرائه لها في ضريح مؤلفها من خلال نصٍّ فريد لتلميذه وخرّيجه في العلوم الحديثية، محدث الحرمين الشّريفين الإمام عمر حمدان المحرسي المدني رحمه الله تعالى[1]، فقد قال في إجازته لتلميذه العلامة الكبير الفقيه محمد بن أبي بكر التطواني رحمه الله المنشورة في «ذيل الفهرس العلمي»[2] معددًا شيوخه:

«مُسْنِد الدُّنيا مَفْخَرَة الأوائل الحافظ الحجة محيي رسوم الحديث والرواية بعد اندراسهما، صاعقة العلوم والمعارف، لسان السنة مولانا محمد عبد الحي الأثري الكتاني، صاحبته بالمدينة أيام زيارته لها سنة ١٣٢٤، وسمعت عليه بالحرم الشريف «شمائل التِّرمِذي» بقراءتي عليه، ومجالس من «صحيح مسلم»، وسمعتُ عليه أيضًا ثنائيات الموطأ عند ضريحه، وناولني في سفر واحد الكتب الستة وموطأ الإمام، وقرن ذلك بالإجازة، وصحبته بتونس أيام رحلته لها، وزرت معه القيروان، **وسمعت منه بعض المدونة عند ضريح الإمام سحنون رحمه الله**، وأول الرسالة عند ضريح الإمام ابن أبي زيد رحمه الله، وأول «الملخص» للقابسي عند ضريحه رحمه الله، ونزلت بداره بفاس، وسمعت عليه سنن أبي داود من أولها إلى أواخر أبواب الصلاة، واستفدت من فرائده وانتفعت بكتبه

---

(١) ولد سنة ١٢٩٣ وتوفي سنة ١٣٦٨ ترجمته في كناشة الحافظ رقم ٢٤٣، والجواهر الحسان لزكريا بيلا (١/١٤٥-١٥٤)، الدليل المشير للقاضي أبي بكر الحبشي (ص٣١٠-٣٢٦).

(٢) (ص١٤٧).

وأكرمني فوق ما يرام أكرمه الله برضوانه التام ومتعه بأنجاله الكرام وأبقاه لإحياء السنة ونشرها بين الأنام.....».

ونحوه في ترجمته في كتاب تلميذه الشَّيخ زكريا بيلا «الجواهر الحسان»[١].

وقد ذكر إقراءه لهذه الكتب الثلاثة ولده العلامة القاضي العبقري السيد أبو العزم محمد عبد الأحد الكتاني في مقدمة «فهرس الفهارس»[٢] فقال: «وقرأ بالقيروان الرِّسالة والنوادر في ضريح مؤلفهما ابن أبي زيد، والملخص في ضريح مؤلفه القابسي، والمدونة في ضريح مؤلفها سحنون».

ونحوه في «مطالع الأفراح والتهاني» للعلامة عمر بن الحسن الكتاني[٣].

الجهد الثالث: دعوته لإصلاح تدريس الفقه

وقد كتب المصنف في تجديد التعليم ونظامه بالقرويين عدة عرائض وأبحاث مسددة رفعها للسلطان المولى يوسف بن السلطان الحسن رحمهم الله تعالى، ولعلَّ الله ييسر لي إفراد هذا المبحث بكتاب مفرد.

وقد حُبِّبَ لي هنا جلب نصٍّ فريد في طريقة إقراء المختصر الخليلي التي يرتضيها المصنف، وقد وقع ذكرها في كتاب الإمام «إعلام الحاضر والآت بما في السلوة من الهنات»[٤]:

---

(١) (١٤٩/١).
(٢) (٨/١).
(٣) (ص١٧٧).
(٤) (٢/١٦-١٧ ق).

«مهمة: ما أشرنا إليه صفة الإقراء للمختصر والفقه في مازونة التي بها تَفَقَّهَ الشَّيخ الآزمي عند إمامها الشَّيخ أبي طالب، أخذ الشَّيخ الآزمي المذكور بفاس، فقد كان في آخر أمره يختم سلكة من المختصر في ثلاثة أشهر؛ رجب وشعبان ورمضان، يجلس في جامع الأندلس بعد الصُّبح فلا يقوم إلَّا في الزوال، بل قال عنه تلميذه الشَّيخ السنوسي دفين جغبوب: من عادته - أيْ الآزمي - أنه يقرئ المختصر سردًا في مدة يسيرة نحو الشهرين، وقراءة أخرى يطول فيها، ربما بلغ الأربع سنين. اهـ

بل وجدتُ للعلامة القاضي أبي محمد عبد السلام اللجائي في تاريخه أنَّ المترجم الآزمي كان يقرئ المختصر في زمن قريب، وأنه سمع من الفاضل البركة العلامة المسن سيدي الكبير بن المجذوب الفاسي يقول: «قرأتُ على سيدي عبد السلام سلكة من المختصر بجامع الأندلس في أربعين يومًا، كان يجلس قبل الشروق إلى الظهر، ومن بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر». اهـ

قلتُ: لا شك أن هذه طريقة التحصيل التي بها يتأتى للطالب أن يأتي على الفقه الإسلامي في مدة قريبة، وكان قرين المترجم وشريكه في شيخه الشَّيخ أبي طالب، حافظُ المغرب الأوسط الشَّيخ أبي رأس المعسكري، له في الفقه ملكة تامة، بحيث يلقيه على طلبته في أربعين يومًا، كل سنة يَتَحَيَّنُ لذلك وقت الخريف لطيب الفواكه وكثرة الثمار ورخص الأسعار، لتيسر الزاد بتلك البلاد، فإذا جاء وقت الدرس الأربعين كتب لأهل قطره كتبًا فيأتونه لذلك، فيختمه في المدة المذكورة، يقتصر في درسه على تقرير المتن منطوقًا ومفهومًا، وما يعرض لذلك من إزالة إشكال أو عزو مقال،

وربما ظنَّ من سمع ذلك أنه منه قصور، والألفية فيها دأبه عشرة أيام كذلك على ما جرت به عادة أهل قطره من تنويع القراءة، يقتصرون على تقرير المتن وحل المشكل، ويطيلون الدروس، بحيث يجلسون من طلوع الشمس إلى قرب الزوال درسًا واحدًا، ومن بعد صلاة الظهر إلى قبيل المغرب درسًا واحدًا، ولا يستطيع ذلك إلا من مارس الكتاب، ويسمون تلك القراءة سردًا، فبذلك يتيسر لهم ختم المختصر في أربعين يومًا، والألفية في عشرة أيام، ويُجزئ المختصر بأربعين جزءًا، لكل جزء نصفه في درس أول النهار، ونصفه في درس آخره، ولا أنفع من هذه القراءة في تحصيل المطلوب في أقرب وقت.

قال تلميذ الآزمي ومشاركه في الأخذ عن الشَّيخ أبي طالب بمازونة الإمام الكبير الحافظ الحجة أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي دفين جغبوب في فهرسته، بعد أن وصف ما ذكر: «وقد حصل لنا بذلك نفع كبير في علوم شتى، وعادتهم أنهم يفتتحون الكتب المرادة لهم أواخر الخريف وأوائل الشتاء، فيقللون الحصص، ويبالغون في مطالعة الشروح وما عليها من الحواشي وأكثر مواد الفن، ولا يأتي أحد للدرس إلَّا بعد تحقيقه وتخيله في ذهنه قبل الشروع، فإذا شرع فيه أتى بالعجب، فالمختصر الذي يؤخذ في درسين في اليوم الغالب أنه يختمه في قريب من سنة، ومن كان يقتصر على درس واحد في اليوم فالغالب أنه يختمه في سنتين لكل سنة نصف».

قال الشَّيخ السنوسي: «وعادة المذكور وأشياخه الاقتصار على تقرير المتن وحل المشكل هي عادة أكابر العلماء، كالشَّيخ مصطفى الرماصي، والشَّيخ عبد القادر الفاسي، وأبي عبد الله بن ناصر كثيرا ما يقول للطلبة

كتلميذه اليوسي: والاقتصار على صورة المسألة أنفع للمبتدي، والإكثار من الأنقال أضر على المتعلمين، ويحكي عن أبي مهدي الجراري أنه كان يقول: حقيقة الإقراء تصحيح المتن وحل المشكل، ويحكي عن ابن عرفة أو غيره كما في «ذيل الديباج» لبابا، وعقد بعضهم ذلك بقوله:

تقرير متنٍ ثُمَّ حل مشكل نافع الاقرا وسواه عطَلِ»

اهـ كلامه باختصار.

قال شيخنا محدث المدينة ومسندها الرحلة أبو اليسر فالح بن محمد الظاهري المهنوي المدني في ثبته الكبير[1] عقب بعض ما سبق: «قال أبو عبد الله المواق في «سنن المهتدين»: أقول: تبيين ما أشكل ليس بمتعين، إنما المراد إصلاح المتن وتقرير النص، أما تبين ما أشكل ونقل الخلاف وإن كان مهمًا فليس بأهم، والأولى لكل ذي عزم وحزم أن يبدأ بالعلم الأهم فالأهم.

وفي «الإحياء»: «ومن وظائف المتعلم الاحتراز من الإصغاء إلى اختلاف الناس، فإن الإصغاء لذلك يدهش عقله، ويحير ذهنه، ويقرر درسه، ويؤتيه من الإدراك والاطلاع، بل ينبغي أولًا أن يبدأ بالطريقة الوحيدة المرضية عند أستاذه، فإن كان من عادة أستاذه نقل المذاهب فليحذر منه؛ فإن إخلاله أكثر من إرشاده، ومن هذه حاله فهو بعد في غمر الحيرة وتيه الجهل، ولذا قلت ضمًا للبيت الأول:

وذكر المواق أن المعتمد لديه في التحصيل وإن فقد». اهـ

---

(١) شيم البارق من ديم المهارق (ق٢٧) نسخة المكتبة الكتانية المودعة بالمكتبة الوطنية تحت رقم (١٣٦٠ك).

قلت: وهذه الطريقة في الدراسة هي التي تضمن للطالب النجاح، وهي كانت طريقة المتقدمين، وبها أخذ المتأخرون أيضًا من أعلام سوس، وبها يحصل النفع، وقد كان بعض من أدركناه بالسن ولم نره وأخذنا عن تلاميذه وهو العلامة الصالح النفَّاع المحدث المسند الصوفي أبو الحسن علي بن سليمان الدمنتي يختم المختصر في أربعين يومًا، والألفية في أسبوع، والجمل والأجرومية والمرشد والاستعارت ونحو هذه المتون الصغيرة في يوم واحد، والتحفة والزقاقية في ثلاث، وزاد على المتقدمين بكونه كان يدرسها بشروحه هو على المختصر، وما ذكر فإنه ألَّف كثيرًا، وكان لا يسأم ولا يمل، وحالته نادرة في المتأخرين لم تأت إلا عن القرون الأولى من الصبر والتحمل والأناة وعدم السآمة مع الاخشوشان والهروب عن الدنيا وزخارفها، وتعمير الوقت بما يعني وينفع نفسه والناس، وقد حدثني بدمنات صاحبنا الأستاذ العَشْري[1] الناسك المعمر الفقيه أبو الحسن علي بن الحسين الدمنتي أنه قرأ عليه في شهر ونصف بتمكروت سلكة كاملة من المختصر والألفية والجرومية ولامية الأفعال، ختم جميع هذه المصنفات عليه في شهر ونصف.

وقد ذكر فقيه فاس ومفتيها العلامة أبو عبد الله محمد ميَّارة شارح المرشد في كتابه «معين القاري لصحيح البخاري» لدى ترجمة شيخه الحافظ أبي العباس المقري صاحب «نفح الطيب» قال: «قرأت عليه مختصر الشَّيخ خليل من أوله إلى آخره مرتين في ست سنين، في كل ختمة ينقل عليها كلام الشراح كالتتائي الكبير والمواق وابن غازي والحطاب،

---

(١) نسبة للقراءات العشر.

وفوائد من غيرها، فقد كان ظفر بطرر وتقاييد على المختصر لم يظفر بها غيره». اهـ

وفي ترجمة العلامة أبي العباس أحمد بن القاضي صاحب «الجذوة» أنه كان يختم مختصر خليل في أربعة أشهر، ذلك دأبُهُ أبَدًا، وأغْرَبُ من هذا كله وأعجب ما في كتب الفاسيين وغيرهم من أنَّ الشَّيخ أبا المحاسن يوسف الفاسي قرأ بفاس على شيخه المعمر الفقيه الزاهد مبارك بن علي بن إبراهيم المصمودي مختصر خليل بجامع سوس من فاس خمس عشرة مرة في مدة من خمس سنين، قالوا: وكان نافذًا في تدريس مختصر خليل، مقتصرًا على حل ألفاظه، لا يزيد على ذلك إلا القليل، فكان يختمه في أقرب وقت، وممن شاركه في قراءة السلك المذكورة على الشَّيخ المذكور الحميدي، وقرأ عليه المنجور ما ينيف على أربع ختمات، وقرأ هو عليه الفرائض بالحوفي وتلخيص ابن البناء.

وفي «ابتهاج القلوب» أيضًا أنَّ أبا المحاسن الفاسي أخذ عن أحمد بن حسين الورياكلي الصنهاجي ألفية ابن مالك أخذات عدة، قيل: زاد على العشرين مرة.

وفي ترجمة قاضي فاس أبي العباس أحمد بن التاودي بن سودة في «الروضة المقصودة» لأبي الربيع الحوات؛ أنه قرأ على أبيه مختصر خليل نحو سبع مرات، كان هو القارئ في أكثرها، وسمع عليه صحيح البخاري نحو عشر مرات؛ من أوله إلى آخره، كان هو المملي في كلها أو جلها.

وبالجملة فمن تأمل ما ذكر عَلِمَ أنَّ القراءة التي عُنِيَ بها هؤلاء هي أنفع للتلاميذ، والشكل الذي عهده علماء القرويين فيها هي دراسة عنوا بها التحصيل وتربية الملكة، ولا شك أن من استقبح تلك أو هذه فقد وقع وأوقع العلم في هُوَّة، ولذلك كنت أقول وأصيح: بأني لا أرى أن كُلَّ الفقهاء يدرسون المختصر الخليلي بالزرقاني وحواشيه، ولا أن كلَّ فقيه يترك تدريسه بالزرقاني وخدمته كُلِّيًا، فإن النّاس ليسوا سواء، ومن جعل النّاس سواء ليس لحمقه دواء، فلا بد لمن أراد الإبقاء على العلم والفقه المالكي من تنويع الدارسين والمدرسين، والإبقاء على الدرس الذي تحصل به الملكة في الفقه على طريقة الأقدمين، ولو أن يشترط فيها وفي شهادة القرويين النهائية الدينية تحصيل باب كبير من المختصر بها، وإلّا ذهب العلم وتقَلَّص الفقه وذهبت دولته».

ونحوه له في «رحلته الجزائرية التونسية القيروانية»[1] بأخصر من هذا.

الجهد الرابع: في حفظه لكتب المذهب ونوادر ما تفردت به خزانته العامرة من كتب ودواوين المذهب.

وهو شيء يخطئه الحصر، لكني أقتطف من كتابي «تاريخ المكتبة الكتانية» فصولًا من التعريف بنوادر كتب المذهب التي حفظتها الخزانة الكتانية العامرة ما أذكره:

---

(١) (ق ١/١١٠).

١- «المُدونة» للإمام سحنون بن سعيد، تحت رقم (٣٤٣ك)، ومن فوائد هذا الأصل أنَّ بهوامشه نقولًا من كتبٍ نادرةٍ في المَذهب المَالكي تبتدئُ القطعةُ بكتاب الجهاد.

٢- «مسائل السَّماسرة» للإمام عبد الله بن أحمد التونسي الأُبِّياني (ت٣٥٢)، شيخُ الإمام ابنْ أبي زيد، منه نُسخَةٌ نفيسةٌ بالمكتبة (٣٣ك).

٣- نُسخَةٌ من الرِّسالة الفقهية، للإمام أبي مُحمَّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، وهذه النُّسخَة من النَّفاسة بمكان، إذ أنَّها كُتبت برسمِ سُلطان كوكو بالسُّودان الغربي أسكى أبي عبد الله مُحمَّد بان، كتبها أحمد بن أبي بكر بن علي بن دنبسل، وفرغ من كتابتها يوم الاثنين ١٣ شعبان عام ٩٩٥، وخطُّها مغربيٌّ سودانيٌّ مبسوطٌ ملونٌ، وتقع في ٧٩٦ صفحة، وهي تحت رقم (٥ك)[1].

٤- «النوادر والزيادات»، قال في «إعلام الحاضر والآت»[2]: «في المكتبة الكتَّانية قطعةٌ من نوادر ابن أبي زيد في الرَّق، فرغ منه سنة ٤١٧ بخطِّ عبد العزيز بن مسعود بن مفرج الأنصاري نفعه الله.

٥- نسخة أخرى من الكتاب نسخت في حياة مؤلفها سنة ٣٨٤، وهي من الندرة بمكان، وقد أثبت صورًا منها في كتابي «تاريخ المكتبة الكتانية».

٦- «التَّهذيبُ لمسائل المُدونة» لأبي القاسم البراذعي، في المكتبة منه السفر الأول تحت رقم (٨٣٤ك).

---

(١) فهرس المكتبة الكتانية للعلامة محمد المنوني رحمه الله (ص٧٦-٧٧).

(٢) (١/ق١٧٣).

٧- «الكافي في فقه أهل المدينة» للحافظ أبي عمر بن عبد البر، بخطٍّ أندلسيٍّ عتيق، أتمَّ نسخه مُحمَّد بن إبراهيم بن مُحمَّد بن عباد في رجب سنة ٦٦١، هو في المكتبة تحت رقم (٥٤٠ك).

٨- «اختلافُ أقوال مالك وأصحابه» له أيضًا، وهو اليوم في المكتبة الكتَّانية تحت رقم (٣٣٦٩ك)[1].

٩- «البيانُ والتَّحصيلُ والشَّرح والتوجيه والتعليل» للإمام أبي الوليد مُحمَّد بن أحمد بن رُشد القرطبي المالكي، المتوفى ٥٢٠، السفر الثامن منه وهو الأخيرُ يشتملُ على كتاب «الجامع» كله، محفوظ في الخزانة تحت رقم (١٢٢ك)، يقع في ٤٠٩ صفحة، خطٌّ أندلسيٌّ مُجوهرٌ حسنٌ، وقع الفراغُ من انتساخه عام ٨٧٩ على يد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله الأنصاري الشهير بالبقني، عليه تمليكاتٌ، منها لأبي العبَّاس أحمد الونشريسي، صاحب «المعيار»، وعبد الواحد بن أحمد بن مُحمَّد الحسني، ومَحمَّد بن الحسن البناني، صاحب «الفتح الرباني»[2].

وقد ذكر اطِّلاعه عليه في المكتبة العلامة القاضي العبَّاس بن إبراهيم في ترجمة الإمام بن رشد من «تاريخ مراكش»[3].

---

(١) وقد طُبع عن هذا الأصل بعناية الدكتور حميد لحمر والدكتور ميكلوش موراني في دار الغرب الإسلامي.

(٢) فهرس المكتبة الكتانية للعلامة محمد المنوني رحمه الله (ص٧٧-٧٨).

(٣) (٥٧/٤) المطبعة الملكية الرباط.

١٠- «أسئلة وأجوبة فقهية» لابن رشد الجد، نَسَخها عبد الله بن عبد العزيز بن سُليمان الأندلسي القُرطبي عام ٨٤٢، محفوظة في المكتبة تحت رقم (٨٧١ك).

١١- «فوائد الدارس المُشرفة على عيون المجالس»[1] لمُحمَّد بن عبد الله بن مُحمَّد ابن خِيَرة الإشبيلي المواعيني، نسخها عبد الغني بن مُحمَّد بن موسى، رقمها بالمكتبة الكتَّانية (٥٥٧ك)، ويقع في ٦٣ ورقة.

١٢- «حاشيةٌ على مُختصر خليل» للعلامة عبد الكريم بن نصار الدين البرموني، (توفي بعد ٩٩٨) في عدة مُجلَّدات ضخمة، هو بالمكتبة بخطِّه تحت رقم (٨٦٠ك)[2].

١٣- «التقسيمُ والتبيين في حُكم أَموال المُستغرقين» لأبي زكريا يحيى بن مُحمَّد بن الوليد الشّبلي، محفوظ بالخزانة الكتَّانية تحت رقم (٣٣ك)، والنُّسخَة كُتبت سنة ٨٧٦، وهي إحدى النُّسختين التي اعتمد عليها الدُّكتور جمعة محمود الزريقي في تحقيقه للكتاب، انظر مُقدمته في وصف المخطوطة الكتَّانية من الكتاب[3].

---

(١) قلت: من الكتاب قطعة في المتحف البريطاني طالعتها فيه، هي الجزء السابع عشر، وأولها كتاب الحج، وقد سمع على مصنفه سنة ٥٣٦، ومن الكتاب جزء في مكتبة القرويين. ويعمل على تحقيقه فضيلة الشيخ الدكتور خالد العمرو حفظه الله ورعاه، على سائر نسخه الخطية.

(٢) الأعلام للزركلي (٥٧/٤).

(٣) (ص٥١) طبعة الإيسسكو، وقد غلط فجعل رمز الكتاب (د)، والواقع أنه (ك)، إذ الكتاب من أصول المكتبة الكتانية.

١٤- «الروض المُبهج في شرح تكميل المنهج» للإمام مُحمَّد بن أحمد ميارة الفاسي المتوفى عام ١٠٧٢، والنُّسخَة ناقصةٌ، وعليها خطُّ المؤلف في بعض الإلحاقات، وهي تحت رقم (١٩١ك)، وفات مُحقِّق الكتاب في رسالة علمية مقدّمة لنيل درجة الدّكتوراة، وهو الدُّكتور محمد أوادير مشنان الاعتماد على هذه النُّسخَة مع أحقِّيتها بالتقديم على النُّسخ التي اعتمد عليها[1].

١٥- «شرحُ مختصر خليل» للإمام أبي عبد الله مُحمَّد بن قاسم بن مُحمَّد جسوس الفاسي، المتوفى عام ١١٨٢، يوجدُ بالمكتبة تحت رقم (١٩١ك)، بخَطِّ مُصنفه المجوهر المليح، يتخلّله التَّشطيبُ والإلحاق، ويقع في ٦٣٣ صفحة[2].

وبذكر هذه الباقة المختارة من عيون كتب المذهب المالكي أختم هذا الفصل، ولو أسعفنا الوقت لسردنا عشرات النوادر من تراث السادة المالكية ممّا تفردت به الخزانة الكتانية العامرة، ولا شك أنَّ تجمعها في المكتبة ناتج عن همة قسعاء، وعناية بالغة بفقه إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى ومذهبه.

* * * *

---

(١) انظر وصفه للنسخ التي اعتمد عليها (١/٢٧٠-٢٨٥)، دار ابن حزم ومركز الثعالبي.

(٢) فهرس المكتبة الكتانية للعلامة محمد المنوني رحمه الله (ص٩٠).

مبادئه وأفكاره وأعماله الإصلاحية

تنوعت أعمال الأستاذ الإمام الإصلاحية بتنوع اهتماماته وخدماته، والميادين التي مارسها وعاركها في حياته العامرة، فأول تلك المجالات والميادين ميدان التصوُّف الإسلامي، حيث كان للإمام نظرات فاحصة في إصلاح الطُّرق الصُّوفية، وتجديد شبابها، والتحريض على العناية بحفظ القرآن الكريم، ودراسة السنة النبوية، والحضِّ على تعلم العلم الشرعي ودراسته، وقد تجلى هذا في جولاته العلمية والدعوية، والتي كان ركابها فيها مدرسة علمية متنقلة، تنصب فيها خيام تحفيظ القرآن الكريم، وخيام لتعليم أحكام العبادات لعامة الناس، وخيام لتدريس «المرشد المعين على الضروري من علوم الدين» للعلامة عبد الواحد بن عاشر، وخيمة لتدريس اللغة العربية، وخيمة لتدريس الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وغيرها من الخيام العلمية، وبين العشاءين يكون درس الإمام انطلاقًا من آية كريمة أو حديث نبوي شريف، وتكون هذه التنقلات والسفرات بعد انقطاع الدراسة بالقرويين ولمدة ثلاثة أشهر، وتشمل غالب مناطق المغرب، حيث يتنقل بنفسه ومعه طلابه وفقهاء أصحابه، وفي أثناء السنة لا ينقطع عن كتابة الرسائل الطرقية للمقدمين والفقراء الكتانيين، بحيث بلغت تلك الرسائل في نحو سنة ١٣٥٠ عدة مجلدات، فقد قال في كتابه «بيوتات جبل درن

وزواياه ورجاله»(١) - ذاكرًا مؤلفاته -: «رسائل طرقية لو جُمِعَتْ لخَرَجَتْ في مجلدات».

وسعى في تنظيم الطرق وجعل جامعة لها، تضمُّ رؤساء الطرق، وتنظم سيرها ودعوتها إلى الله، وتحارب التنصير والتبشير، والإلحاد الذي بدأ يدب في العالم العربي والإسلامي، وأقام مؤتمر الطرق الصوفية في مكتبته العامرة بفاس سنة ١٣٧٤، وألقى خطابه الحافل بعنوان «كيف نشأ التصوف في الإسلام، وظهرت الطرق الصوفية واختلفت واتفقت، وتاريخ الزوايا في الشمال الإفريقي، وتسمية الظاهر منها، وآثارها في الدعاية للإسلام وثمراتها الملموسة»(٢).

والجانب الثاني الذي ساهم فيه بنصيب وافر وعمل كبير متواصل؛ هو الإصلاح السياسي للبلاد، فقد كان من دعاة إصلاح البلاد سياسيًّا وإداريًّا وعسكريًّا، ولما قام المولى عبد الحفيظ باسم الجهاد والدفاع عن حوزة البلاد قام في الثورة الحفيظية بأعمال كبيرة، وكان كتابه «مفاكهة ذوي النبل والإجادة حضرة مدير جريدة السعادة» من أهم أسباب نداء الشّعب به سلطانًا على المغرب، وعُدَّ ذلك من أعماله، حتَّى قال العلامة القاضي أحمد العياشي سكيرج في كتابه «رياض السِّلوان في ذكر اجتمعت به من الأعيان»(٣): «وأتى بالمولى عبد الحفيظ عام ١٣٢٥».

---

(١) (ق ٥٤) رحلة مراكش والحوز والصويرة.

(٢) حققه أخونا الأستاذ أحمد الإدريسي البركاني وفقه الله، وطبع بدار الحديث الكتانية.

(٣) (ص٤٣) النسخة المرقونة.

وقد قدم له عدة عرائض إصلاحية، وكتب له نصيحة جليلة، وقد شرح أعماله في ذلك في مذكراته السياسية.

والمجال الثالث: هو جانب إصلاح التعليم، فقد كان الإمام من دعاة التجديد والإصلاح في القرويين وفق نظرة علمية محكمة، تستمد أصولها من التاريخ الإسلامي، ومناهج علماء الإسلام، وفق تشخيص الأستاذ الإمام العلمي، وتعقد العزم والنية على الإصلاح والتجديد المُثْمِر، بخلاف تنظيم القرويين على يد الاستعمار الفرنسي وأذنابه، فلمَّا وصل الحال إلى ما وصل إليه قام بالانسحاب من التنظيم المزعوم، وبقي يدرس متطوعًا دون تقييد بنظام الاستعمار، ولم ينقطع عن التدريس بالقرويين يوميًّا في درسين حافلين؛ الأول قبل الزوال إلى صلاة الظهر، والدرس الثاني بين العشائين، وكلا الدرسين كان يلقى في عنزة القرويين، وقد كانت القرويين بشهادة المؤرخين ومن حضر هذه المجالس تمتلأ ساحتها وجنباتها، وحيثما وقف الداخل من أي أبواب القرويين المتباعدة يستمع لصوت الأستاذ الإمام الجهوري وهو يصدح بتلقين العلوم الإسلامية وتدريس الكتب العالية، من تفسير وحديث وفقه وسيرة نبوية وغيرها، كما قام بتأسيس دار الحديث الكتانية لتدريس علوم الحديث النبوي الشريف، ووقف عليها الأوقاف، واستقدم لها كبار المدرسين من أعيان العلماء من المغرب وخارجه، منهم محدث الحرمين الشريفين الإمام أبو حفص عمر حمدان المحرسي التونسي المدني رحمه الله تعالى، ودرس فيها بنفسه وشخصه الكريم، فأقرأ بها سنن الإمام أبي داود السجستاني رحمه الله تعالى، وقد أفردْتُ تاريخ هذه الدار برسالة مستقلة جمعتُ فيها ما وصلني العلم به من أخبارها وآثارها.

وكان بيته ومكتبته قبلة للعلم والعلماء والباحثين والمصنفين والمؤلفين، يوجههم لمصادر بحوثهم، ويحل لهم مشكلاتهم، ويسمر معهم ليالي طويلة في مذاكرة العلم، كما سجلَّ ذلك جماعة من الملازمين لهذه المجالس.

ومن الغرائب والعجائب ما قاله د عمر رياض في مقدمة عنايته بمراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود[1] حيث جعل الأستاذ الإمام: «ضد خطط إصلاح التعليم الديني في جامع القرويين، حتى أنه استقال من منصبه فيه كأستاذ فيه عندما بدأت المؤسسة تنفيذ بعض هذه الخطط الإصلاحية».

وزعمه هذا يخالف الواقع؛ فلم يرفض الأستاذ الإمام الإصلاح، بل كان لسانَه وداعيته، إلَّا أنه رفض الإصلاح المزعوم الممنوح من الاستعمار ورجاله.

ونُتحِفُ الأستاذ بشهادة أحد زعماء الحركة الوطنية - الذي يكتب بلسانهم - وهو العلامة الأديب عبد الله كنون رحمه الله تعالى في كتابه «مذكرات غير شخصية»[2]؛ حيث نقل عن والده كيف جمع الفرنسيون علماء فاس من مختلف الطبقات العلمية في دار ممثلية الإقامة العامة بحي البطحاء بفاس، وأجلسوهم في ممر طويل، وجعلوهم ينتظرون طويلاً، وكان بعض الموظفين العسكريين والمدنيين يمشي ويجيء بينهم، وهو يدخن ويلقي بأعقاب سجائره في الأرض، وهو أمر يكاد يكون مستحيلاً، إذ لم يكن أحد يجرؤ على التدخين بحضرة العلماء، حسب شهادة العلامة

---

(١) (ص٦٦-٦٨).
(٢) (ص٢٠-٢١).

عبد الله كنون، والذي حكى بعد ذلك اجتماع العلماء مع مستشرق فرنسي الذي صار يسألهم عن الدراسة في جامعة القرويين كيف تسير؟ وما هي العلوم التي تدرس فيها؟ ومن هم المدرسون الملازمون؟ وما لكل واحد من الحصص في اليوم؟ وحال الطلبة الوافدين على الجامعة من خارج فاس، والمدارس التي يقيمون بها، والطلبة المقيمين من أبناء فاس، وعدد الجميع، إلى آخره. حسبما سجله العلامة عبد الله كنون في مذكراته.

وواقع الحال يشهد أنَّ جامعة القرويين خُرِّبت وحوربت من أبناء الاستعمار ممن اتخذ الوطنية مطية، وجعل حرب الإسلام وعلمائه غايته ومحور وجوده، وها هو ذا جامع القرويين يشهد وينطق بما جرى عليه بيد الاستعمار وأبنائه بما لا يحتاج إلى حديث، إذ حقيقة الحال تُغْنِي عن السؤال، وفي نيتي إفراد جهود المصنف في تنظيم التعليم وشرح وجهته في ذلك بمصنّف مستقل يسر الله سبل ذلك بمنه وكرمه، وسبق فصل من فصول أعماله في إصلاح التعليم.

ومن أعماله الإصلاحية: جهوده الكبرى في إصلاح مكتبة جامع القرويين وتنظيمها وفهرستها، ومحاربة الحشرات والقوارض الضارة التي تغلغلت في كتبها بسبب الإهمال، وقد تكلمت عن هذا الجانب بتفصيل في كتابي «تاريخ المكتبة الكتانية»[1] فانظره.

ومن أعماله الإصلاحية الكبرى: محاربته للسفور والتبرج والاختلاط، والدراسة بمدارس البعثات الفرنسية، في وقت كان الأعيان والزعماء يدرسون أولادهم فيها، ويحاربون التعليم الإسلامي الديني.

---

(١) (٦٠/١).

ومن أعماله في باب الإصلاح: محاربته لغلاء المهور والتغالي في الأفراح والأتراح، وسعيه الحثيث في محاربة ذلك، وألف في ذلك كتابه النفيس «تبليغ الأمانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة».

وقد شرح مبادئه الإصلاحية باختصار ولده العلامة القاضي الأديب العبقري السيد أبو العزم محمد عبد الأحد الكتاني في تقدمته لـ «فهرس الفهارس» فقال[1]:

«جهوده الإصلاحية ومباديه وآماله:

كان سيدنا الأستاذ المترجم بعد رجوعه من الشرق عام ١٣٢٣ أول من فكر في وجوب إصلاح حالة البلاد إداريا وعلميا واقتصاديا وسياسيا، ولذلك لما قام المولى عبد الحفيظ باسم الدين والإصلاح كان هو أول من شايعه وتشيع له، وكاتبه من فاس، وألف رسالته المعروفة بالمفاكهة، التي طبعت مرارا وترجمت لعدة لغات، وكانت من أقوى الأسباب في نداء الشعب المغربي به سلطانا على البلاد، وقد انتقد في مفاكهته المذكورة دوائر أبواب الحكومة كلها من حربية وخارجية وداخلية وغيرها، فهو أول مغربي خط قلمه وتجاسر وتجاهر بوجوب الإصلاح الإداري في البلاد، وانتقد سلوكها، وكتب في الموضوع عدة لوائح تخرج في مجلدات.

ولما استقر المولى المذكور على أريكة الملك لم يظهر بكل ما كان يؤمله منه، فعلم أن البرق خلب والسحابة صيفية، ومع ذلك لم ييأس،

---

(١) (١/١٧-٢٠).

فأعاد للسلطان المذكور كتب لائحة إصلاحية أنذره فيها بما آلت إليه الحالة بعد، فصادف منه الأذن الصماء.

وما زال الأستاذ يعالج من الزمان وطوارقه حتى جرت محنتهم المشهورة، ووقعتهم المأسوف عليها من الجنة والناس، فكانت الضربة القاضية التي قضت على كل مفكر بالانزواء والتدثر بدثار الموت المعنوي، حيث إن البلاد طولها والعرض لم تتصور الداء حتى تطلب له دواء، فبقي الحال على ذلك إلى أن جاء دور الاحتلال.

ولما أفرج عن سيدنا المترجم وزواياهم وبعض البعض من كتبهم انقطع للتدريس بالقرويين، وشرع يجاهد جهاده المعروف في مسألة إصلاح القرويين ومكتبتها، سعى في ذلك سعيه المتواتر، وطرق أبواب الحكومة مرات، ونشرت عنه جريدة السعادة مقابلة للمرشال اليوطي عام ١٣٣١ ومحادثته في الموضوع، فكان من نتيجته تكوين المجلس العلمي، وإصدار الأمر بإصلاح حال مكتبة القرويين، التي كانت مبعثرة ينخر في البقية الموجودة منها السوس، عدا عن يد الإنسان التي ما كانت أبقت إلا ما يصلح لمن ذكر، وسرعان ما قام منافسوه في معاكسة القضية الإصلاحية، وحيث أن اليد لا تكف وحدها وكل شيء بإبانه، فإذا جاء الإبان تجيء.

نعم يحب المترجم كل إصلاح وترق ينبني على أساسين: أساس الدين وأساس القومية المغربية وشعارها، فهو يحب الإصلاح والترقي الذي يقوده الدين وتعاليمه، ويرغب في التقدم الذي من غاياته دوام اعتبار القومية العربية المغربية وشعارها، ولا يحب الإصلاح الهادم لإنقاض هذين الأساسين، ويود أن لا يكون حظ المصلح التمندل بمن سلف، والقضاء

على كل قديم، والأخذ بكل جديد، بل يرى أن عقل المرء المؤمن ميزانه، فعليه أن يزن كل جديد وقديم بميزان الدين والقومية والمصلحة العامة، التي يعتبرها مصلحة عامة كل سليم الفطرة صحيح الإيمان غيور على البلاد، عرف تاريخها ودينها وتقاليدها، ولا يرى أن نترك كل ما علمناه من قبل لمقال في كتيب رمت لنا به مصر على علاته، لأنه جاء من مصر، ولأن عليه صورة جامعه، فهذا موقف المذبذبين الذين يلعب بهم كل ريح، ويستهويهم كل وارد، فيعتنق ما طلق اليوم، ويعبد غد الغد ما كان يكفر به البارحة.

ورأيه في الطرق الصوفية وجوب إصلاحها تدريجًا، والسعي في تربية من يرأسها تربية علمية دينية، لا القضاء عليها، فإنها الرابطة الوحيدة بين كثير من المتدينين اليوم، وهي الماسكة اليوم أزمة أغلب مظاهر الإسلام، وحجاج بيت الله الحرام، وزوار قبر النبي ﷺ، فالساعي في قطع دابر هؤلاء ساع تحت ستار الخفاء لقطع جرثومة الإسلام، والحط من كرامة النبي عليه السلام، ولو أن كل عضو من جسد مرض آثرنا قطعه على إصلاحه وعلاجه لخلا الكون من النوع الإنساني، وسادت السباع والذئاب العاوية على البسيطة، ولا يرى هذا الصخب المقام نحو رجال الدين والطرق، وأفعال بعض المتمسكين بها خاصة، وغضّ الطرف عن منكرات بقية الهيئات والجمعيات والمشاريع التي هي محل الرأس من جسد الأمة إلا مقدمة من مقدمات التبشير، وآلة عظمى من مقومات التدمير، ولا يرى أن نهدم كل شيء من آثار قديمنا لأنه قديم، ونندمج في تيار الجديد وأهله من كل وجهة وباب لأنه جديد، من غير تمحيص ولا اختبار.

لذلك هو - حفظه الله - أول من يتلمذ لكل صالح مصلح إصلاحًا صالحًا بالبلاد، مرتكزًا على الدين والقومية المغربية، أما لغيره فهو ممن لا تعمل فيهم تيارات هاته الأبخرة، ولا تهزهم هذه الرياح والزلازل، فهو الجبل الثابت نحو صواعقها الذي لا تعمل فيه معامل الإفساد ولو بقي وحده. وأكبر شرف يتحدى به ويختص به عن أنداده عداوة الملحدين وسباب المفسدين ودحض المساوئ التي يلحقها ويلزقها به المتزلفون، وستعلم الأجيال المقبلة أحقية مباديه هذه وأصوبيتها فتشكره، فيشكرها الإنصاف وأهله، أو تكفر به فلا يكون أول من كفرت نعمه وجحدت فضائله من الرجال العاملين، وعند عالم الخفيات حقائق الطويات والنيات.

ونسأل الله أن يريد لهذه الأمة إصلاحًا عاجلًا، فإذا أراده خلق له رجالًا أول ما يعملون تحديد نقط الخلاف بين الأفكار المتعارضة، وفهم حقيقة المبادئ التي تظهر لأول وهلة أنها متباينة، وهي في الحقيقة واحدة، تحجبها عن الظهور والانجلاء الأغراض والعوارض التي تستر الحقائق الواضحة وتحجبها عن التجلي، وإذ ذاك لا يجد هذا الشعب المسكين ودعاة الإصلاح الحقيقي من أهله أوسع صدرًا ولا أقوى نفوذًا، ولا أدق إدراكًا، ولا أبعد مدى، ولا أقوى وأسعد بالإصلاح من المترجم الذي نراه شرقيًا في مباديه وأطواره ومنازعه وآماله، وإن كان مغربي الجنس والاستيطان.

وبالجملة فختام القول فيه ما أنشده في حقه مفتي فاس سابقًا العلامة الأديب أبو الفضل عباس بن أحمد التازي رحمه الله:

لعبد الحي فضل ليس يخفى ... تضيء به الليالي المدلهمة

يريد الحاسدون ليطفئوه ... ويأبى الله إلا أن يتمه

من أقواله وآرائه في الإصلاح والتجديد

قال في كتابه «كيف نشأ التصوف في الإسلام»[١]: «وكأني بهذه الجمعيات الهدَّامة لما أيست من القضاء على الأديان بواسطة السَّيف؛ عمدت إلى تسميم التعليم، وكل شيء ينبني على التعليم في الدين والدنيا،... فحشروا له أحداث العقول، أحداث السن، التقطوهم من مجامعَ ساقطة، وقرأوا في مدارس إباحية، أخذوا عن إباحيين دهريين مأجورين، كل يهفو إلى كسرة خبز يابسة، فلقنوا للنشئ الصغير الإلحاد، وبهرجوا عليه بحُريفات حفظها وأسطر، لكنها من غير معرفة ما تحتها من عوامل الشر، وأفاضت على هذه الفئات الجمعيات السِّرِّية الخفية المُنتشرة هنا وهناك بالملايين المتكدسة، ثم فرقوا صُفوف الأمة تحت راية أحزاب تعدَّدت وتكاثرت في المَشرق والمغرب، تختلف في الاسم وتتحد في المسمى، تتفق في الغاية، وتختفي مقاصدها تحت الألوان والعناوين، كلّها ترمي إلى مقصد واحد، وتُشيد مدارس سمتها: معاهد التعليم، وهي مدارس التجهيل والتخريب، وأوجدت مواضع التسلية والملاهي على جميع الأشكال والألوان، وما يستهوي الشباب الغر صدَّته بذلك عن اتباع طريق الله وغشيان معاهد العبادة والتربية الخلقية، والتكميل النفسي، والهداية الربانية الإسلامية الحقيقية.

---

(١) (ص١٥٢).

وقد عملت هذه الأساليب الهدامة عملها في الشباب الغر الذي لم يزاول دروسه التهذيبية في مدرسة الحياة العامة، والحياة الدينية الخاصة؛ وهي: الزوايا والربط، فهدمت المقدسات الاعتقادية، وأغرقت معنوياته الخلقية، فتعلم العقوق، وأغضب الآباء، وقتل الإباء، وغمص حقوق الأمهات، وفرقت هذه الدُّورُ اللهوية والمقاهي المزرية بين الأب وابنه، والولد وأخته، والمرأة وزوجها، وعُمِّرت المقاهي، وشُيِّدت منتديات القمار والميسر، وخُربت بيوت الطاعة والعبادة، وخليت حلقات التوحيد والتوجيه لملذات الأعياد، وبُدلت قوانين الفرقان ودلائل البرهان السماوي الإيقاني بنوادي الشَّيطان، والشِّرك بالرحمان، وعم البلاء، وصار الدين يستغيث ولا من يُغيثه، وأحباب الرحمن يموتون ولا من ينقذهم، وخلقت لتعميم هذا الدَّاء ونشره ونصره بمختلف الميادين صحف ومجلات سيارة، تبثُّ سمومها في كلِّ صباح ومساء؛ منها: الصُّحف الهزلية والجدية، والمجلات الأدبية والعلمية، واتَّحدت لذلك النوادي والمحاضر، وكل هذا ورجال الدين مغمورون في غمار الذُّهول والنِّسيان أو التناسي!!!

وكلَّفوا أصحاب الحلقات والرقص، والمدَّاحين والممثلين، بأعمال التشويه والتمثيل برجال الدين الأبرياء، وأمروا الوعاظ في الكراسي، والخطباء في المنابر، والمدرسين في المعاهد، بتوجيه خطبهم ووعظهم وتمثيلهم ولعبهم وعبثهم بالمشايخ وأرباب الزوايا ورجال الدين السابقين والموجودين، كل ذلك في مَظْهَر الدفاع عن الدين، فالدين يُهدم باسم الدين، ولا شكَّ أن هؤلاء الذين سلَّطوا هذه الحملة، المستطير شررهم، أكثرهم لا يعلم الأيدي المحركة لهم، بل إنما يعملون بما يوحي لهم

شيطان التفريق والتمزيق والتلفيق، بُعَداء أشد البعد عن سمات التحقيق والحقيقة».

وقال في كتابه المذكور أيضًا[١]: «وما دمنا نعيش في هذا الفضاء الواسع من الفراغ واللاشيء؛ فمتى يستقيم المعوج، وننهض لعمل المُجتمعات، وتكوين المجامع العلمية، النباتية والحيوانية والجوية، والبحث عما تحت الأرض وما بين الأرض والسماء، ونحن لم نشرع في بحث ما هو أمسُّ بنا في مجتمعنا الإنساني المغربي، ننظر إلى ماضينا بعين الاحتقار والازدراء، ونرى مقوماته بالعين التي كان ينظر إليها آباؤنا وقت عصر الإسلام المزدهر، بل ننظر إلى كل ما هو إسلامي محض بعين لا يُحبذها فكرُ الإسلام المجرَّد، بل أردنا إنشاء مجتمع آخر نُسميه نحن مِن قِبَل أنفسنا إسلامًا، وهو ليس بإسلامي ولا شبْه إسلام.

والإسلام الحقيقي الذي يصفه القرآن وعصر النبوة والخلفاء؛ أهملنا البحث - بل والالتفات إليه - في كل حياتنا ومجتمعنا، ولم يبق في أيدينا ولا ما نتسابق إليه إلا الطعن واللَّمز والهمز، كأننا أبناء أمة أخرى غير التي سبقت، وتَسَارع الهدّامون إلى اصطلاحات وضعوها، وعناوين ضخمة ركّبوها: نهضة، وتقدم، وتأخر، ورجعية... هذه كلمات أربعة لاكتها الألسن، وملأت على غرارها، مقتضاها أطنان من الورق بين جريد ومجلات ومحاضرات، من غير أن يعلم أكثر المستعملين لهذه الألفاظ مدلولها الحقيقي ولا المجازي، فصار التقدُّم شعار الزاري بالإسلام،

---

(١) (ص١٥١).

وفلان ناهض ومتقدم إذا كان يفر من الإسلام وتعاليمه فرار السليم من الأجرب والمجدوم، وفلان رجعي إذا كان متمسكًا بدينه غير راغب في تبديل أشكاله وألوانه ومجتمعه.

ولاكت الألسن في عصرنا الحاضر والأقلام هذه الألفاظ، واستعملتها في غير ما وُضعت له، وأغرانا في التدجيل والتضليل والتمويه فريقٌ ظهرت جمعيته «الاتحاد والترقي» في تركيا إلى أن انتهت من عملها الهدام بإسقاط الخلافة الإسلامية، وقلب الدولة العثمانية من كونها دولة الدين إلى حكومة لا دينية، وهكذا بقيت الجمعيات السرية العاملة على هدم الأديان في الدنيا، تعمل عملها في العالم الإسلامي كله بين شرق وغرب بمعاول الهدم والتخريب، وكلما انسلخت عن الدين أمة وخرجت منه دولة؛ قالو: تقدمت، وكلما تمسكت دولة بدينها؛ قالوا: تأخرت ورجعت القهقرا»!.

وقال في إجازته للفقيه الناسك عبد الرحمن بن علي الراشدي[١] وهي خاصة بكتب الأدعية والأذكار والأوراد ما نصُّه[٢]: «وإنما قدمتُ حصن ابن الجزري لِمَا أنَّهُ اشتمل على الدَّعَوَات النبوية وكلام رسول الله ﷺ أولى بالاعتناء، ولذلك اعتنى النّاس بالحظِّ على من يشتغل بأوراد غير المصطفى ﷺ، ولكن خير الأمور الوسط، فالأولى الابتداء في الشُّروع بأذكار النبوة ثم أذكار المشايخ رضي الله عنهم».

---

(١) ذكر عبد السلام بن سودة في إتحاف المطالع (٣٣٦/١) أنه توفي سنة ١٣١٥ وتاريخ إجازة الحافظ له سنة ١٣٣٠ في المحرم منها.

(٢) (ق٢) مصورة من المكتبة الباقرية ضمن كناشة المجاز.

رحلاته وحجاته

كان المؤلف كثير الترحال والتجوال في أقاصي الأرض، طالبًا لقاء العلماء وصحبة الفضلاء، وباحثًا ومنقبًا عن الكتب والدواوين، وبانًّا لعلومه ومعارفه، وناشرًا للعلوم الدينية وداعيًا للإسلام، وقد تعدَّدت رحلاته داخل المغرب وخارجه، ونشير هنا إلى أشهر رحلاته:

فمن أشهر رحلاته رحلته للديار المراكشية سنة ١٣٢١، وقد لقي فيها إقبالًا كبيرًا، حيث قام بالتدريس بجامع ابن يوسف بمراكش، وأقرأ كتاب «الشمائل» للإمام أبي عيسى التِّرْمِذي، والتف حوله العلماء، ولازموا مجلس إفادته، وأخذ عنه الخليفة السلطاني لذلك العهد بمراكش الأمير مولاي عبد الحفيظ بن السلطان مولاي الحسن العلوي، وتنافس الشعراء والأدباء في مدحه وتدبيج قصائد الثناء فيه، ورجع بالثناء الحسن، وأحمال من الكتب.

وفي عام ١٣٢٣ تحرك العزمُ منه للسَّفر للديار المقدَّسة وأداء فريضة الحج، فدخل مصر وأدرك كبار علمائها، وأخذ عنهم وأخذوا عنه، وعقد الدُّروس الطنانة بالجامع الأزهر، ولازمه كبار علمائها في الأخذ عنه والسَّماع منه، فممن لازمه العلامة الكبير الشَّيخ محمد بخيت المطيعي، وتدبَّج معه وحمل كل منهما عن صاحبه، وأخذ عنه مفتي الديار المصرية

الشَّيخ بكري الصَّدفي الحنفي، وغيرهم من شيوخ الجامع الأزهر وعلماء الديار المصرية.

ثُمَّ دخَلَ الحجاز فأخذ عن كبار علمائه والمجاورين في الحرمين الشَّريفين، ودرَّس في الحرم المدني الشَّريف جميع كتاب شمائل للإمام أبي عيسى التِّرمِذي، ومن مفاخره حضور شيخه الإمام العلامة السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي الشافعي مفتيهم لمجالسه تلك، كما أقرأ مقدمة صحيح الإمام مسلم بالحرم الشريف، وكان معيد درسه هو العلامة محدث الحرمين الشريفين الشَّيخ عمر حمدان المحرسي المدني.

ثُمَّ دخل للديار الشامية فأخذ عن بقية المسندين والعلماء بها، وتنافس كبار علمائها في الأخذ عنه وحضور مجلسه العامر بالمسجد الأموي الكبير، وقد دون أحداث رحلته في الديار الشامية خطيب الجامع الأموي الشَّيخ عبد الجليل الدرا الدمشقي[1].

وفي سنة ١٣٣٩ رحل للجزائر وتونس والقيروان، وَدَوَّنَ أحداث رحلته في مجلدين، وأخذ عنه علمائها، وكلما حلَّ ببلد أو قرية إلا وافتتح الدروس العالية من تفسير وحديث وفقه على عادته وطريقته في ذلك.

وفي سنة ١٣٥١ قام برحلته الحجازية الثانية، ومرَّ فيها بالديار الأوربية أولًا، فدخل فرنسا وإيطاليا والفاتيكان وسويسرا، حيث لقي الأمير شكيب أرسلان، وحضر إحدى جلسات عصبة الأمم، وألقى فيها كلمةً، ثم دخل القاهرة فاستقبله شيخ الجامع الأزهر والعلماء والأعيان، واستقبله

---

(١) يعمل على تحقيقها أخونا الأستاذ محمد بن عبد الله الشعار البيروتي حفظه الله.

جلالة ملك مصر الملك فؤاد، وأهداه مصحفًا شريفًا كتب له الإهداء بخطه، وأقام له صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي مأدبة غداء في سراي الميل، وألقا درسًا حافلًا بالجامع الحسيني، وتزاحم العلماء وطلاب العلم على مجالسه والأخذ عنه، وكان منهم العلامة الكبير الشَّيخ محمد حبيب الله الشّنقيطي، والعلامة الكبير البحاثة الشَّيخ محمد زاهد الكوثري، ومحدث الديار المصرية العلامة القاضي السيد أحمد محمد شاكر الحسيني، وأخوه العلامة الأديب السيد محمود شاكر الحسيني، والعلامة محمد عبد الله دراز، والشَّيخ المُحَدِّث أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، وآخرين.

ولمَّا وصل إلى جدة وجد نائب الملك عبد العزيز الأمير فيصل بن عبد العزيز في استقباله ومعه سيارة الملك الخصوصية، وأقام بالحرمين الشَّريفين مدة الحجِّ، ودرَّس بالمسجد الحرام درسًا عامًّا حضره ألوف من العلماء وطلبة العلم والمُحِبِّين، من مختلف المذاهب والمشارب، وكان معيد درسه هو تلميذه محدّث الحرمين الشَّريفين العلامة الشَّيخ عمر حمدان المحرسي، ومدحه شعراء الحرمين الشَّريفين بعدة قصائد، منهم شاعر الدولة السعودية أحمد الغزاوي المكي، والعلامة السيد علوي المالكي، والعلامة السيد محمد أمين الكتبي وغيرهم.

ودخل الشام في طريق عودته فلقي كلّ تجلة وإكرام، ودرَّس بالمسجد الأموي الكبير، وبالجامع الكبير بطرابلس وبغيرهما.

وبالجملة فإن رحلات السيد الإمام كانت حافلة بالدعوة إلى الله والتدريس والإقراء والتعليم، وإحياء روابط الأخوة الإيمانية، وتجديد الصِّلات العلمية، وربط عقد الأخوة في الله، وهي تاريخ حافل ومجد شامل، يسَّر الله الوقوف على نصوص رحلاته، والعناية بها وإخراجها للناس.

* * * *

محنته وابتلاؤه

لمواقف المُصنّف الإصلاحية، وعدم قبوله بالدَّنيَّة في دينه ولا التراجع في مبادئه، حورب حربًا لا هوادة فيها من الأحزاب السياسية المُدَّعِية للوطنية، فقاومها بكل ما أوتي من قوة علمية ودعوية وفكرية، إلى أن رأى المصنف أنَّ الأجواء العامة في البلاد ستؤول إلى حرب أهلية، حيث بدأ المجرمون بتنفيذ جرائم الاغتيال في حق العلماء والمصلحين، ممن خالفهم أو حتى ممن لازم الحياد واعتزلهم وما يدعون من دون الله، فتمَّ اغتيال ولده العلامة القاضي الأديب أبو العزم عبد الأحد الكتاني، وَتَمَّ اغتيال الفقيه الصوفي السيد الحاج الحسين بن محمد مبارك الشنقيطي[١]، كما تمَّ صدم سيارة يستقلها الأستاذ الإمام من قبل حافلة عسكرية وذلك بتاريخ ١٩٥٣/٠٩/٠٥ كما ورد في جريدة السعادة عدد ٨٨٥٩[٢]، وقام المجرمون بمحاولة اغتيال صهر الحافظ وكاتبه ومرافقه الشَّيخ الشريف أبو بكر الكانوني، وذلك في سنة ١٩٥٣/١٢/٠٥ كما جاء في السعادة رقم

(١) كتاب الزاوية الكتانية من خلال الصحافة العربية الموالية للحماية الفرنسية (ص٢١٠) نقلا عن جريدة السعادة.

(٢) كتاب الزاوية الكتانية من خلال الصحافة العربية الموالية للحماية الفرنسية (ص١٨٦) نقلا عن جريدة السعادة.

٨٩٢٥[١]، إلى غير ذلك من صور الإرهاب النفسي والجسدي، وتصفية من وقف في طريق تخريبهم للبلاد والعباد.

فقرَّر الإمام الهجرة لله وفي سبيل الله، فغادر المغرب في هذه الأثناء واستقر بإيطاليا أولًا مدة، ثُمَّ إلى ضواحي باريز حيث كان يقيم بمنطقة جويس هوتيل قرب بوفي، ولحق به واستقر بقربه جماعة من محبيه ومريديه، ولم تنقطع زيارات المريدين والمحبين القادمين من المغرب إلى مستقره في مهاجره رحمه الله تعالى.

* * * *

(١) كتاب الزاوية الكتانية من خلال الصحافة العربية الموالية للحماية الفرنسية (ص١٨٧) نقلا عن جريدة السعادة.

ثناء العلماء عليه

– قال شيخه محدث المدينة المنورة السيد علي بن ظاهر الوتري المدني في كتابه «معجم الآخذين عني» وقد نقل الحافظ ترجمته من هذا الكتاب في كناشته ذات الرقم ٢٦١ وهذا نصها[1]:

«الحمدُ لله، كَتَبَ إلينا الشَّريف العالم الفاضل سيدي محمد عبد الحي بن مُحِبّنا العارف بالله سيدي عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني الفاسي، في ربيع الأول سنة ١٣١٩ يطلب منا الإجازة له ولأولاده وأحفاده، وكتب لنا أيضًا كتابًا يطلب منا له ذلك، وهذا الشريف المذكور وأظنه لم يكن موجودًا بفاس حين كُنْتُ بها في سنة سبع وتسعين ومائتين وألف، بل الذي كُنْتُ أعرفه من أولاد سيدي عبد الكبير الكتاني هو الكبير، واسمه سيدي محمد وهو بقيد الحياة، وصل إلينا سلامه، وأظنه قائمًا بالطريقة نيابةً عن والده، أمّا محمد عبد الحي فإنه مشتغل بالعلم والحديث، وقد كتب المذكور أيضًا في كتابه يطلب الإجازة لرفيقه الشريف سيدي محمد بن إدريس القادري الفاسي الحسني، فلم يتيسر لنا إرسال ذلك إلَّا بعد عام، فكتبنا إليهما الإجازة الكبرى في ١٧ ربيع سنة عشرين وثلاثمائة وألف، وأرسلنا لهما مع جوابهما صحبة الشريف الأجل سيدي

(١) (ق١٢٠).

عبد الكبير بن العلامة سيدي الماحي الصقلي بن سيدي محمد الحسيني الفاسي، وقد توَّجَهَ إليه... إلى فاس في يوم... شهر ربيع الأول من السنة المذكورة مصحوبًا بالسلامة» اهـ من مجموع الشَّيخ أبي الحسن علي بن ظاهر الذي كان يقيد فيه أسماء من أجازهم، أعني الدفتر الكبير، وفيه زيادات على الصغير الذي عندي مما قدمه إليَّ هديةً وكيله العمومي ووصيه الشَّيخ عبد القادر حواري المدني كان الله تعالى له آمين».

– وقال العلامة المحدث المسند الإخباري البارع الشَّيخ أحمد أبو الخير العطار الهندي المكي كما في «مجموع إجازاته»[1]: «الحمدُ لله، وبعد: فلما كان ضحوة يوم الخميس المبارك ذي الحجة سنة ١٣٢٣ اجتمع الحقير أحمد أبو الخير المكي صحبة شيخه الإمام الرباني سيدي الشريف محمد عبد الحي الكتاني فَسَحَ اللهُ في أجله».

– وقال أيضًا في مكتوب كتبه لشيخه شيخ محدثي عصره العلامة القاضي حسين السبعي الأنصاري يستدعي فيه الإجازة للمترجم قال فيه[2]: «وفدَ إلى مكة في هذا العام رجل من فضلاء الغرب وصلحائه، عالم مدينة فاس ومحدثها وابن محدثها، شيخنا وسيدنا العلامة المحدث المسند السيد محمد عبد الحي الكتاني الحسني، وقد أَخَذَ المذكور كما يظهر عن جمع كثير كما يظهر من مسودة معجمه، وله ولع واشتغال بالحديث أخذًا وأداءً، بل وعملًا به ووقوفا وإحاطةً على أسماء العصر ومسنديهم خصوصًا على

(١) مخطوط مصور من مكتبة مولانا أزاد مجموعة جواهر العربية رقم ١٢٤، تفضل عليَّ بصورة مواطن ذكر السيد فيه الشَّيخ عمر حبيب الله جزاه الله خيرا.

(٢) مقدمة فهرس الفهارس (١/١٠).

اسمكم الشريف، وقد هرعت إليه أهل مكة قاطبة فسمعوا منه حديث الأولية وأستجازوه، ومن جملتهم الحقير خويدمكم...» وهي بتاريخ ١٣٢٣.

وكتب له سنة ١٣٢٥ في مسألة حديثه إلى أن قال فيها: «مع اعتقادي بأنكم أحفظ أهل العصر».

- وقال العلامة النحرير الفقيه أحمد بن الطيب الجاوزي الفاسي[١] المتوفى في ٢٣ ربيع الثاني ١٣٢٤هـ في ألفيته في ترجمة شيخه الإمام العارف بالله سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي الحسني رضي الله عنه قال فيها ما نصه:

خليفة أشياخنا مولاي عبد الحي الكتاني، أخو شيخنا من أب وأم رضي الله عنه:

كَصِنْوِ شَيْخِنَا سَرِيِّ الحَيِّ ... السَّيِّدُ المَحْبُوبُ عبد الحَيِّ

طَلْعَةُ سَعْدٍ قِصَّةُ الأَنْوَارِ ... مَجْمَعُ الأَخْلَاقِ مَعَ الأَوْطَارِ

جَمَعَ أَشْتَاتَ عُلُومٍ وارْتَقَى ... فِي فَلَكِ المَجْدِ وَسِرًّا أَوْثَقَا

لَهُ الخِلَافَةُ بِذِي الطَّرِيقِ ... وَكَمْ بِهِ بَدَا مِنَ التَّحْقِيقِ

مَفَاخِرُ جَمْعَهَا لَا تُحْصَى ... وَالمَتْنُ وَالإِسْنَادُ كُلًّا احْصَى

قلت: والعلامة أحمد بن الطيب الجاوزي من شيوخ الحافظ الذين تخرج بهم في العلم ولازم مجالسهم في مختلف الفنون الشرعية والآلية كما هو مذكور في ترجمته.

---

(١) (ق ٣٨٩) ضمن مجموع بالخزانة الملكية بمراكش تحت رقم (٢١٣ك) ورقم عام ١٢٨٢٨.

- وقال الإمام الأمير المجاهد السيد أحمد الشريف السنوسي الجغبوبي المكي رحمه الله تعالى: «ومنهم ولي الله العالم الشَّهير والعلامة خادم الحديث النحرير السيد الجليل الباذخ الأصيل، شريف الحسب والنسب، السيد عبد الحي بن السيد عبد الكبير الكتاني، أخذ عن السيد عبد الهادي، وعن والده السيد عبد الكبير، وقد تعرفنا بالسيد المذكور بالمكاتبة، فهو من المحبوبين المخلصين العالمين العاملين، ولا زال متمسكًا بطريق أستاذه سائرا على منواله.

وقد أفادني الشَّيخ المذكور أنه ألف كتابًا في مناقب سيدنا ابن السنوسي وسماه «المسلك المحبوب في صاحب جغبوب» وله تآليف عديدة جليلة مفيدة، وقد أرسل إلينا من تآليفه، وصارت معرفة ومواصلة ثبتنا الله وإياه على ما يحبه ويرضاه»[١].

- وقال شيخه الإمام المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني في كتابه «النبذة اليسيرة النافعة التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة»[٢]: «وخَلَّفَ - أيْ السيد الإمام عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه - ولده الشهير المحدث الكبير العلامة الماهر التاريخي النسابة الباهر، ذا التآليف الكثيرة، والفوائد الغزيرة، والنكات العجيبة، والاستنباطات الغريبة، الحاج[٣] الأبر أبا عبد الله مولانا محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني.

---

(١) (ق٣١) من الرحلة الحجازية الثانية.

(٢) (ص٢٢٢-٢٢٣).

(٣) لعل كلمة الحاج سبق قلم من مؤلف الكتاب، فقد اصطلح أهل المغرب على أن لا ينعت بكلمة الحاج من حج من الأشراف، فلذلك حذف هذه الكلمة العلامة القاضي سيدي عبد الأحد في مقدمته لفهرس الفهارس لما نقل منه.

- وقال العلامة المحدِّث المفسر الأصولي عبيد الله السندي الهندي ثم المكي في كتابه «التمهيد لأئمة التجديد»[١]: «ولما جاء الشَّيخ عبد الحي الكتاني المغربي المالكي إلى الحج سنة ١٣٥١ فصحبته وسمعتُ منه الحديث المسلسل بالأولية وأجاز في ذلك المجلس الحاضرين بعموم رواياته، وكان الشَّيخ من حُفَّاظِ العصر».

- وقال الشَّيخ المؤرخ محمد مخلوف التونسي المالكي في كتابه «شجرة النور الزكية في طبقات فقهاء المالكية»[٢]: «شيخنا المسند الرحَّال أبو الإقبال محمد عبد الحي بن الشَّيخ أبي المكارم عبد الكبير الكتاني الشريف الحسني بيته بفاس شهير بالعلم والصلاح...».

ثم قال: «جمع بين شَرَفَيْ الاكتساب والنسب، قدم الحاضرة ولقي من الإقبال فوق ما يقال، وذلك في المحرم سنة ١٣٤٠، ثُمَّ ذكرَ حلوله بالقيروان، ثُمَّ دخوله لسوسة وبعدها للمُستنير قاصدًا زيارة الإمامين المازري وابن يونس، وما لقي من احتفال وإقبال بكل بلد حل به، ومن كان بمعيته لدى لقائه به، ثُمَّ ذكر مذاكراته معه، ثُمَّ ذكر إجازته له وأشار إلى تقريظه للكتاب وهو مثبت في آخر الكتاب.

- وقال محدث الديار المصرية العلامة القاضي السيد أحمد محمد شاكر الحسيني في شرحه لألفية مصطلح الحديث للإمام الحافظ الجلال

---

(١) (هامش ق ١٦٣ . ١٦٣) نسخة جامعة السند وقد أكرمني بها فضيلة الأستاذ صلاح بن عايض الشلاحي الكويتي جزاه الله خيرًا.

(٢) (٤٣٧/١).

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في مبحث الحديث المسلسل[١]: «ذكر بعضها شيخي العلامة حافظ العصر السيد محمد عبد الحي الكتاني في كتابه فهرس الفهارس والأثبات...».

ثُمَّ ذكر[٢] حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وأنه سمعه من الحافظ السيد رضي الله عنه فقال: «وعن شيخي الحافظ الكبير السيد محمد عبد الحي الكتاني في صفر سنة ١٣٥٢».

- وقال العلامة المؤرخ المسند عبد الله غازي الهندي المكي في ثبته «تنشيط الفؤاد من ذكر الإسناد»[٣]: «الشَّيخ الثالث عشر من أشياخي العلامة الفاضل والفهامة الكامل، صاحب التآليف المفيدة والكمالات الجامعة، الفقيه المحدث مولانا السيد عبد الحي بن العلامة السيد عبد الكبير الكتاني الفاسي».

- وقال الإمام المُحَدِّث المُشارك عالم الرباط سيدي محمد المدني بن الحسني الرباطي في استدعائه الإجازة من المؤَلِّف[٤]: «يتيمة الدهر، ونابغة هذا العصر، المُحَدِّث الحافظ المُسْنِد الرَّحّالة الناقد المُجِدّ، الفقيه النّحرير، الألمعي الأنيب الأريب اللوذعي، خلاصة أسماء الرجال

---

(١) (ص١٩٩).

(٢) (ص٢٠٠).

(٣) الرحلة الحجازية الثانية للمؤلف (ق١١) نقلا عنه، وهو يعتبر اليوم في جملة تراثه المفقود.

(٤) ساق نصه الأستاذ المؤرخ عبد الله الجراري في كتابه المفرد عن شيخه الإمام المدني بن الحسني، انظره كاملًا فيه، وهو بديع (ص٣٣-٣٩).

المُحَلّى بـ«تهذيب الكمال» فَذْلَكَةُ الحساب، و«ميزان الاعتدال» لأولي الألباب، المُمَدُّ بـ«فتح الباري» من فيض فضله الجاري، حضرة السيد السند العمدة في الحديث والسُنَّة، سُلَالة أشرف فصيلة وأكرم حي، أبي الإسعاد سيدي عبد الحي نجل العالم الكبير سيدي عبد الكبير الكتاني الأثري، أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه...» الخ.

– وقال مُؤرِّخ الديار الحلبية العلامة محمد راغب الطباخ ختام كتابه «الأنوار الجلية بمختصر الأثبات الحلبية»[1]: «وبالجملة فإنَّ شيخنا نسخة من نسخ المتقدمين، وأعجوبة عظيمة للمتأخرين حفظه الله وأمتع المسلمين بطول بقائه».

وقال في مقدمة نشرته لكتاب «التقيد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح»[2]: «وفي العام الماضي – وهو عام ١٣٤٩ – أتحفني شيخي بالإجازة علامة الديار المغربية، وحافظ العصر، ذو التصانيف الكثيرة المفيدة، الشَّيخ عبد الحي الكتاني الفاسي حفظه الله تعالى وأدام به النفع، بكتابه فهرس الفهارس والأثبات، فرأيته ذكر في الجزء الثاني منه (ص١٩٨) في ترجمة الحافظ العراقي أنَّ عنده نسخة من شرحه علوم الحديث لابن الصلاح، وسماه: النكت (وهو يسمى بذلك، كما يسمى بالتقييد والإيضاح)، وذكر أنَّ عليها خط المؤلف، فكتبت إليه، فتفضل بإعارتها، فوجدتها نسخة نفيسة لا تقل نفاسة عن النُّسخة التي هي بخطِّ

(١) (ص٥٨٩).

(٢) (ص٤).

الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، وهي بخطِّ العلامة نور الدين التلواني، وعليها خطُّ المؤلف رحمه الله تعالى في ١٩ موضعًا، يذكر في هذه المواضع قراءة الشَّيخ نور الدين المذكور لهذا الكتاب عليه وأحيانا يذكر سماع غيره...».

– وقال العلامة المحدث أمين الفتوى في الجمهورية اللبنانية السيد محمد العربي العزوزي الفاسي ثُمَّ البيروتي في ثبته «إتحاف ذوي العناية»[1] ذاكرًا شيوخه: «ومنهم: وهو أولاهم وأعلمهم بعلوم السنة وطبقات الرجال؛ المحدث المسند الرحالة سيدي عبد الحي ابن المحدث الأشهر الولي الأكبر سيدي عبد الكبير الكتاني، قَرَأْتُ عليه البخاري مرتين روايةً ودرايةً، وصحيح مسلم، وجامع التِّرْمِذي، ومعجم الطبراني، وموطأ الإمام مالك، وشمائل التِّرْمِذي، وأوائل بقية السنن والمعاجيم والمسلسلات، وأجازني مرات إجازة عامة وخاصة».

– وقال العلامة الفقيه القاضي حسن مشاط المكي معددًا شيوخه في ثبته «الإرشاد بذكر بعض مالي من الإجازة والإسناد»[2]: «ومنهم العلامة الحافظ المحدث الجليل الشريف محمد عبد الحي بن سيدي عبد الكبير صاحب التراتيب الإدارية، وفهرس الفهارس والأثبات».

– وقال شيخ الإسلام بالديار التونسية الإمام محمد الطاهر بن عاشور في تقريظه لكتاب المصنف «التراتيب الإدارية»[3]: «وقد بقيَ – أي كتاب

(١) (ص١٧).

(٢) (ص٥).

(٣) التراتيب الإدارية (٢/مو- مز) الطبعة الأولى في حياة المصنف، =

«تخريج الدلالات السمعية» - في خزانة جامع الزيتونة بتونس لا يَهْتَدي إليه إلَّا نفر قليل، حتى حظي بمطالعة العلامة الحافظ المحدث الشَّيخ سيدي محمد عبد الحي الكتاني حين حلوله بالحضرة التونسية، وهو من عَلِمَهُ النّاس بحاثة عن النفائس العلمية، دراكة لمرامي الأغراض، فصرف الله همته السنية وصله تعليقًا واستدراكًا لما كان فيه إبداع صنعه وصلة رحم أصله بفرعه، وأبرزه كتابًا ثانيًا سماه «التراتيب الإدارية والصناعات والحالة العلمية على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلية»، ولقد عجمت عوده وترسمت تحليقه في أوج التحقيق وصعوده، فلاح لي منه كتاب قد اشتمل من أصله على اللباب، وامتاز بتجرده من مستطردات اللغة والإعراب، إلى شروح ضافية وتكميلات وافية ومستدركات في التنويه كافية، فشكرًا لمؤلفه على هذه المأثرة العلمية كدأبه في خدمة السُّنَّة

= و(٢/٦٠٦-٦٠٧) ط مكتبة الشَّيخ نظام يعقوبي الخاصة، والإمام محمد الطاهر بن عاشور هو الذي سعى في استعارة الأصل التونسي من جامع الزيتونة ،وقام بفَكِّ ملازم الأصل، ثم وزعه على عدد من الناسخين في تونس فقاموا بنسخه له، ثم خيط الأصل وأعيد تجليده كما كان، وقابله على أصله، ثم بعث للحافظ بفرعه الذي فرّعه له من الأصل التونسي، كما وقفت على ورقة بتكاليف كل ذلك ملحقة بالنسخة المستنسخة من النسخة التونسية من الكتاب في المكتبة الكتانية، فما زعمه الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي في مقاله المنشور ضمن أعماله (٣/٥٣٩) من أنَّ الحافظ استعار النسخة التونسية تخرص وكذب على الإمام، فلم تخرج النسخة من تونس أصلًا كما ذكرنا، وقد استعار الإمام مع هذا عشرات الكتب من الديار التونسية من مكتبات خاصة وردها إلى أصحابها، وهاه ي ذي شاهدة بأمانة مستعيرها، وقد ذكرت بعضها في كتابي «تاريخ المكتبة الكتانية»، وللحديث عن هذه النسخة مقام آخر يسَّر الله بسطه.

المُحمَّدية، ولا زال مصدرًا للفضائل ومصداق كم ترك الأوائل، وكتبه معجبًا ومسلمًا حافظ وده محمد الطاهر بن عاشور باشا مفتي المالكية بتونس في ٧ رمضان عام ١٣٤٧».

- وقال المؤرخ السيد إدريس بن الماحي القيطوني في كتابه «معجم المطبوعات المغربية»[١]: «الفقيه العلامة الدرَّاكة المُحدِّث الحافظ المسند الرحالة المؤرخ النسَّابة النقَّادة المشارك، الجامع بين شرف العلم والنسب، أعجوبة الدهر في الحفظ والاطلاع ،كان علامةً مشاركًا في كثير من الفنون محدثًا حافظًا واسع الاطلاع، إمامًا في الحديث، بصيرًا بمعانيه وفقهه، عارفًا برجاله وتواريخه وأحوالهم من تعديل وتجريح، آيةً في السِّيَرِ والتاريخ والأنساب وأخبار النّاس وأحوالهم، له يد في التصوف، فصيح اللسان، متقنًا لصناعة التدريس، مكبًّا على المُطالعة والمذاكرة، حسن المحاضرة ممتع المجالسة، جماعة للكتب، محظوظًا في ذلك، كثير السياحة داخل المغرب وخارجه.

حجَّ مرارًا[٢] وساح في بلاد المغرب، حواضره وبواديه، ودخل الجزائر وتونس وليبيا[٣] ومصر والحجاز وسوريا ولبنان والقدس، ولقي عظماء الرجال، وكان أينما حل يفيد ويستفيد ويجيز ويستجيز، وجمع مكتبةً

---

(١) (ص٣٠٢).

(٢) إنما حج السيد مرتين الأولى سنة ١٣٢٣، والثانية سنة ١٣٥١ لا غير.

(٣) دخول السيد لليبيا في عهدته، ولم يصح لديَّ دخوله إليها نعم تراسل مع علمائها وتتبع أخبار إمامها السيد محمد بن علي السنوسي واستقبل في بيته العامر حفيده ملك ليبيا السيد إدريس بن السيد محمد المهدي السنوسي رحمهم الله.

عظيمة كَمًّا وكيفًا، فيها من نوادر المخطوطات ما يعجز فرد عن جمعه، ولا تكاد تجد كتابًا فيها على كثرة ما فيها لم يطالعه ويعلق عليه بخطه...».

- وقال الشَّيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان مدرس التوحيد والحديث في المسجد الحرام في ثبته «إتحاف العدول الثقات بإجازة كتب الحديث والأثبات» راويًا فيه حديث الرحمة المسلسل بالأولية عن شيخه المؤلف فقال[١]: «وأرويه أيضًا عن شيخنا حافظ العصر ومسند الوقت ومحدثه أبو الإسعاد وأبو الإقبال محمد عبد الحي بن عبد الكبير المغربي الفاسي، وهو أول حديث سمعته منه في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة الحرام عام الواحد والخمسين بعد الثلاثمائة والألف بمنزله بباب العمرة تجاه الكعبة المعظمة» اهـ.

- وقال الشَّيخ الصُّوفي أبو الحسن الفاروقي الهندي في ثبته «الإجازة السامية للأسانيد العالية» ذاكرًا فيه سماعه لحديث الأولية عن الحافظ وهذا نصه[٢]: «وأرويه عن من أحرز قصب السبق، وجمع أسانيد الغرب والشَّرق، الحافظ الشَّيخ عبد الحي الكتاني الفاسي المغربي، وهو أول حديث سمعته منه، وأجازني بجميع تآليفه ومروياته، وحرَّرَ لي ذلك، وقد ذكر أسانيده في ثبته الحافل المشهور بـ«فهرس الفهارس»، وكان ذلك في أربعة عشر من شهر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف بمصر القاهرة لمَّا كان في طريقه إلى الحجاز للحج».

---

(١) (ص٤).

(٢) (ص٦).

- وقال الشَّيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع النجدي ثُمَّ المكي في ثبته «الثبت العالي الرفيع في إسناد أهل العلم والتوقيع»[١]: «ومنهم العالم الكبير المحدِّث الشَّهير، حامل علم الإسناد في بلاد المغرب، الشَّيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، صاحب الثبت الكبير المسمى بفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، وهو ثبتٌ عظيم قد حوى غالب الأثبات من القرن الثامن إلى عصرنا هذا مع تراجم أصحابها، وهو مطبوع في مجلدين من القطع الكبير، وقد أجازني بجميع ما حواه وكتب عليه بخطه وناولني إياه، وقد سمعتُ منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، ومسلسل سورة الصف، وقد سمعتُ منه أيضًا النصف الأول من الأوائل السنبلية بقراءة الشَّيخ عمر حمدان في المسجد الحرام، وقرأتُ عليه النصف الأخير منها بعد أن أمرني بذلك بمحضر جمع غفير من العلماء والعامة في المسجد الحرام».

- وقال العلامة الأديب المؤرخ الفقيه أحمد النميشي الفاسي الحسني في كتابه «تاريخ الشعر والشعراء بفاس»[٢]: «يجب عليَّ أن أُقَدِّمَ خالص تشكُّراتي لسعادة الشَّريف العلامة الأستاذ مولاي عبد الحي الكتاني، إذ من روض خزانته البديعة اجتنيت زهر هذه المسامرة، والتقطت دررها، ناهيك بخزانة أمنت أن يصير وترها شفعًا، وأن يطمع أحد في تصيير مفردها جمعًا، بل صارت كعبة تحج لها الوفود من كل ناحية، ويقصدها سواح الأجانب من الجهات النائية، فيبهرهم ما يرون فيها من الذخائر، ويروقهم ما يبصرون من كل نفيس فاخر».

---

(١) (ص٤٢) دار الصميعي.

(٢) (ص٧-٨).

- وقال العلامة القاضي المسند عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي في معجم شيوخه[١]: «نقل ذلك حامل راية الرواية والإسناد والحديث، العلامة الكبير أبي الإسعاد السيد عبد الحي الكتاني في الجزء الثاني من كتابه «فهرس الفهارس» الشهير».

- وقال العلامة الفقيه المفتي السيد عبد الله بن عبد المعطي السباعي الحسني في كتابه «الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع»[٢]: «وقد ذكر العلامة المؤرخ المحدث الشريف الشَّيخ الكبير المولى عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الفاسي في ثبته «فهرس الفهارس» ترجمة المتحدث عنه...».

- وقال العلامة المؤرخ البحاثة الشريف محمد بن عبد الهادي المنوني المكناسي الحسني رحمه الله في كتابه «تاريخ الوراقة المغربية»[٣]: «ونستدرك هنا الإشارة إلى عالم مغربي تميز بخصوصية في عالم الوراقة، وكان هو محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني الفاسي (ت١٣٨٢هـ/١٩٦٢)، فقد انفرد في الشمال الإفريقي بحسٍّ وراقي خاص، أكسبه معرفة واسعة بخطوط العلماء أندلسيين ومغاربيين ومشارقة، مؤلفين وسواهم، قدماء ومحدثين، لا يجارى في ذلك بين أهل عصره، ومؤلفاته وكتبه شاهدان ببعض ذلك».

---

(١) (٢/٩٢).

(٢) (ص٢٨).

(٣) (ص٣١٦-٣١٧).

- وقال أيضًا لما ذكره ضمن شيوخه في سفر الإجازات[١]: «العلامة المحدث الناقد الواسع الاطلاع والرواية، الشَّيخ محمد عبد الحي بن الشَّيخ عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني، المتوفى يوم الجمعة ٢٨ ربيع الثاني ١٣٨٢/ ٢٨ شتنبر ١٩٦٢».

- وقال العلامة اللغوي الكبير الأستاذ أبو محفوظ الكريم المعصومي الهندي في كتابه «بحوث وتنبيهات»[٢]: في أثناء ترجمته للإمام الحافظ السيد محمد مرتضى الزبيدي: «إن هذه لرزيةٌ فادحةٌ أن يقوم محقق ضليعٌ مثل الأستاذ عبد الستار أحمد فراج بتقديم كتاب تاج العروس، ثُمَّ إنه يترجم مؤلفه حسب ظنونه الواهية، ولا يتلعثم في تخطئة الكتاني وأمثاله من قهارمة البحث والتحقيق».

* * * *

---

(١) (ص٩٣).

(٢) (١/٢٦٥).

وفاته

في فجر يوم الجمعة ثامن وعشري ربيع الثاني سنة ١٣٨٢ الموافق ٢٨ شتنبر سنة ١٩٦٢م كما في «معجم المطبوعات المغربية»[١]، و«إتحاف المطالع»[٢]، وإجازة العلامة محمد بن أبي بكر التطواني للقاضي رشيد المصلوت الروداني، وقد ذكرها في «الفهرس العلمي»[٣]، وعنه نشرها الدكتور محمد بن عزوز في كتابه «العلامة بن أبي بكر التطواني»[٤]، وهو المكتوب على شاهد قبره كما قرأته مراراً.

وجاء في كتاب شيخنا العلامة السيد إدريس العراقي الفاسي الحسيني «اقتطاف أزهار الحديقة فيما لمؤلفه من الشيوخ في علمي الشَّريعة والحقيقة»[٥] قلب، فقد ذكر أن التاريخ الهجري هو يوم ٢٧ ربيع الثاني، والتاريخ الميلادي هو يوم ٢٨ شتنبر.

وجاء في كتاب «الإرشاد بذكر بعض ما لي من الإجازة والإسناد» لمؤلفه العلامة القاضي حسن مشاط المالكي[٦] أنه توفي يوم الثلاثاء

---

(١) (ص٣٠٢).
(٢) (٥٧٨/٢).
(٣) (ص١٠٧).
(٤) (ص٢٢٥).
(٥) (ص٤٥٧).
(٦) (ص٥).

الموافق جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢، ونحوه في تعليقات العلامة عبد الفتاح أبو غدة على «الأجوبة الكاملة»[١]، وقد أكرمني أخي الشَّيخ يوسف الصبيحي المكي بمصورة نسخة العلامة حسن المشاط من كتاب «الأجوبة الكاملة» بتحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة وإهدائه له، وفيه ما نصه[٢] لدى ذكر الشَّيخ عبد الفتاح لوفاة مجيزه المؤلف: «سألت حضرة الأستاذ.... صاحب هذه التعليقات عن مستنده في ذلك، فأجابني بأنه... بذلك السيد المنتصر بن السيد الزمزمي بن السيد محمد بن جعفر الكتاني وهو (حضر) وفاته،... وذلك حين اجتماعي بالسيد عبد الفتاح بال... بعد نزوله من الحجر ١٣٨٥....».

قلت: وهذا التاريخ مخالف لما أجمع عليه المؤرخون، والمثبت على شاهد قبر المؤلف رحمه الله تعالى.

وهكذا توفي الإمام الحافظ بعد عُمرٍ عامر بالعلم والإصلاح والإيمان، والدعوة إلى الله غريبًا شهيدًا محتسِبًا قتل المُجرمين لولده العلامة القاضي سيدي عبد الأحد رميًّا بالرصاص، محتسبًا صابرًا على ما ناله من إذاية الأطراف والأوباش، وافترائهم عليه الكذب، وخلقهم الأراجيف، محاولين تشويه سمعته، والتقليل من عالي منزلته، ودفن رحمه الله تعالى بمقبرة الجالية المسلمة في ضواحي مدينة نيس رحمه الله رحمة واسعة وعوضه الله واسع الجنان، وألحقنا به مؤمنين صالحين، وجمعنا به في جنات النعيم مع جده المصطفى ﷺ.

---

(١) (ص١٢٠-١٢١).

(٢) (ص١٢١) الطبعة الأولى وما وقع ناقصًا فهو من قطع المسفر لأطراف الورقة فضاع بسببها تتمة الكلام المقدر بنقاط فوق.

القسم الثاني:
البحر المتلاطم الأمواج وما يتصل به

ما كُتب في الموضوع قبل «البحر» وبعده

أمّا من ألف في هذا الموضوع قبله فقد سَمَّى المصنف في مقدمة كتابه جماعة من الأئمة والعلماء ممن كتبوا في هذا الباب، فأذكر هنا من ذكرهم وأُتَرْجِمُ لهم، وأذكر محل وجود الكتاب إن كان مخطوطًا، ومحل طبعه إن كان مطبوعًا، وما زدته جعلت أوله حرف (ز) علامة على كونه مزيدًا مني.

- **الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين الأجري المكي**[١]: نسبه له المصنف في مقدمة «البحر المتلاطم الأمواج»[٢] وأشار إلى كونه استفاد ذكره له من كتاب «صلة الخلف»[٣].

- **الإمام محمد بن أحمد المسناوي الدلائي الفاسي المالكي**[٤]:

---

(١) توفي سنة ٣٦٠هـ. ترجمته في: تذكرة الحافظ (٣/٩٣٦ رقم الترجمة ٨٨٨)، سير أعلام النبلاء (١٦/١٣٣-١٣٦).

(٢) (ق٨) نسخة مكتبة السيد محمد المهدي الكتاني الخاصة.

(٣) (ص١٦٤) من المطبوع، وهو في (ق٥٠) نسخة مكتبة السيد محمد بن جعفر الكتاني، وهي الأصل الذي فرع منه المصنف فرعه من الكتاب وعلى هذا الموطن توقيف بخطه.

(٤) ولد سنة ١٠٧٢ وتوفي سنة ١١٣٦. ترجمته في: نشر المثاني (٣/٢٦٥-٢٧٨)، سلوة الأنفاس (٣/٥٩-٦١)، الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام (٦/٢٦-٣٣)، معجم المطبوعات المغربية (ص٣٢٥).

نسخه الخطية:

للكتاب نسخة نفيسة كتبت يوم الجمعة ٣ محرم ١١١٣ في مكتبة المصنف تحت رقم (١٢٠٢ك)، وللكتاب نسخة أخرى نفيسة في المكتبة الوطنية تحت رقم (٢٥٥٩د)، كتبت يوم الاثنين ٢٧ رجب الفرد عام ١١٣٩.

ومنه أربع نسخ في الخزانة الحسنية بالرباط تحت الأرقام التالية: (١١٧١-١٢١١١-١٢٤٥٣-١٢٤٦٥).

ونسخة في خزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط (٣٧٥ع).

وأخرى بخزانة القرويين بفاس (١٥٣٠)[١].

ونسخة في مكتبة الأديب عبد الله كنون (١٠٤٠٢).

طبعاتها:

طُبعت أول مرة ملحقة بمجلة لسان الدين بمدينة تطوان عن المطبعة المهدية بتطوان سنة ١٣٦٧- ١٩٤٨ في ٥٢ صفحة، بتقديم وتحقيق العلامة الأديب عبد الله كنون.

وقد طبعت أيضًا بتعليق د عبد اللطيف بن الإمام بوعزيزي، ود طه بن علي بوسريح التونسي بدار ابن حزم، وقد تجرّءا على مقام أئمة العلم من المالكية، فأطلقا في مقدّمتهما ما كان ينبغي لهما التفكر فيه مليًّا قبل إطلاق تلك الأحكام الجائرة عن مئات إن لم يكن آلاف من العلماء المالكيين، فقالا[٢]: «إن واضعها أحد علماء المالكية المتأخرين، الذين يندر عنهم في

---

(١) فهرس مخطوطات خزانة القرويين للأستاذ العابد الفاسي (٢٥١/٤-٢٥٢).

(٢) (ص١٥).

الغالب التحقيق أو الإنصاف، فضلًا عن تمييز الأدلة أو تمحيص الراجح من الأقوال عند الاختلاف...». اهـ

قلت: وما أكبرها من كلمات وأجرأها من قلة أدب على مقام أهل العلم، وجهل بمكانتهم، وتقليل من علومهم ومعارفهم، دون دليل أو شبهة، إنّما هي إطلاقات فارغة عارية عن الدليل.

ومن عيوب عملهما اعتمادهما على نسخة من مكتبة الأزهرية وحيدة، وفاتهما الوقوف على نسخ الكتاب الخطية التي ذكرنا بعضها قبل، مما جعل كثيرًا من عبارات الكتاب مضطربة غير واضحة الدلالة في نشرتهما.

- والإمام العلامة المشارك صاحب التآليف المفيدة **أبو عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي الأموي الفاسي**[١]، قال الحافظ في مقدمة «البحر المتلاطم الأمواج»[٢]: «اختصر رسالة المسناوي، كما أخبرني بذلك من كانت عنده بخطه، وهو ممن كان يقبض في صلاته». اهـ

وقد ذكر العلامة محمد المهدي الكتاني نقلًا عن القاضي عبد الحفيظ الفاسي في هامش هذا الموطن من نسخته من «البحر»[٣] أنَّ المصنف عثر عليها في تركة العلامة الفقيه الجمّاع أبي العباس أحمد بن المهدي البوعزاوي الفاسي.

---

(١) توفي سنة ١٢١٤. ترجمته في: سلوة الأنفاس (٣٠٣/٢-٣٠٤)، تاريخ الشعر والشعراء بفاس (ص٨٥)، شجرة النور الزكية (٣٧٤/١)، معجم المطبوعات المغربية (ص٢١٢-٢١٣).

(٢) (ق٨) نسخة مكتبة السيد محمد المهدي الكتاني الخاصة.

(٣) (ق٥/أ).

- **العلامة أبو الحسن الشَّيخ قائم بن صالح السندي ثُمَّ المدني**[1]، له رسالة سماها: «فوز الكرام بما ثبت في وضع اليدين تحت السّرة أو فوقها تحت الصّدر عن الشفيع المظلل بالغمام»، قال الحافظ في «البحر»[2]: «لم أقف عليها، ولكن رأيت النقل منها في «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل»[3] لسمينا العلامة محمد عبد الحي اللكنوي الهندي المطبوع به».

- **والإمام العارف الكبير القطب الشهير، صاحب المدد والصيت، الشَّيخ محمد المجذوب السواكني المالكي الإدريسي طريقة**[4]، له رسالة سماها «إزالة الحزن والقبض في إثبات وصحة مسألة القَبْض»، المتوفى سنة سبع وأربعين ومائتين وألف.

ز- **العلامة علي بن سلطان القاري الهروي المكي**[5] فله جزء سماه «شفاء السالك في إرسال مالك» وقد طبعت بتحقيق الشَّيخ مشهور حسن سلمان بالمكتب الإسلامي سنة ١٤١٠/١٩٩٠.

ز- «رسالة في كراهية القَبْض في الصلاة» **لشيخ المصنف العلامة القاضي المعمر المقرئ الفقيه أبي محمد عبد الله بن الهاشمي بن خضراء**

---

(١) توفي سنة ١٢٥٧. ترجمته في: نزهة الخواطر (٦/٨٣٥).

(٢) (ق٨) نسخة مكتبة السيد محمد المهدي الكتاني الخاصة.

(٣) (ص٢٠٤).

(٤) ولد سنة ١٢١٠ وتوفي سنة ١٢٤٧، له ذكر في تلاميذ الإمام أحمد بن إدريس العرائشي في «جامع كرامات الأولياء» (١/٥٧١).

(٥) توفي سنة ١٠١٤. ترجمته في: خلاصة الأثر (٣/١٨٥ - ١٨٦)، البدر الطالع (١/٤٨٤-٤٨٥)، الأجوبة النبعة للمصنف (ق١٩٠-١٩١).

السلاوي قاضي الحضرة الفاسية[1] وهي مخطوطة في المكتبة الوطنية تحت رقم (٩٠ح)، و(١٧٢٤د).

ونسخة في مؤسسة علال الفاسي (٧٠٤ ع)، ومنه ثلاث نسخ في الخزانة الحسنية (١٢٢١٢-١٣٨٤٨-١٤٠٦٠)، ونسخة في الخزانة الصبيحية بسلا (١/١٥٦) بعنوان: «رسالة في كراهة القَبْض في الصلاة».

- **شقيق المؤلف وشيخه الإمام العارف الشَّهيد السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي الحسني**[2] فله في المسألة كتاب «البيان الشافي والقول الكافي في أن فاعل القَبْض في الفريضة غير جافي» وقد طبع بعناية الأستاذ عدنان زهار، وتقديم الدكتور الشريف حمزة بن علي الكتاني.

ومن الكتاب ثلاث نسخ في الخزانة الملكية بالرباط، هي ذات الأرقام التالية: (١١٩٨٣-١٣٧٢٩-١٣٧٩٠).

ومنه نسخة في مكتبة المسجد النبوي الشريف تحت رقم (١٢٧/٨٠ 1) وهي بخطٍّ مشرقي، كتبها حمزة بن الحاج العربي التقرتي[3].

---

(١) ولد سنة ١٢٦٠ وتوفي سنة ١٣٢٤. ترجمته في: النجوم السوابق الأهلة (ق٥١) نسخة الحرم المكي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام (٨/٣٤٦-٣٥٠)، تاريخ الشعر والشعراء بفاس (ص٩٥)، قدم الرسوخ لسكيرج (ص٤٣٤)، معجم المطبوعات المغربية (ص١١٣) وانظر مسردًا بمؤلفاته في: معجم المؤلفين على عهد الدولة العلوية للنقيب بن زيدان (٢/١٤٣-١٤٥)، وقضاة فاس لابن سودة (١٣٢-١٣٣).

(٢) سبقت ترجمته في شيوخ المصنف.

(٣) مخطوطات مكتبة المسجد النبوي الشريف فهرس وصفي (ص٣٨٨-٣٨٩).

وقطعة من آخره ملحقة بأول نسخة أستاذنا الصديق الرندة من كتاب «البحر المتلاطم الأمواج» على ما سيأتي ذكره.

- «جواب عن نظم في صورة السؤال عن حكم القَبْض في صلاتي النفل والفرض» **لأبي العلاء الفضيلي، للعلامة الأديب الفقيه المشارك السيد عبد الرحمن بن جعفر بن إدريس الكتاني**[1] «جوابا لوالده»، وقد طبع على الحجر بفاس سنة ١٣١٩[2].

ز - «المبرة في أن القَبْض في الصَّلاة هو مذهب إمام دار الهجرة» **للعلامة محمد المكي بن عزوز**، نسبه له صاحب «إيضاح المكنون»[3].

ز - «رائد النجعة في جواب من تعجب من قولنا السَّدْل بدعة» له أيضًا.

ز -«مصرع الأوابد في بيان خطإ الرجال الثلاثة المهدي والكافي وعابد» له أيضًا، ولم أوفق في العثور عليها بعد البحث.

ز - «تقييد في القَبْض والسدل» لشيخ المصنف العلامة المعمر شيخ الجماعة **أبي العباس أحمد بن محمد بن عمر الخياط الزُّكَارِي الفاسي**[4].

---

(١) ولد سنة ١٢٩٧ وتوفي سنة ١٣٣٤. ترجمه المصنف في كناشه رقم ٢٥٣ (ق٨٢) وفي ترقية المريدين (ص٨١)، وانظر النبذة اليسيرة (ص٣١٩-٣٢٢)، ومعجم المطبوعات المغربية (ص٢٩٧-٢٩٨)، ومنطق الأواني (ص١٤٦-١٤٨).

(٢) معجم المطبوعات المغربية (ص٢٩٨).

(٣) (٤/٤٢٤).

(٤) سبقت ترجمته في شيوخ المصنف.

ومنه نسخة في الخزانة الحسنية تحت رقم (١٢٢١٢)، ولم يذكره مصنفه ضمن قائمة مؤلفاته آخر «فهرسته الصغرى»، فلعله كتبه بعد الانتهاء من تأليف الفهرسة[1].

ولم يذكر هذا التقييد في «الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي» للدكتور محمد العلمي.

- «سلوك السبيل الواضح لبيان أن القَبْض في الصَّلوات كلها مشهور وراجح» **للإمام المحدث العارف السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني الفاسي**[2]، نسب له في ترجمته[3]، ونسبه له الحافظ في «البحر المتلاطم الأمواج»[4].

وللكتاب عدة نسخ في مكتبته المودعة اليوم في المكتبة الوطنية، فالأولى تحت رقم (١٥٢ك)، وتقع في ٤٧ ورقة بخطّ المصنف، وقد بقي ذكره على الدكتور محمد العلمي في «الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي».

ز - «نور الإثمد في سنة وضع اليد على اليد في الصَّلاة» **للعارف بالله الشَّيخ أحمد بن مصطفى بن عليوه المستغانمي**[5]، وقد طبع مرَّات،

---

(١) (ص١٧٦ - ١٩٠).

(٢) سبقت ترجمته في شيوخ المصنف.

(٣) فهرس الفهارس (٥١٧/١)، معجم المطبوعات المغربية (ص٣٠٠).

(٤) (ق٩) نسخة مكتبة السيد محمد المهدي الكتاني الخاصة.

(٥) ولد سنة ١٢٩١ وتوفي سنة ١٣٥٣. ترجمته في: الرحلة الجزائرية التونسية القيروانية للحافظ في مواطن منها، والأعلام الشرقية (٥٤٧/٢-٥٤٨)، والأعلام للزركلي (٢٥٨/١)، ومعجم أعلام الجزائر (ص٣٦٧-٣٦٨).

وبين يدي منه الطبعة الثانية بالمطبعة العلوية بالجزائر بتاريخ ٢٠ رجب سنة ١٣٤٤، ويقع في ١٦ ورقة من القطع الصَّغير، وقد بقي ذكره على الدكتور محمد العلمي في «الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي».

- **الشَّيخ عبد السلام بن محمد بن الطيب الشّرفي الأندلسي**[1] له كتاب سماه «زهرة الأفكار في الرد على المخالف بالقبض في هذه الأعصار»، وقد طبع بفاس بمطبعة العربي الأزرق سنة ١٣١٦ في ٦٧ صفحة، وبآخره تقاريظ، وقد ذكره المصنف في «البحر»، ونقل نقد الإمام الفقيه المفتي سيدي جعفر بن إدريس الكتاني له، ونقد ابنه العلامة الأديب المشارك عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، وسبق ذكرهما قبل.

ز- «رسالة جليلة في حكم السَّدْل على مذهب إمام الأئمة» لمؤلفها **الشَّيخ محمد بن محمد بن الشَّيخ محمد بن محمد بن أحمد الاحي المغربي**[2] من أرض تنبكت المعروف بالشنقيطي، وقد فرغ من تأليفها يوم الأحد من آخر يوم من جمادى الثاني سنة ست وثلاثمائة وألف في المدينة النبوية المنورة، كما في النسخة التي وقفت عليها في مكتبة مكة المكرمة، (مكتبة المولد) تحت رقم (٥٨)، وناسخها هو العلامة محمد عابد بن حسين مفتي السادة المالكية بمكة المكرمة المحمية، وقد ذكر في آخرها أنه قابلها مع مؤلفها على نسخته يوم الجمعة بعد الصَّلاة في ٢٧ ذي القعدة ١٣٠٦، وقد بقي ذكرها على الدكتور محمد العلمي في «الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي».

---

(١) ولد سنة ١٢٩٢ وتوفي سنة ١٣٤٨ ترجمته في: معجم المطبوعات المغربية (ص١٨٩).

(٢) لم أقف على ترجمته.

- «بيان مشهورية السَّدْل والارسال في مذهب إمام مدينة سيد الأرسال»، للعلامة المشارك **شيخ الجماعة محمد بن قاسم القادري**[1]، وقد طبع طبع حجرية بفاس سنة ١٣١٧ في ٨٠ صفحة[2]، وقد ذكره المُصنِّف ضمن كتابه، ولم يُصرِّح باسمه، بل تعمد إبهامه، ولعلَّ السبب في ذاك الأدب مع شيخه وأستاذه، فقد كان من عُمَدِ شيوخه في الفقه والأصول والعربية كما سبق ذكره في ترجمة المصنف، ويأتي الحديث عن هذه المسألة بعدُ.

ثم طبعه الدكتور محمد كنون عن منشورات مؤسسة عبد الله كنون للثقافة والفنون سنة ١٤٣٦-٢٠١٤م.

ز- رسالة في السَّدْل، لشيخ المصنف **العلامة قاضي الجماعة محمد بن رشيد العراقي الفاسي الحسيني**[3]، نسبه له تلميذه القاضي عبد الحفيظ الفاسي في «معجم شيوخه»[4]، وصاحب «معجم المطبوعات المغربية»[5]، وقد بقي ذكره على الدكتور محمد العلمي في «الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي».

ز- **العلامة الفقيه القاضي المشارك عبد العزيز بن محمد بن أحمد بناني الفاسي**[6] قال عنه المصنف في مقدمة «البحر»: «له فيه مؤلف جليل، وهو ممن يقبض في الصَّلاة فرضًا ونفلًا جهارًا إلى الآن».

---

(١) سبقت ترجمته في شيوخ المصنف.

(٢) معجم المطبوعات المغربية (ص٢٨٤).

(٣) سبقت ترجمته في شيوخ المصنف.

(٤) (٩٣/١). (٥) (ص٢٣٧).

(٦) ولد سنة ١٢٧٨ وتوفي سنة ١٣٤٧. ترجمته في: معجم شيوخ القاضي عبد الحفيظ الفاسي (١٠٠/٢-١١١)، قدم الرسوخ (ص٤٤٠-٤٤٣)، معجم طبقات المؤلفين (١٨٣/٢)، سل النصال (ص٥١-٥٢).

ز- **العلامة المشارك القاضي النوازلي الذائع الصيت، مولاي أحمد بن المأمون البلغيثي**[1]، فله كتاب في مسألة القَبْض... نسبه له العلامة محمد المهدي الكتاني في تعليق له على نسخته من «البحر المتلاطم»، وأبقى محل اسم كتابه فَراغًا[2].

ز- **وللشريف العلامة المؤرخ النسابة النقيب مولاي عبد الرحمن بن زيدان العلوي**[3] «إرشاد المستفيد لما للأئمة من التفصيل في طبقات التقليد»، نسبه له العلامة محمد المهدي الكتاني في تعليق له على نسخته من «البحر المتلاطم»[4]، وهذا الكتاب منه نسختان في المكتبة الملكية بالرباط تحت رقم (١٢٠٠٣-١٢٤٢٩)، وقد قرَّظ المصنف هذا الكتاب، وقد أوردتُ نصّ هذا التقريظ في كتابي «مقالات ومقدمات الإمام الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني» يسَّر الله لي إكماله وطباعته.

ز- وممن كتب في المسألة أيضًا صاحب المُصنَّف **العلامة الفقيه الأصولي الشَّيخ محمد بن الحسن الحجوي الفاسي**[5]، فله كراسة في

---

(١) ولد سنة ١٢٨٦هـ وتوفي سنة ١٣٤٨هـ. ترجمته في: معجم القاضي عبد الحفيظ الفاسي (١/١٣٣-١٣٦)، معجم المطبوعات المغربية (ص٣٩-٤٠)، مشيخة الإلغيين (ص٧٨-٩٢)، التأليف ونهضته بالمغرب (ص٦٢-٦٨).

(٢) (ق٩).

(٣) ولد سنة ١٢٩٣ وتوفي سنة ١٣٦٥. ترجمته في: مشيخة الإلغيين (ص٢٧١-٣١٣)، معجم المطبوعات المغربية (ص١٤٨-١٥٠)، التأليف ونهضته بالمغرب (ص٣٤٤).

(٤) (ق١٠).

(٥) ولد سنة ١٢٩١ وتوفي سنة ١٣٧٦. ترجم لنفسه آخر «الفكر السامي» له، وانظر: إتحاف المطالع (٢/٥٦٠) التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين (ص١٣٨-١٤١).

تلخيص النزاع في القَبْض والسدل، نسبه لنفسه في آخر كتابه «مختصر العروة الوثقى»[1]، وهو مخطوطٌ بمكتبته التي ضمّت إلى المكتبة الوطنية تحت رقم (١٥٣ح)، وقد بقي ذكره على الدكتور محمد العلمي في «الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي».

ز- تخميس أبيات العمري في الرد على رسالة المكي بن عزوز في القَبْض في صلاة الفرض، لمؤلف غير مذكور، منه نسخة في الخزانة الحسنية (١٢٣٧٧)، والعمري هو العلامة الأديب محمد العمري المالكي البسكري الجزائري، نزيل المدينة النبوية المنورة، وأحد المدرسين بالمسجد النبوي لمختصر الشَّيخ خليل، وهو ممن قرَّظ كتاب العلامة محمد بن يوسف «الكافي في نصرة السَّدْل».

ز- رسالة في القَبْض في الصلاة، لمؤلف غير مذكور، منه نسخة في الخزانة الحسنية (١٣٧٤١).

ز- «أعذب المقال في دليل الإرسال» للعلامة **مفتي المالكية محمد عابد بن حسين المالكي**[2]، وهو محفوظ في مكتبة مكة المكرمة تحت رقم (٤٩) فقه مالكي، وهي نسخة مبتورة الآخر تقع في ١١ ورقة، وقد بقي ذكره على الدكتور محمد العلمي في «الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي».

- وله رسالة أُخرى سماها «نهاية العدل في أدلة السَّدْل»، مخطوطة في مكتبة مكة المكرمة تحت رقم (٤٧ فقه مالكي)، وتقع في ١١ ورقة،

---

(١) (ص١٢٧).

(٢) ولد سنة ١٢٧٥ وتوفي سنة ١٣٤١. ترجمته في: الأعلام للزركلي (٣/٢٤٢).

في يوم الأحد لأربع وعشرين خلت من شهر ذي الحجة الحرام سنة ألف وثلاثمائة واثني عشر، وقد بناها على رسالة الشنقيطي السابقة.

ز- **العلامة الفقيه المحدث محمد بن أبي بكر بن أحميد الديماني المالكي**[١]، قال العلامة محمد بن أبي مدين الشّنقيطي في كتابه «الصوارم والأسنة»[٢] بعد أن ذكر قصيدة له في نصرة القَبْض: «وله رحمه الله تعالى في هذه المسألة رسالة مستقلة جمع فيها جملة من أحاديث القَبْض وكلام أئمة المالكية»، ثُمَّ نقل عنها.

ومِمن كتب فيه ممن جاء بعده:

- **تلميذ المصنف العلامة الفقيه أبو زيد عبد الرحمن النتيفي الجعفري**[٣]، فله «حل إبرام النقض، في الردِّ على من طعن في سنة القَبْض».

- **تلميذ المؤلف وخرِّيجه الشَّيخ المؤرخ محمد بن أحمد العبدي الكانوني**[٤]، فله كتاب بعنوان «إيضاح سبيل النجاة يوم العرض بتحقيق

---

(١) توفي سنة ١٣٥٨ كما في الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط (ص١١٨).

(٢) (ص٥٣) ط الثانية.

(٣) ولد سنة ١٣٠٣ وتوفي سنة ١٣٨٥. ترجمته في: جريدة الفرقان، العدد السادس عشر سنة ١٤٠٩، بقلم الشَّيخ محمد زحل.

(٤) ولد سنة ١٣١٢ وتوفي سنة ١٣٥٧. ترجمته في: التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين (ص٩١-٩٣)، إتحاف المطالع (٤٨٠/٢)، سل النصال (ص٨٦-٨٧)، الأعلام للزركلي (٢٣/٦).

مطلوبية الرفع والقبض في صلاة النفل والفرض» نسبه لنفسه آخر كتابه «الجواهر الصفية في تاريخ الديار الآسفية»[١]، وله أيضًا: «نصرة الرفع والقبض في صلاتي النفل والفرض»[٢]، وقد بقي ذكرهما على الدكتور محمد العلمي في «الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي».

- **العلامة القاضي محمد بن أحمد بن عبد الله الرباطي**[٣]، فله تقييد في نقض كتاب «إبرام النقض لما قيل من أرجحية القَبْض» للعلامة محمد الخضر بن مايابا الشنقيطي، وقد نشر ضمن كتاب «من قلم الشَّيخ محمد بن أحمد بن عبد الله»، من جمع ولده الأستاذ عبد الرحيم بنعبد الله[٤]، وكان فراغه من تأليفها سنة ١٣٤٨ في شوال الخير منها، وكتابه هذا مع اتفاقه مع «المثنوني والبتار» في وحدة الكتاب المردود عليه إلا أن بينهما بونًا شاسعًا في الأدب وعفة اللّسان، ومعالجة المواضيع العلمية بأدب وروية، بخلاف كتاب الغماري الذي يمكن استخراج قاموس للمساب والشتائم منه على عادته وإخوته من بعده مما أفسدوا به ذوق العلم وآدابه، وسيأتي الحديث عن هذا الأمر بتفصيل بعد.

---

(١) (ص١١٩) نقلا عن كتاب الأستاذ محمد السعيدي الرجراجي في ترجمته (ص٢١٦).

(٢) ذكره ضمن قائمة مؤلفاته آخر كتابه جواهر الكمال (ص١٥٠).

(٣) ولد سنة ١٣١٣ أو ١٣١٤ وتوفي سنة ١٣٨٣. ترجمته في: إسعاف الطلاب الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين (ص١٥٥-١٦٠)، من أعلام الفكر المعاصرين (٩٢/٢)، معجم المطبوعات المغربية (ص٢٣١)، إتحاف المطالع (٥٨٢/٢)، من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر (ص١٣٦-١٤٦).

(٤) القسم الثاني (ص١٨٣-١٩٧).

- وأشار في رسالته تلك إلى مؤلف له في الانتصار للقبض، وذكر أن شيخه العلامة القاضي محمد بن عبد السلام السائح سماه له: «البحر الذي لا يحجبه سحاب في أن ترجيح السنة على رأي الرجال أجدر بالصواب»[1] ونُسِبَ له في ترجمته من «إسعاف الطلاب الراغبين»[2].

- **الشَّيخ محمد العمراني الزجلي الأوثولي أشغف الحسني**[3]، فله كتاب سماه «إحكام النقض لرسالة النصر لكراهة القَبْض»، وقد طبع سنة ١٣٨٩ بالمطبعة المهدية بتطوان، وهو فيه قليل التصرف، يكاد يكون كتابه مبينا على النقل من «المثنوني والبتار» للشيخ أحمد الغماري مع زيادات بسيطة، وإضافات طفيفة من عنده، فجُلّ مادته من «المثنوني والبتار»، وهو بدوره منسوخ من «البحر المتلاطم الأمواج» كما سيأتي بيانه، فهو فرع عن فرع.

وفي حواشي الكتاب تعاليق بقلم الشَّيخ عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري، اتسمت بما عُرِفَ عنه وعن إخوته من حِدّة في الأسلوب، وسبٍّ وشتمٍ وتنقصٍ لأقدار العلماء، وقد نَعَتَ العلامة محمد المهدي الوزاني في حواشيه تلك[4] بالبليد، والغبي، مع كون هذا الذي يصفه بهذه الأوصاف المذمومة أحد شيوخ والده الذين قرأ عليهم وانتفع

---

(١) القسم الثاني (ص١٨٦).

(٢) (ص١٥٩).

(٣) توفي سنة ١٣٩٤. ترجمته في جريدة الميثاق (عدد ١٩١)، وانظر: إتحاف المطالع (٦٢٣/٢).

(٤) (ص٢٩٦).

بهم، وارتقى بمعارفه من حضيض الجهل، كما ذكر ذلك في كتاب «سبحة العقيق في ترجمة الشَّيخ محمد بن الصديق»[1] لشقيقه الأكبر أحمد.

ووصف الإمام أبا سالم العياشي بالأحمق[2]، وغير ذلك[3] مما يستحيي عاقل من كتابته، وهو يصف عموم المُقَلِّدَةِ بالكذبة[4].

ويقول[5] عن موافقة جماعة من العلماء على قول بأنه كاجتراء الدابة لِمَا أَكَلَتْ؟؟

ويقول[6] عن الفقهاء المالكية بأنه يعتريهم داء السعار... لجهلهم وقصور معرفتهم.

ويصف[7] العلامة محمد الخضر الشنقيطي بالمُخَرِّف في مواطن.

وَيَتَّهِمُ فقهاء المالكية[8] بأنهم تجردوا من الإيمان، وخويت قلوبهم من تعظيم ما أمر الله بتعظيمه.

قلتُ: سبحانك هذا بهتان عظيم.

---

(١) (ق ٤١٧-٤١٩).

(٢) (ص٦٤).

(٣) (ص٦٦).

(٤) (ص٨٣).

(٥) (ص١٠٢).

(٦) (ص١١١).

(٧) (ص١٢٩).

(٨) (ص١٨٣).

وعدّ من فضائح المغاربة - في نظره القاصر - أنهم يفتخرون بحِفْظ «مختصر خليل»[1]، إلى غير ذلك من العبارات المُقْززة المُنكَرة شرعًا وطبعًا وعُرفًا، وقد زاد الطين بلة مؤلف الكتاب حين نقل مراسلة بينه وبين الشّيخ عبد العزيز الغماري حول حديث «لا يزال أهل الغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة»[2] قال فيها المذكور ما نَصُّه[3]: «ومما يبطل دعوى المتعصب أنه بشارة بالمغاربة كلهم ما ظهر اليوم وذاع وانتشر بين المغاربة بسبب المدارس من الإلحاد السافر والاستهزاء بنصوص القرآن، والتلاعب بقواعد الدين، حتى أصبح المؤمن بينهم ذليلًا حقيرًا، لا يستطيع أن يظهر دينه ويعلن شعائره، وهذا لا يحتاج ذكره إلى إقامة دليل عليه، فالكلُّ منا يلمسه ويراه ويسمعه، يضاف إلى هذا الانحلال الخلقي حتى ممن يدعي الإسلام ويزعم الإيمان، فلم يبق أحد يتورع عن حرام ومنكر في الشرع، لا فرق بين الذكر والأنثى، والصغير والكبير، فالخمر يشرب جهارًا، والسفور صار هو ديدن النساء، والاختلاط في الحفلات والأعراس لم يعد ينكره أحد، والبنات يذهبن إلى المدارس مكشوفات الأفخاذ، وفي داخل المدرسة يجلسن مع الذكور جنبا إلى جنب، حتى صار الحبل والولادة في الزنا أمرًا

---

(١) (ص١٨٤).

(٢) الحديث في صحيح الإمام مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (٣/١٥٢٥) رقم الحديث ١٩٢٥. وقد أفرد هذا الحديث الشريف بالتصنيف الحافظ المصنف في كتاب سماه «البيان المعرب في بعض ما ورد في أهل اليمن والمغرب» وهو مطبوع.

(٣) (ص٢٣٦-٢٣٧).

عاديًا في مدارس المغاربة، وأمّا الربا وأمّا محلات القمار والرقص الخليع وبيع الخمور فهذا مما أصبح في نظرهم من الحلال الزلال الطيب.

أمّا في الصيف فلا تبقى امرأة كيف كان حالها إلا وتنزل للسباحة في البحر عارية الجسم، بادية العورة أمام الجمهور، كأنها في بيتها، بل ربما في بيتها لا تكشف عن جسمها كما تفعل في البحر، إلى غير هذا من المخازي والمساوي التي لا تشرق عليها الشمس».

قلت: هذه هي نظرته للمغرب وأهل المغرب، وحيث كان المغرب كذلك وبالصفة المذكورة ما كان يمنعه من الهجرة عن مثلِ هذه البلاد، فكيف والبقاءَ فيها والانخراطَ في الحزب الاشتراكي مع العلمانيين اللادينيين، وواقع الحال وشواهد التاريخ تدلُّ على أن كلامَه تعميمٌ وتهويلٌ، على عادة الغمارية، طوَت الفضائل وَعَظَّمَتْ الرذائل، ونحن لا ندّعي العصمة في المغرب والمغاربة، ولكن في ما قاله مبالغاتٌ وتضخيمٌ للمنكر، الذي لا يخلو منه بلد ولا زمان ولا مكان، وطيٌّ للفضائل والمزايا على عادته وإخوته في ذلك.

ويرحم الله الإمام محمد بن إدريس الشافعي القائل:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا

وقد ادعى مؤلف الكتاب المذكور[1] أنه لم يجد أحدًا من علماء العصر تصدّى للرد على رسالة العلامة الوزاني، والواقع أنه إن لم يسمع

---

(١) (ص٧).

بـ«البحر المتلاطم» فقد علم به مُقَرِّظُ كتابه، إذ هو تلميذ مؤلفه وولدُ تلميذه، وقد رأى في «فهرس الفهارس» الذي يكثر من النقل والاقتباس منه بعزو ودونه[1] ذكر «البحر المتلاطم» في مقدمة الكتاب، وقد كان عند أخيه نسخة من الكتاب يطالع فيها وينقل منها، ويقتبس دون عزو على ما سيأتي بيانه بعدُ، وَلَعَلَّه ظَنَّ انفراد مكتبة أخيه بنسخة الكتاب، وأنه سيطوى في زوايا النِّسيان والإهمال، فتعمَّدَ كتمَ اسمه، ولكن لله سبحانه حكمة في إظهار الحقائق وتبيين الكاذب من الصادق، ولو بعد حين.

هذا وقد بقي ذكر هذا الكتاب على الدكتور محمد العلمي في «الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي».

- **العلامة المحدث الأديب محمد بن أبي مدين بن الشَّيخ أحمد بن سليمان الشنقيطي**[2]، له كتاب «الصوارم والأسنة في الذّب عن السنة» وقد طبع مرات؛ منها: الطبعة الأولى بمطبعة الأمنية بالرباط سنة ١٣٧٨-

---

(١) من ذلك قوله في جزئه «منح المنة في التعليق على الأربعين من رياض أهل الجنة» (ص٧) أنَّ مسلسلات الإمام محمد بن الطيب الشرقي اشتملت على نحو ثلاثمائة حديث، وهذا الأمر ذكره الحافظ في «فهرس الفهارس» (٢/٦٦١) نقلًا عن «سلك الدرر»، إلا أنَّه رجع فنبَّه في هوامش نسخته الخاصة من «فهرس الفهارس» إلى أن هذا وهم، والواقع أن عدد أحاديثه أقل بكثير مما ذكر، وواقع الحال يفرض أمرين لا ثالث لهما: أن يكون الشَّيخ عبد العزيز وقف على مسلسلات ابن الطيب وعدَّها، فبلغت لديه ذلك العدد، وهو محال، إذ أنه يخالف واقع الكتاب، أو أن يكون نقل ذلك عن غيره من غير عزو، وهو المُجربُ عليه وعلى أخيه الأكبر من قبله كما سيأتي ذكر أمثلة لذلك بعدُ.

(٢) ولد سنة ١٣٣٠ وتوفي سنة ١٣٩٦. مقال بمجلة دعوة الحق العدد ٢١٩.

١٩٥٩، وطبع بالمغرب طبعة ثانية سنة ١٣٩٥-١٩٧٥ على نفقة وزارة الأوقاف بأمر أمير المؤمنين الملك الحسن الثاني رحمه الله تعالى.

- **الفقيه العلامة أحمد بن محمد السعيدي الأنجري**[1]، فله كتاب «النبال المهندة في نحور من عارض الكتاب والسنة» ذُكِرَ له في ترجمته من كتاب «تراجم أعلام أنجرة»[2].

- **العلامة شيخ الجماعة الفقيه محمد المرير التطواني**[3]، له كتاب سمَّاه «القول الفصل والحكم العدل في مسألتي القَبْض والسَّدل»، وقد طُبع بتحقيق الأستاذ المُحقِّق الأديب جعفر بن الحاج السلمي المرداسي، عن منشورات جمعية تطوان أسمير.

- **تلميذ المصنف العلامة المُفَسِّر الصوفي إبراهيم نياس الكولخي التيجاني**[4]، فله «رفع الملام عمَّن قبض اقتداءً بسيد الأنام».

- **العلامة الفقيه النسَّابة الطاهر بن عبد السَّلام اللهيوي الإدريسي**[5]؛

---

(١) ولد سنة ١٣١٢ وتوفي سنة ١٣٩٦. ترجمته في: أعلام أنجرة لأحمد بن محمد بنباية الأنجري (ص٧٧-٨١).

(٢) (ص٨٠).

(٣) ولد سنة ١٣٠٤ وتوفي سنة ١٣٩٨. ترجمته في كتاب «شيخ العلوم المرحوم الفقيه محمد المرير في ذكراه الأربعينية»، معجم المطبوعات المغربية (ص٣٢٣)، إسعاف الطلاب الراغبين (ص٢١٩)، وانظر مقدمة تحقيق فهرسته النعيم المقيم (١/٦-١٢).

(٤) ولد ١٣١٨ وتوفي سنة ١٣٩٥.

(٥) معاصر، توفي سنة ١٤٣٣ هو من تلاميذ العلامة الفقيه محمد بوزيد الخمسي، له عدة مؤلفات، منها «حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام» وقد طبع مرَّات، و«كشف الظنون عن زاوية أوهى من بيت العنكبوت لو كانوا =

فله كتاب في الانتصار للسَّدل بعنوان «القول الفصل بين صلاة القَبْض وصلاة السَّدْل، مع التصدي لحقيقة الوهابية النجدية» طبع بتطوان مطبعة الحداد يوسف إخوان سنة ١٩٩٥.

- **تلميذ المُصنف شيخنا العلامة الفقيه المؤقت المشارك السيد إدريس بن محمد العابد الحسيني العراقي**[1]، فله رسالةٌ سمَّاها: «المنحة الإلَهية بترجيح السَّدْل على القَبْض عند المالكية».

- «كشفُ أنواع الجهل فيما قيل في نصرة السَّدْل» **لتلميذ المُصَنِّف العلامة عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري**[2]؛ وهو جزءٌ صغير في ٢٠ صفحة، كَجُلِّ مصنفات مؤلفه.

- «إتحاف ذوي الفضل في تحرير مَسائل القَبْض والسدل»، تأليف د **عبد الحميد بن مبارك آل الشَّيخ مبارك**[3] وقد طُبع بمجلة قطر الندى ككتاب للمجلة.

= يعلمون» في الرد على أهل الزاوية الغمارية بطنجة، وقد طبع مرقونًا على الآلة الكاتبة.

(١) ولد سنة ١٣٣٦ وتوفي سنة ١٤٣٠، ترجم لنفسه في مجلة طريق الحق المصرية، وذكريات من حياتي لشيخنا عبد الله التليدي (ص١٤٦-١٤٧).

(٢) ولد سنة ١٣٢٨ وتوفي سنة ١٤١٣. ترجم لنفسه آخر كتابه بدع التفاسير (ص١٦٢-١٨٦)، وترجمه أخوه أحمد في سبحة العقيق (ق٣٧٦)، والتأليف ونهضته بالمغرب (ص٣٩٢-٣٩٦)، وترجمه الأستاذ زكي مجاهد في الأخبار التاريخية (ص١٠٥) ومما قال فيها: «واشتغل بالسياسة المغربية مثل أخيه أحمد ولكنه لم يوفق، واتهم في مصر بالجاسوسية وحكم عليه بالسجن، وبعد مدة أفرج عنه وأعيد إلى وطنه مدينة طنجة وأقام بها».

(٣) معاصر.

- «فتح ذي المنة برجحان السَّدْل من السنة»؛ **للشيخ محمد المحفوظ بن محمد الأمين التواجيوي الشنقيطي**[1]، وقد بناها على كتاب العلامة محمد الخضر الشّنقيطي «إبرام النقض»، وهي رسالة صغيرة في خمسة أوراق.

- «رسالة في مشروعية السَّدْل في الفرض» للشّيخ مختار ابن احميميدات الداودي[2]؛ وقد طبعت بمدينة أبو ظبي دون تاريخ، وتقع في ٣٤ ورقة، يليها رسالة له في «أذان المالكية أذان أهل المدينة».

- «ما قلَّ ودلَّ في أدلة القَبْض والسدل» تأليف الشَّيخ أحمد التجاني الفوتي، وقد طبع في مطبعة المنار ومكتبتها بتونس في شهر أكتوبر سنة ١٩٧٦.

- «تنبيه الناسك العابد على سقوط ما تضمَّنه كتاب عابد» للشيخ المحدث محمد بن أحمد بن عبد القادر الغلاوي المدني[3]، وقد طبع بتحقيق تلميذه د عبد الرحمن بن عمري الصاعدي بدار النصيحة بالمدينة النبوية المتورة.

فهذا ما وقفنا عليه أو بلغنا خبره من الكتب المؤلفة في مسألة السَّدْل والقبض.

---

(١) معاصر.

(٢) معاصر.

(٣) توفي سنة ١٤١٨ رحمه الله تعالى.

التعريف بالإمام المكي بن عزوز
وعلاقته مع مؤلف البحر والتعريف بكتابه في القَبْض

حيث إنَّ الإمام الحافظ كتب كتابه «البحر المتلاطم الأمواج» نصرة لـ«هيئة الناسك» رأيت إفراده بترجمة مختصرة، مع حديث عن العلائق العلمية والأخوية والروحية بين الرجلين رحمهما الله تعالى.

موجز ترجمته[1]:

ولد سنة ١٢٧٠ بنفطة، وطلب العلم على مشايخها ومشايخ تونس، وشارك في العلوم الإسلامية، فضرب في كل فن منها بسهم وافر.

ولي الإفتاء بنفطة سنة ١٢٩٧ وله من العمر ست وعشرون سنة، ثُمَّ ولي قضائها، عاد إلى تونس سنة ١٣٠٩، وفي سنة ١٣١٣ رحل إلى

---

(١) مصادر ترجمته: «فهرس الفهارس» (٢/٨٥٦-٨٦١)، «الرحلة الجزائرية التونسية القيروانية» (١/ق٤٩) وفيها قائمة بمؤلفاته نقلا من خطه، «بيوتات جبل درن وزواياه ورجاله» (ق٩٠)، رحلة مراكش والحوز والصويرة، وقد لَخَّصَ فيها «عمدة الأثبات»، معجم الآخذين عن الرضوي (ق٢٣)، و (ق٣٢-٣٣)، تعريف الخلف (٢/١٩٦)، «شجرة النور الزكية» (١/٤٢٣)، «إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان في أسانيد الشَّيخ عمر حمدان» (ص٤٨-٤٩)، «إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان في أسانيد الشَّيخ عمر حمدان» (ص٤٨-٤٩)، «إيضاح المكنون» وقد ذكر مصنفاته على حروف المعجم، «عنوان الأريب عمن نشأ في تونس من عالم وأديب» (٢/١١٢٧-١١٣٤)، «الأعلام» للزركلي (٧/١١٠)، «تراجم الأعلام» لمحمد الفاضل بن عاشور (ص١٨٧-١٩٣)، «تراجم المؤلفين التونسيين» (٣/٣٨٢-٣٩٠).

عاصمة الخلافة الإسلامية إسطنبول، فتولى بها تدريس الحديث في دار الفنون ومدرسة الواعظين، واستقر بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

كان كثير التدريس بكل بلد وقطر حَلَّ به، وفي كتاب «الإفادات والإنشادات»[1] إشارة إلى كثرة تدريسه بزاوية الهامل بالقطر الجزائري في وروده المتكرر عليها.

صلته بالحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني:

رغم الفارق في السِّنِّ بين الإمامين البالغ أكثرَ من ثلاثين سنة، إذ ولد الأستاذ ابن عزوز سنة ١٢٧٠، وولد السيد الكتاني سنة ١٣٠٣، وبُعد الديار عند التعارف؛ فابن عزوز كان مستقرًا بعاصمة الخلافة الإسلامية إسطنبول، والكتاني في عاصمة المغرب العلمية فاس، وبينهما من المسافات والبعد ما بينهما، إلَّا أَنَّ نِقَاطَ الالتقاء والتقارب الفكري والمعرفي والمنهجي وخدمة الإسلام والمسلمين جعلهما يجتمعان على مبادئ متقاربة، وينطلقان من مرجعيات متحدة في سبيل الإصلاح ومحاربة الغلو والتطرف والتعصب، والدعوة إلى التجديد، وإحياء دارس العلوم، مع مساعي إصلاحية كثيرة، فكلاهما كان شيخ طريقة صوفية، فابن عزوز كان شيخ الطريقة الخلوتية، والكتاني شيخ الطريقة الكتانية، وكلاهما له نظرات إصلاحية في السلوك والتصوف والفقه والحديث والدعوة وغيرها، مما يسفر عن بعضه رسالة الكتاني لابن عزوز الآتي إثبات نصِّها كاملة.

---

(١) (ص٣٨١-٣٨٢).

وقد قال الحافظ في ترجمة صاحبه من «فهرس الفهارس»[١]:

«وأعجب ما كان فيه الهيام بالأثر والدعاء إلى السنة مع كونه كان شيخ طريقة، ومن المطلعين على الأفكار العصرية، وهذه نادرة النوادر في زماننا هذا، الذي كثر فيه الإفراط والتفريط، وَقَلَّ من يسلك فيه طريق الوسط والأخذ من كل شيء بأحسنه، عاملًا على قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾[٢]».

وقال الإمام في مذكراته[٣]: «وممن يعد من هذا الطراز في اتساع الرواية والاعتناء بها - وإن لم ألقه - الشَّيخ المكي بن المصطفى بن عزوز، أخذ بتونس وكاتب أهل الحجاز ومصر والمغرب والجزائر، ودرّس وألَّف وحرَّر ونظمَ ونثرَ، واستقرَّ أخيرًا بالآستانة إلى أن مات بها، ولكن كانت المراسلة بيننا لا تنقطع من فاس إلى اسطنبول، وربما فكرتُ في المسألة تخطر لي بالليل فبعد عشرة أيام يخبرني أنه خطرت له في تلك اللَّيلة بعينها، وكان يعدُّ بحق مُسْنِد إفريقية وعالمها، بل كان أعلم من الرجلين المسندين (الشَّيخ أحمد أبو الخير العطار، والشَّيخ عبد الستار الدهلوي) بالتفسير والفقه والتصوف والفلك والقراءات والتجويد، لأنه دَرَّسَ وَقَضى، وهو جزائري الأصل، تونسي الدار، من بيت عظيم في القطرين التونسي والجزائري، اصطنبولي المدفن، وله المؤلفات العدَّة في عدة فنون، مع الشعر الحسن والخطِّ الجيد، ولو جمعت مكاتيبه لي لكانت

---

(١) (٢/٨٥٦).

(٢) لأعراف: ١٤٥.

(٣) (ق١٣٧).

مجلد، وألَّف باسمي فهرسًا سماه «عمدة الأثبات» رتَّبَ الأثبات فيه على حروف المعجم، يخرج في جزء لطيف، وآثاره التي بتونس والجزائر شيِّقة فائقة، بقي يكاتبني من عام ١٣٢٥ إلى أن مات عام ١٣٣٤، وربما كان المكتوب لي يستغرق نحو الأربعين صحيفة وأنا كذلك.

جَمَالَ ذِي الأَرْضِ كَانُوا فِي الحَيَاةِ وَهُمْ
بَعْدَ المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ وَالسِّيَرِ»

كلام الحافظ عن البيت العزوزي:

قال في كتابه «الإفادات والإنشادات وبعض ما تحملته من لطائف المحاضرات»[١]: «وآل عزوز هؤلاء من أشهر مشاهير القطرين في القرن الماضي وهذا، تعدد فيهم العلماء والصُّلحاء والأدباء، ويكفي أن يكون منهم عالم إفريقية الشَّيخ المكي بن عزوز دفين الآستانة، والعالم الصالح المسند المعمر بقية البقية في المدينة المنورة الشَّيخ أحمد الأمين ابن الشَّيخ المدني بن عزوز وغيرهم كثير، خاتمتهم عالم تونس الشَّيخ التبريزي المذكور».

بدايات التعرف:

شرح الحافظ بداية هذا التعارف في رسالته للإمام محمد المكي بن عزوز وهذا نصها:

«الخطاب العاشر: ما ذكرتم من حال ابن أختكم الشَّيخ سيدي أحمد الأمين - نفع الله به وجمعنا به مرة ثانية في مدينة سيد الإرسال - صار

---

(١) (ص٤١٥-٤١٦).

بالبال، أحكي لكم أمري مع هذا الفاضل: إني لما خرجتُ من فاس في الوجهة الحجازية كنت أُكَرِّرُ الطَّلَبَ على الله سبحانه أن ييسر لي رفيقًا أرافقه مدة ركوبي للبحر، يكون على مشربي وفق مطلبي من العلم والتقى والفضل، مع العلم بأخبار العلماء وتراجمهم، مع سعة الرواية، فركبت من طنجة ولم أُصادف هذه الأمنية، فمرَّ بنا الوابور على جزيرة مالطة، فلمَّا جُلْتُ بين أسواقها قَلَّ وقوعي فيها على مُسلمٍ فزدت قنطًا، فبينا أنا كذلك إذْ رأيتُ جماعةً من المغاربة عليهم شعارُ التونسيين، فقصد بنا العربجي - سائق العربة - نحوهم بتنبيهي له، إلى أن تعرفت بهم، فوجدت جماعة من أولاد ابن عزوز، أهل التقى والمجد المؤصل، فسألتهم عنك، وسألوني عن الأخ وابن الخال، وذكروا لي أنَّ لهم هنا مدة في تلك الجزيرة ينتظرون ركوب باخرة للإسكندرية، وقطعوا الورقة مرارًا ولم يتيسر لهم ركوبٌ إلَّا في الوابور الذي أنا فيه، ففرحت بذلك، وظننت أنهم الضالة المنشودة، فَلَمَّا جاء موعد الرجوع إلى الوابور وجدتهم سبقوني إليه، فتعرفت خصوصًا بمولانا السيد أحمد على طرف الوابور، حيث وقفت معه هناك نحو ربع ساعة، استوعبت فيها ترجمته التفصيلية من كل وجهة بما عجب منه هو بنفسه، فكان يقول لي هناك وبعدها في المدينة المنورة لما التقينا: ما عرفني أحد ولا استوعبني إلا أنت، وخصوصًا في تلك اللحظة، ولما تمازجنا وجدته وفق المرغوب، يتمية العقد، وأطلعني على دفتر إجازاته وتدبَّجنا، وأوقفني على عدة إجازات له منك، ومسلسلات بروايتكم عن مجيزنا علي بن موسى الجزائري، عن أبي الحسن بن ظاهر المدني، ثُمَّ لقيته بالمدينة وتشرَّفت بمنزله، وكان مجلسنا عنده من أطيب المجالس التي مرَّت لنا في تلك البلاد المقدسة، وَحَمَّلْتُهُ إذ ذاك لكم سلامًا وعتابًا، وما

ظننت بعدها أن يتصل آل الكتاني بآل عزوز إلى هذه الدرجة، فسبحان من يخلق الأشياء لضدها، فكان القَبْض هو موجب دوام بسطنا وأنيس...، فَأَدِمِ اللَّهُمَّ هذه الوصلة واجعلها خالصة لوجهك الكريم على الدوام، ولا تجعل حَظَّنا فيها هذه الرقوم، فاجمعنا جمعًا موصولًا في هذه الدار وتلك، نحمد ويحمد العباد عقباه آمين يا رب العالمين.

وما ذكرتم من تعصُّبه للتقليد فقد شممت منه ذلك أيام اجتماعي به الطيب، ولكن احتشمت مبادأته بالإنكار، لأنه أول مُشَرِّقٍ لقيته به، وقد رأيتُ فيه حروشة وتعصبًا لغير التقليد في الفقهيات، بل في كل شيء، رأيت في إجازاته من التونسيين كالشَّيخ عمر بن الشَّيخ، وأستاذكم ابن قاسم الهاملي، أنَّ الفربري يروي عن البخاري ومسلم صحيحهما، فقلت له: هذه فرية من غير مرية من غير الشيخين، بل مشت عليهما الحيلة فيها عمن أجازهما، فاستعظم مني ذلك وأنكره، ورأيت بيده إجازة من علي بن ظاهر، ساق فيها أسانيد إلى الشَّيخ الأمير، قال فيها: عن السيد مرتضى الزبيدي، عن الشهاب أحمد الملوي، فشافهته بأن الأمير لا يروي عن الزبيدي، لأنه من أقرانه، وجواز روايته عنه عقلًا لا يقتضي الوقوع الذي لم نره في فهرسة أحد من المتأخرين مع تتبعنا الكثير، وخصوصًا أن الأمير أخذ شفاهًا بالسَّماع والإجازة عن الملوي المذكور، فتركيب هذا الإسناد إنما هو من ابن ظاهر وغلطه، فاستصعب ذلك مني، فلم أكثر من ملاججته لفضله ودينه وَسِنِّهِ.

وبالجملة فقد رأيت منه فضلًا عزيزًا ومحاسن جمة، استدللت بها على ما لسيادتكم من المكارم القسعاء، لأنه حسنة من حسناتكم، وأثر من

آثاركم، وما ذكرتم من مكاتبتي له نصحًا في الرجوع إلى الأثر فسأفعل إن شاء الله تعالى، وهكذا جميع مواعيدي لكم موقوفة على وصول «عمدة الأثبات»، فلو رأيت سيادتكم ما بنا من الشَّوق العظيم إلى وصولها لقضيت بالعجب وقدمتها على سائر مآربك وآرابك، خصوصًا وقد مضت على انتظارها عشر سنوات على الأقل، فلم يبق إذا مضى قدر الوصول لهذه الخزعبلات التي كتبناها إجابة لطلبكم وجوابها، ولم تظهر إلَّا رفع هذه القضية لمجلس المبعوثان، إذ لم يخل بين فصلها تعدد الجمعيات والأحزاب والأصوات، ففي التعدد والاختلاف وتمني كل حزب النصرة لفئته دون الآخر القضاء على مطلبي، واستخراج حقي منك، وكل مطلب لكل مسلم في الدنيا، فالله تعالى يوفقك لأن لا تحوجني إلى سلوك هذه المضايق والاحتياج لهذه الأخطار والمسالك».

وقد نقل الحافظ في «الكناش الأخضر»[1] نصَّ إجازة العلامة محمد المكي بن عزوز لابن عمه الشَّيخ أحمد الأمين بن عزوز، والغالب أنه نقلها عند لقائه بالمجاز بها في مالطا وترافقه معه على البحر في طريق الحج سنة ١٣٢٣.

قلت: وقد ذكر الإمام لقاءه بالعلامة السيد أحمد بن الأمين بن عزوز في رحلته الحجازية الأولى[2]، وفي كناشه الأخضر[3]، وذكر مقروءاته على شيخه الإمام المكي بن عزوز فقال: «وابن خاله الشَّيخ المكي بن عزوز»،

---

(١) (ق١٥٢).

(٢) (ق١٩٠-١٩١) ضمن مجموع.

(٣) (ق١٥٠/ب).

أجازه عامة أيضًا بكل ماله، وذكر أنه أخذ عنه تفسيرًا وحديثًا و«الإحياء» وغيره من الكتب العظيمة، وعلم القراءات.

وقد روى الإمام في كتابه «مجال الامتنان فيما روى لنا بالتسلسل من سور القرآن»[1] عن العلامة أحمد الأمين بن عزوز، عن ابن خاله الإمام المكي بن عزوز.

وقد ذكر في «البحر المتلاطم الأمواج»[2] أنَّ الإمام المكي بن عزوز كاتبه في غُرَّةِ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨.

وسبق نقل نصِّه في أنَّ مكاتبته معه بدأت سنة ١٣٢٥، واستمرت إلى سنة وفاته سنة ١٣٣٤.

تأليف الإمام المكي بن عزوز ثبتًا حافلًا يجيز به صاحبه الحافظ.

وقد كتب العلامة المكي بن عزوز إجازة حافلة للحافظ أسماها بـ«عمدة الأثبات في الاتصال بالفهارس والأثبات»، قال في مقدمتها[3]: «الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد: فإن أندر العلوم في هذا الزمان علم الحديث ومعالم السنة، مع كونه أرفعها وأشرفها وأنفعها، إذْ لا يُقْبَلُ تحرير أي مسألة من مسائل الدين ومطالع اليقين إلَّا به، ولا يُعْتَدُّ بعمل صالح إلَّا ما كان يسير فيه على منهاجه، حتى إنه لا يقال زيد عالم في الحقيقة إلَّا إذا كان عالمًا بهذا الشأن وما سواه فعالم مجازًا:

---

(١) (ق٧).

(٢) (ق٢٠٥) نسخة الأصل بخط المصنف.

(٣) (ص٤٣-٤٥).

وَمَا قَلَّتِ الطُّلَابُ إِلَّا لِأَنَّهُ　　　إِذَا عَظُمَ المطلوبُ قَلَّ المُسَاعِدُ[1]

وبهذا ثبت مدلول الحديث النبوي: «بدأ الدين غريبًا»، فبينما أنا آسف وباكٍ، وإلى الله شاكٍ، إذ جاءت الركبان والبريد من أقاصي البلدان بأخبار تنعش الروح وتداوي القلب المجروح بإحياء السنن وإفاضة المنن، من منابع عرفانية ومطالع ربانية، من صفوة العصر زينة المغرب السادات الكتانية، وتواترت الأخبار وانتشرت الآثار، فحمدنا الله على وجود الطائفة القائمة بأمر الله الداعية إلى الله، الهادية على بصيرة إلى منهج رسول الله، ومن رجالها الكاملين وأطوادها الراسخين حضرة العلامة المكين، ذي الفهم المتين، والنصح المبين، أبي عبد الله الشَّيخ سيدي محمد عبد الحي ابن العلم الشَّهير، البدر المنير جمال العارفين وبهجة الواصلين سيدي عبد الكبير الكتاني الحسني الإدريسي، أفاض الله على العالم بركاتهم، وأضاء في الخافقين نور مشكاتهم، وقد تنازل تواضعًا للعبد الحقير يطلب إجازته، كيف يطلب البدر من الثرى ضياء، أو يستقي البحر من الساقية ماء! ثُمَّ إني أعدها من نعم الله على عبده العاجز، حيث وجَّه إلي همة هذا الأستاذ في أخذ ما أمضيت فيه العمر الثمين وجلبته من مشارق الأرض ومغاربها من الاتصالات بأئمة الإسلام في تصانيفهم ومسلسلاتهم ولطائف ما أنتجت مساعيهم بالجد والاجتهاد، وما والى ذلك من الإفادات، حتى لا أوصف يوم القيامة بكتم العلم، ولا أتحسَّر لعدم إيداع ما لدي لأهل العقل والحلم، وإن كان تلقى مني زمر وجماعات، وأفراد تعد بالمئات، فإن لهذا

---

(١) الطرف الثاني من البيت مقتبس من قول أبي الطيب المتنبي:

وحيد من الخلان في كل بلدة　　　إذا عظم المطلوب قلَّ المساعد

السيد درجة ممتازة في تطويقه قلادة الإجازة، لأنه من أئمة هذه الصناعة، ومن الداعين إلى التعلق والتخلُّق والتحقُّق بالأنفاس النبوية، فهو ممن يقول ويعملُ، لا كمن يأخذ ويعطي الإجازة، ويدرس الصحيحين ولا يقتدي بما فيهما، ولا يعتمد على إفادتهما استغناء بأوهام الآراء وعصارة الأذهان، والسّلاح إنما يعمل في يد من يقاتل به، وإلَّا فهو كمغزل في يد امرأة، فأجبتُ الأستاذ المذكور وأنا في خجل، ومثله لا يجاز كما يجاز سواه من نشر الأسانيد لكل كتاب، فمن ألمعيته أنه رفع الإشكال بأن نقتصر على وسائطنا لأصحاب الفهارس، وإن كان بما لديه غنية عن بضاعتنا المزجاة، وإنما الأعمال بالنيات». اهـ.

وقد قال الحافظ بعد التعريف بـ «عمدة الأثبات» في كتابه «فهرس الفهارس والأثبات»[1]: «وبوقوفك على العمدة المذكورة تعلم وتتحقق أنَّ الأستاذ ابن عزوز كان فذَّ مصره في سعة الرواية والاعتناء وعلو الاهتمام والهمة، وأنَّ الصَّقع التونسي ما أنجب مثله في هذا الباب منذ أحقاب، ولكنه مِمَّن ضيعه قومه، ولله الأمر من قبل ومن بعد».

الكلام على طبعة «عمدة الأثبات»:

وقد طبع بالدَّار المالكية بتحقيق الأستاذ عمر بن الجيلاني الشّبلي التونسي- وفقه الله - اعتمادًا على منسوخة تلميذ المصنِّف العلامة الأديب أحمد بن قاسم الزياني ضمن مجموع إجازات شيخه الحافظ من شيوخه، وهذا المجموع عرَّفنا به في كتابنا «تاريخ المكتبة الكتانية»، إلَّا أنّ المحقق قد

---

(١) (٨٧٩/٢).

وَهِمَ فَظَنّها بخط المصنّف، والنسخة التي بخطّه هي النسخة المحفوظة في المكتبة الملكية تحت رقم (١٢٨٤٨) عام و(٢٣٢ك)، وهي ضمن مجموع آخره رسالة الحافظ إلى العلامة المكي بن عزوز، وقبلها العمدة المذكورة.

إجازة الحافظ لصاحبه الإمام المكي بن عزوز وتدبُّجُه معه.

وبعد أن وَجَّهَ له كتابه «عمدة الأثبات» أصحبه بمكتوب إليه يقول له فيه[1]: «ها عمدة الإثبات أتتكم في خجل واستحياء، وأخبرونا بقبولها ونظرها بعين الرضى، وأنجزوا لي وعدكم بالإجازة، ومن سيدنا الوالد ولو سَطرين للبركة، وننبِّهكم إلى ثبت الهلالي والكوهن والقادري، اذكروا ذلك بوسائطكم إليهم، ولا تتركوا سندًا ترون عندي مثله أو أعلى، فالتمسك بأذيالكم هو المقصود». وقد أجازه الحافظ وفق طلبه فَتدبَّجَا، قال في ختام ترجمته له من «فهرس الفهارس»[2]: «واستجازني أيضًا فأجزته رحمه الله رحمة واسعة».

وقال في كتابه «نور الحدائق»[3]: «والشَّيخ محمد بن عبد الرحمن الضرير، واستجاز مني أيضًا كشيخه السيد محمد المكي بن المصطفى بن محمد البرجي».

---

(١) (ص١٩٩) عمدة الأثبات المطبوع، والمخطوط ضمن مجموع إجازات الحافظ (ق٣٤٩).

(٢) (٨٦١/٢).

(٣) (ص٩١).

إفادة كل واحد منهما لصاحبه بالاستجازة له من العلماء.

أفاد كلٌّ من الرجلين صاحبه بالاستجازة من علماء قطره، فقد استجاز الكتاني لابن عزوز من والده الإمام المحدث السيد عبد الكبير الكتاني، كما في مكتوبه الذي وجهه له مع كتابه «عمدة الأثبات»[1]، ونصُّ المقصود منه: «وأنجزوا لي وعدكم بالإجازة، ومن سيدنا الوالد ولو سطرين للبركة». وقد ذكر الحافظ في ترجمته للأستاذ ابن عزوز من كتابه «فهرس الفهارس»[2] أنه استجاز له من والده، ومن شيخه العلامة المعمر محمد بن إبراهيم السباعي المراكشي، استجاز له منه سنة ١٣٣١، وقد سجَّلَ تفاصيل هذا المجلس واستجازة الحافظ لصاحبه الإمام المكي بن عزوز، ولجماعة آخرين من السباعي المذكور تلميذه العلامة القاضي مؤرخ مراكش السيد العباس بن إبراهيم التعارجي المراكشي في كتابه «الإعلام بمن حلَّ بمراكش وأغمات من الأعلام»[3].

وقال الحافظ في مراسلته للعلامة المكي بن عزوز: «وقد أشعرتم أن لكم إجازة من أمين الفتوى بالآستانة، فإن كان عنده شيء فلا بأس إن سمحت لكم الظروف بطلب الإجازة لنا منه، فإني قد رويت عن علماء سائر بلاد الإسلام، أما أخذي عن الآستانيين عاصمة الممالك

---

(١) (ص١٩٩) عمدة الأثبات المطبوع، والمخطوط ضمن مجموع إجازات الحافظ (ق ٣٤٩). ونقلها الحافظ في فهرس الفهارس (٨٧٩/٢).

(٢) (٨٥٩/٢).

(٣) (٢٠١/٧).

وَدُسْتُ[١] الخلافة فروايتي عن أهلها أقل من القليل، فإن توسّطتم لنا في هذه المفخرة فنعما الممنونية لكم، والنعمة التي على الدوام تشكر».

فيبدو أنه الذي توسّط له في إجازة العلامة محمد فرهاد بن عمر الريزوي، وَنَصُّ إجازته للحافظ في مجموع إجازاته[٢]، وتاريخها سنة ١٣٣٢.

المراسلات بين الحافظ وصاحبه الإمام المكي بن عزوز.

قال الحافظ في «فهرس الفهارس»[٣]: «وطالت مكاتبتي ومراسلتي معه واتصالي به إلى أن مات، بحيث لو جمعت المكاتبات التي جرت بيني وبينه لخرجت في مجلدة متوسطة، وكلّما تذكرت موته أظلمت الدنيا في عيني، رحمه الله رحمة الأبرار».

ومن أسف أني لم أقف من هذه المرسالات إلّا على رسالة واحدة كاملة هي التي سننشرها في ختام هذا المطلب تامة، والباقي مقتطفات من تلك المُراسلات المطولة، فالمراسلة التي بين يدينا تصور لنا طريقة ومنهج الإمامين في رسائلهما المتبادلة، جمع الله الشّمل بسائرها، ويسّر خدمتها والعناية بها.

---

(١) استعمله المتأخرون بمعنى الديوان، ومجلس الوزارة والرئاسة. انظر: تاج العروس للزبيدي (٥١٨/٤).

(٢) (ق ٧٧-٧٨).

(٣) (٨٦١/٢).

وفي كتاب «الإفادات والإنشادات وبعض ما تحملته من لطائف المحاضرات» للحافظ انتخاب لعدد من الإفادات والإنشادات التي وقعت بينهما في مراسلاتهما، فأوردها عنه ورواها عنه مكاتبة.

بل إننا نقرأ في مراسلة الحافظ إليه اقتراحه على صاحبه ابن عزوز أن يلحق بالبحر حكمته التي كتب بها إليه في إحدى مراسلاته، وهي الإفادة رقم ١٢ من كتابه «الإفادات والإنشادات»[١].

وقد اقتبس الإمام في كثير من مصنفاته من هذه المراسلات كـ«المظاهر السامية»[٢] وغيرها.

وقال كما سبق عن مذكراته: «ولو جمعت مكاتيبه لي لكانت مجلد، . . . بقي يكاتبني من عام ١٣٢٥ إلى أن مات عام ١٣٣٤، وربَّما كان المكتوب لي يستغرق نحو الأربعين صحيفة وأنا كذلك:

جَمَالَ ذِي الأَرْضِ كَانُوا فِي الحَيَاةِ وَهُمْ
بَعْدَ المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ وَالسِّيَرِ»

نص رسالة من الحافظ إلى صاحبه الإمام المكي بن عزوز:

وقد اعتنيتُ بها مفردة، وستصدرُ إن شاء الله تعالى مع مقدمات أوسع ودراسة عنها، ونكتفي بالتعريف بأصل المُصنِّف بخطه من هذه الرسالة، ومن ثمّ نثبت نصّها كاملة مع التعليق عليها والترجمة لأعلامها وتوضيح بعض خفاياها فنقول:

---

(١) (ص٩٧-٩٨).

(٢) (ق ٥١) نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء.

«رسالة الإمام الحافظ لسان السنة الغراء السيد محمد عبد الحي الكتاني الحسني (ولد سنة ١٣٠٣ وتوفي سنة ١٣٨٢) إلى إمام إفريقية العلامة السيد محمد المكي بن عزوز التونسي (ولد سنة ١٢٧٠ وتوفي سنة ١٣٣٤)».

اعتنى بها وقدم لها خالد بن محمد المختار البداوي السباعي:

الحمدُ لله وكفى، وسلامه على عباده الذين اصطفى، خصوصًا نبينا المصطفى أما بعد: فإنني أشرف اليوم بالتقديم والتعريف برسالة نفيسة صادرة من الإمام الكبير الحافظ الشهير لسان السنة الغراء السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني رحمه الله تعالى، وَجَّهَهَا لصديقه الحميم، ووده الصميم، الإمام الكبير العلامة السيد محمد المكي بن عزوز التونسي رحمه الله تعالى، وهي محشوة بأدبٍ جمٍّ، وعلمٍ غزير، ومعلومات تاريخية كثيرة، وهي مع ذلك صورة مُصَغَّرَةٌ لآراء الإمام، ومنهاجه الفكري والفقهي والسلوكي والمعرفي عمومًا، وفيها إلى ذلك مثال من أمثلة التواصل العلمي الزاهر في القرن المنصرم، ومن فوائدها تقريب شخصية الإمامين المُرْسِلِ وَالمُرْسَلِ إليه، وترجع صلتي بهذه الدُّرَّة إلى نحو خمس عشر سنة أو تزيد، وذلك أول تشرفي بالتعرف بالأستاذ الكبير العلامة المحقق المؤرخ الأديب الدكتور عبد الله بن العلامة الفقيه المفتي المرابط الترغي الطنجي رحمه الله رحمة واسعة وأسبغ عليه شآبيب الرحمة والغفران، فما أن تشرفت بالتعرف إليه وعلم رحمه الله عنايتي بتراث الحافظ الكتاني، إلّا وقام مشكورًا بتصوير نسخة من هذه المراسلة كانت

في مكتبته العامرة مصورةً من مكتبة شيخه ومجيزه العلامة المؤرخ الشريف محمد بن عبد الهادي المنوني الحسني رحمهما الله تعالى، ولقد وقعت مني موقعها لنفاستها، وعالي مرتبتها، وقرأتها مرات، واستفدت منها في مؤلفاتي وتحقيقاتي، كما قمت بتصوير نسخ كثيرة منها لمشايخي وأصدقائي في عدة بلدان، وخلال تلك الفترة كانت نيتي مُنْعَقِدَةً لإخراجها وإبرازها مطبوعة في حلل بهيجة، إلا أن تزاحم الأعمال في وقت واحد حال دون ذلك، والآن وقد فارقنا أستاذنا الكبير أحببتُ إحياءً لذكراه، وتبشيره في قبره بأن ما خلَّفَه من علم وبذله من مصوراته وعلومه نافعه إن شاء الله، فصرفتُ الوجهة للعناية بها والتقديم لها وضبط نصها والتعليق عليها بما يناسب المقام جاعلا ثواب العمل فيها وإبرازها في ميزان حسنات فقيدنا المرحوم بكرم الله إن تحنن وتفضل الله سبحانه وتعالى بقبول هذا العمل مني.

وممّا شجَّعني على المضيِّ في العمل أنَّ أخي الأكبر وشقيق الروح الأستاذ الجليل والعالم النبيل والشريف الأصيل الدكتور سيدي حمزة بن مولاي علي الكتاني حفظ الله مجادته وأدام سعادته، تفضَّلَ عليَّ والفضلُ له موروث بالفرض والتعصيب، بأصلِ الرسالة بخط الحافظ رحمه الله، هديةً غالية منه يوم عرسي، وهي من أجل مغنمٍ وأعظم مغرم، وزاد - رزقه الله الحسنى وزيادة - بأن أكرمني بمصورة نسخة ثالثة من الرسالة، فكأني باجتماع تلك الأصول الثلاثة تستحثني على إخراجها، قائلة: هذا الأصل بخط الحافظ بحمد الله يشرف مكتبتك، ويرفعها ويزينها، إضافة إلى حثٍّ عدد من المحبين ممن أطلعتهم على الرسالة، فقد كرروا عليَّ الطلب

بإبرازها وإخراجها، فمنهم الأستاذ العلامة المرحوم سيدي عبد الله المرابط الترغي رحمه الله تعالى، ومنهم شيخنا العلامة المحدث الفقيه المسند نظام محمد صالح يعقوبي العباسي الشافعي حفظه الله تعالى، فقد قرأت عليه جُلّها في مدينة الكويت العاصمة فأعجب بها غاية، وبما فيها من دقائق العلم والمنهج الوسطي، وأصرَّ على إخراجها وإبرازها في أقرب الأوقات، وكان أن يسر الله تعالى في فاتح محرم الحرام من سنة ١٤٣٧هـ العودة إليها، فنقلتها وقابلتها وعلقت عليها بما يوضح النَّص ويربط بينه وبين مؤلفات الإمام.

وختامًا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع، ويجعله في ميزان حسنات الأستاذ الكبير سيدي عبد الله المرابط الترغي رحمه الله تعالى وغفر له وجعل قبره مزارًا لملائكة الرحمة، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه خديم العلم والعلماء خالد بن محمد المختار البداوي السباعي الحسني صبيحة يوم الأحد ١١ من محرم الحرام سنة ١٤٣٧ بثغر طنجة حرسه الله وسائر بلاد المسلمين.

وصف الرسالة وتحليلها وفوائدها ونسخها الخطية:

تأتي هذه الرسالة ضمن مراسلات مطولة بين الإمامين، بدأت أول تعارفهما سنة ١٣٢٥ كما سبق، واستمرت إلى سنة ١٣٣٤ سنة وفاة الإمام المكي بن عزوز، حتى قال الحافظ عن هذه المراسلات في ترجمته لصاحبه

في «فهرس الفهارس»(1): «وطالت مكاتبتي ومراسلتي معه واتصالي به إلى أن مات، بحيث لو جمعت المكاتبات التي جرت بيني وبينه لخرجت في مجلدة متوسطة، وكلما تذكرت موته أظلمت الدنيا في عيني، رحمه الله رحمة الأبرار».

ومن أسف أنني مع شدة بحثي وتتبعي لما تيسّر لي تتبعه من مكتبة الحافظ لم أقف بعد من هذه المراسلات المطولة إلَّا على هذه الرسالة الصادرة من الحافظ و«عمدة الأثبات» والرسالة التي بآخره مع رسالته في الرد على صاحب «المنار» بخطه، ومقتبسات من رسائل ابن عزوز للسيد في كتبه وكتب من جاء بعده، وفي آخر نسخة الرندة من «البحر المتلاطم الأمواج».

وهذه الرسالة مثالٌ لما وراءها من مراسلات الإمامين، ومن مقدمتها نستفيد أن العلامة ابن عزوز اعتاد أن يرتب رسائله للحفاظ على خطابات تحت كل خطاب مبحث ومطلب، وهذه المطالب تشمل جميع العلوم والمعارف، فمنها المباحث العقدية، ومنها التفسيرية، ومنها الحديثية، ومنها الفقهية، ومنها الأصولية، ومنها الإسنادية، ومنها التاريخية، وفيها أخبار تفصيلية عن حياة المُرْسِلِ والمُرْسَلِ إليه، وتاريخ مطوي من جهود العلامة المكي بن عزوز في عزمه القيام على طباعة كتاب الحافظ «البحر المتلاطم الأمواج»، وفيها أيضًا بالغ حث المُرْسِلِ للمُرْسَلِ إليه في التعجيل بـ«عمدة الأثبات» وشديد حرصه على التعجيل ببعثه إليه، وفيها أيضًا من

---

(1) (٢/٢٨٦).

الأخبار والوقائع اليومية ما لم يدون بتفصيل، وفي هذه الرسالة من الانبساط ورفع الكُلفة بخلاف المُصنفات والمؤلفات التي يكون فيها المصنفون أكثر تقييداً، لذلك ترى فيها المصنّف يطلق العنان لقلمه، ليعبر فيها كيف شاء عن نقاشاته مع معاصريه، وخلافاته العلمية معهم، مما جعل الرسالة جمة الفوائد، كثيرة النفائس، ولكثرة فوائدها وضع العلامة المكي بن عزوز فهرسًا للرسالة أول نسخته من الرسالة، وقال كالفهرس لهذا المكتوب النفيس، وهي إلى ذلك تكشف غوامض، وتصرح بأسماء مبهمة كثيرة، فالناظر مثلا في كتاب «الأجوبة النبعة عن الأسئلة الأربعة» لا يرى فيها التصريح باسم المردود عليه، ومصنّفه هنا يصرح باسم المردود عليه وبعينه ولا يبهمه، لارتفاع الكلفة في الرسائل الشَّخصية، كما أنّ الحافظ يذكر أراءه في بعض الشخصيات والمؤلفات بصراحة زائدة، ولا يتحرج من ذلك، إذ أنه أنزل مخاطبه منزلة الروح لاتفاقهما في المبادئ والمنطلقات الإصلاحية والأفكار العلمية رحمهما الله تعالى.

ذكر من استفاد منها:

١- فممن وقفت على استفادته منها العلامة المحدث الصوفي السيد محمد المهدي بن الإمام العارف السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني، فقد نقل منها في هامش نسخته من كتاب شيخه وعمدته عمه الإمام مصرحًا بوقوفه عليها عند ابن عمه العلامة السيد محمد المنتصر بالله الكتاني.

٢- الدكتور محمد بن عزوز في كتابه «محاسن الأنس في الصلات العلمية بين المغرب وتونس»[1]، حيث قام بتصوير أصل مراسلة الحافظ للعلامة المكي بن عزوز بخط الحافظ ضمن ملاحق كتابه المذكور[2] فقط.

وصف نسخها الخطية:

وقع لي بحمد الله وفضله ثلاث نسخ خطية هاك وصفها على ترتيب أهميتها:

النسخة الأولى: الأصل الذي بخط الحافظ، وهي النسخة التي بعث بها من فاس إلى مُرَاسَلِهِ في عاصمة الخلافة إسطنبول، وهي بخط الحافظ، وتقع في ٤٨ ورقة، وأولها فهرس للرسالة بخط المرسلة إليه وهو في صفحتين، وفي آخرها تعليق بخطه يذكر فيه وصولها إلى اسطنبول بعد ١٤ يوم من إرسالها من فاس، وهو أمر قياسي بالنسبة لظروف ذلك الوقت، وعلى أولها إهداء الشَّيخ المحدث أحمد بن محمد بن الصديق الغماري لصاحبه وتلميذه العلامة المحدث السيد الشريف محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي بن الإمام محمد بن جعفر الكتاني، وقد سبق ذكر قصة تملّكه لها مع نصف كتاب المصنف «البحر المتلاطم الأمواج»، والذي بنى عليه كتابه «المثنوني والبتار»، دون عزو على عادته في حذف الوسائط، وقطع صلته بالأصول والعلائق، مما سيأتي بيان بعضه.

---

(١) (ص٣٠٥-٣١٦).

(٢) (ص٥٢٠-٥٧٠).

وتحت هذا الإهداء، إهداء بخط حفيد المُهدى إليه الأول فضيلة الدكتور الشريف مولاي حمزة بن علي بن محمد المنتصر الكتاني للفقير كاتبه المعتني بها بمناسبة زفافه جزاه الله عني خير الجزاء.

النسخة الثانية: هي التي سبق أن ذكرت أنَّ المرحوم الدكتور عبد الله المرابط الترغي رحمه الله تعالى أهداني مصورتها، وهو بدوره صوَّرَها كما أخبرني من مكتبة مجيزه وأستاذه العلامة المؤرخ البحاثة الشريف محمد بن عبد الهادي المنوني، وهي بخط الأديب المؤرخ محمد بن عبد القادر فرفرا الرباطي (ت ١٣٧١)[١].

النسخة الثالثة: وهي ضمن مجموع بالمكتبة الملكية بمراكش تحت رقم (٢٣٢)، وتقع عقب النسخة الأصلية من عمدة الأثبات بخط مصنفها، وهي بثلاث خطوط متعددة، آخرها خط ناسخ نسخ الكثير من مصنفات الحافظ، لكني لم أقف على تصريحه باسمه في ختام أي كتاب من منسوخاته الكثيرة التي وقفت عليها، ومن منسوخاته التي وقفت عليها نسخة بخطه تامة من «البحر المتلاطم الأمواج»، وهي غير تامة تقف عند الورقة ٤٢ من نسخة الأصل.

منهجي في العناية بها:

١- نسخت نص الرسالة وقابلته على الأصول الثلاثة، خصوصاً أصل المصنف بخطه رحمه الله.

(١) ترجمته في: من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا (٢/١٦٢-١٦٣).

٢- علَّقت عليها تعاليق مختصرة، فيها التعريف بالأعلام والكتب والحوادث باختصار.

٣- ربطتُ الرسالة بكتب المؤلف الأخرى، فما فصَّلَهُ في مكان وأجمله في الرسالة نقلت النص التفصيلي في الهامش.

٤- كتبت للرسالة مدخلًا مختصرًا هو الذي تراه، وسأعيد نشرها إذا يسر الله مفردة مع زوائد وتتمات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نص الرِّسالة المحقق

«بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على مفتاح قفل الموجودات، مهبط الأسرار العلويات، وسلم عليه وعلى آله.

سيدنا ونعمة الله التي خوَّلَنا وأوْلانا، مُحبُّنا الصّادق المُخْلِص، نادرة العصر، وحامل ألوية النصر للإسلام والسنة في المصر، العلامة الجامع، والبرهان الساطع، النور اللامع، الأستاذ الأكمل، الشَّيخ سيدي محمد المكي بن الولي الكبير الشَّيخ سيدي المصطفى، بن الولي العارف المرشد صاحب الظهور والصيت البعيد، سيدي محمد بن عزوز الحسني، سلم الله الكريم أوقاته، وكان له وحماه، ومن كل الأسواء وقاني وإياه، وسلام على ثابت أُخُوَّتِهِ، وَرَزِينِ مكانته، ما قال واثقٌ بربه الجليل، حسبي الله ونعم الوكيل، أما بعد، وحيثما حللت واجهك اليمنُ والسَّعد:

فقد وصلنا الأعزُّ كتابُك، الأغرُّ مسطورُك، وحلّ منا محلّ البرء من السقيم، والماء البارد من الظمآن، والأمان من الخائف، فكانت ساعة وروده من أبرك الساعات وأنماها، وأجلها وأحلاها، وأعدتُ فيها النظر بعد النظر، الكرة بعد الكرة، فكلما أجلت فيه ناظري، ومتعت برقم أناملكم بصري، ازددت به هيامًا واغتباطًا، وبالعزوزين التئامًا، أدام الله به وصلتنا، وعليه علقتنا، آمين بالأمين عليه السلام.

وقد أريته لكثير من شُطّار الأحباب يواقيت المصر، فازدادوا بجنابكم اغتباطًا، وبنا وبكم ارتباطًا، واستفاد الكُلّ منه الضالة المنشودة، والقلادة المفقودة، وصادف من عجيب الاتفاق، أن كان عندي من مسقط رأسكم نفطة، من سمى نفسه محمد الشافعي الشريفي سائح[1]، قدم إلى هذه الجهات، منذ مدة، وقد عاقني عن تعجيل الجواب ما حدث بفاس من الأهوال والمذبحة الهائلة[2]، والفتنة الدائرة، التي أسعرها الرعاع، الذين امتدت أيديهم حتى إلى محلات المسلمين وأموالهم، ولا زال النّاس في نكدها وأداء ما خسر فيها إلى الآن، فكانت رزية الرزايا، ومصية المصائب، آجر الله المسلمين في مصابهم وعوضهم خلفًا في عقولهم، وأبدل هذه الحالة عليهم بأحسن، وبعث منهم الدال على الخير العامل به آمين.

---

(١) قرّظ بخطه البحر المتلاطم الأمواج، وقد ورد تقريظه بخطه في نسخة المصنف من (ق٢٧٥-٢٧٧)، وقد ورد آخر نسخة السيد محمد المهدي (ق٤٥١-٤٥٣).

(٢) هذه الواقعة المعروفة بواقعة دخول الفرانسيس، وقد كانت في ثامن وعشري ربيع الثاني من سنة ١٣٣٠. انظر إتحاف المطالع (٣٩٦/١).

وإلى الآن الدروس معطلّة، والحارات مُبعْثَرة، والناس في هياج ومياج، نسأله سبحانه اللطف والفرج آمين.

ومع ذلك اقتحمت الأشغال، وانتهزت فرصة لإجابة ما يختلج بالخاطر الفاتر، من أن الأكدار تجلى، والهموم تذهب، وتيار نيران الخطوب المتأججة تذهب بمحاورة أمثالكم، ومسامرة رقومكم، هذا الظن في الله وهو سبحانه عند ظن عبده، وليكن جوابي هذا جاريًا على طريقتكم الحسنة في إفراد المواضيع المتكلم عليها بخطاب فنقول:

الخطاب الأول: ما ذكرتموه من اهتبالكم بدعاء الأستاذ الوالد لكم واعتقادكم فيه ذلك الاعتقاد الكريم، وانتسابكم إليه إلخ ... فتلك شناشن ورثتموها من أخزم، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهله أمثالكم، وقد سرّ بقراءة خطابكم، وزادكم بحمد الله التفاتًا ودعاءً، استجابَ الله وتقبَّل.

ولا شكّ أن دعاء مثله في هذا الوقت مما يُستجاب لا محالة في غير محال، لأنه الرباني الصرف على الإطلاق في هذا الوقت على ما أنتجه بحثي وتدقيقي ممن اجتمعت به بالمشرق والمغرب، فكأنه ليس من أهل الدنيا، لا يعرف الدرهم والدينار ولا يعده، ولا يهتبل بكثرته وقلته، ثم هو الرجل الوحيد الثابت على مبدئه، مع هذا البحر الطام من أهوال الوقت، فلم تزعزعه أهوال الاختبارات، ولا تلاطم أمواج الاختراعات، لا يعول على غير ربه، ولا يهتبل بفقد غيره، ولا يدل إلا عليه، ولا يرجو سواه سبحانه، فليُعن الصالحون أمثالك بالدعاء لمثله بالبقاء، كما هو كذلك لكم.

وما ذكرتم من نفع الدعاء والرد على من حصر النفع في الطبيعيات، فسررت به كثيرًا، وأزيد هنا كليمات لي دائمًا وأبدًا في الدعاء، وإن كانت من واد آخر وهي: الدعاء في نفسه نافع ولا إشكال مهما تمت شروطه وآدابه، وأجمعها النهاية في الاضطرار والاحتياج، ولكن إذا سمع المسلم البسيط مثل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]، و«الدعاء مخ العبادة»[2] إلخ وأمثال ذلك من العموميات، وما ورد في دعاء ذي النون[3]، من أنه الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئِل به أَعطى، وغير ذلك من التخصيصات، وأمثال ذلك في كل باب، واستعملها في أبوابها، على ما يروم ويريد من الأغراض والمآرب، ولا تظهر نتائجها كيف يكون حاله واضطرابه الزائد، بل وتشككه المتزايد.

أقول: إنَّ أرباب كتب الأذكار والدعوات مع نفعهم غاية النفع وجمعهم غاية الجمع، أهملوا الجواب عن مثل هذه الأمور كل الإهمال وأضاعوها، وتركوا النّاس في حيص بيص، ولو أنَّ الذي يذكر في مصنفه

---

(١) غافر: ٦٠.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب ماء جاء في فضل الدعاء (٥/٣٨٥ رقم ٣٣٧١)، والطبراني في الدعاء (٢/٧٨٩ رقم ٨)، وفي الأوسط (٣/٢٩٣ رقم٣١٩٦) من طريق ابن لهيعة، عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن أبان بن صالح، عن أنس به مرفوعًا. قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلَّا من حديث ابن لهيعة، وقال الطبراني: لم يَرو هذا الحديث عن أبان إلا عبيد الله، تفرد به ابن لهيعة.

(٣) أخرجه الترمذي باب الدعوات (٥/٤٨٤-٤٨٥ رقم ٣٥٠٥)، وانظر تمام تخريجه في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ الزيلعي (٢/٣٦٨).

حديث دعاء صاحب الحوت: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] يشرح، ويشرح هذه الجملة وما تحتها من الإقرارارت والانطراحات، لكانوا أعطوا للمؤمن سلاحًا يقاتل به الأوهام والاختلاجات، ولكن لم يفعلوا، وغاية ما يظهر لي في هذه الآية الشريفة، أنَّ قول صاحب الحوت: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾، يتضمّن إنزال حمله الثقيل، ونفي الشريك مع الله؛ لأن المصائب منها ما هو دنيوي وصلت به إلى المؤمن يد عادية، ومنها ما هو أخروي نتيجة أعماله السيئة في هذه الدار، هذه أنموذج للأخرى.

فإذا قال المضطرب في بحار الأهوال: لا إله إلا أنت، ونفى الشريك، والفاعل، والمؤذي، والنافع، إلَّا هو سبحانه يخف عليه عبء المصاب وأثقال المؤذيات، فيستريح نوعًا ما؛ لأنه يفهم أنَّ الفاعل والمقدر على الحقيقة هو الله، وسواه خيال على الحقيقة، ثمَّ إذا تحقَّق بهذا المقام العزيز وخاض لججه واستقرت به رياحه العقيمة على لجي جزيرة النجاة، يصح منه إذ ذاك أن يقول: «أنت»، خطابًا لربه سبحانه وتعالى، بتاء الخطاب الذي لا يقدر على المكافحة بها إلَّا من جنى عن نفسه ووجوده، وبقي مع الله بلا كيف ولا علة ولا سبب، فإذا وصل العبد إلى هذا المرمى وحلَّ بهذه السّاحة، يرجع إلى نفسه ويقول: «سبحانك»، تسبيحًا ينزه ربه عن أن يقع بملكه ما لا يناسب الحكمة والأوفق بمصلحة العباد والبلاد، فيتضمن ذلك إعادة نفي الحول والقوة عن غير ربه، والرجوع في المصيبة النازلة إلى نفسه اللّوامة، وأنها التي جنت على بدنه وروحه وعقله، لقوله

---

(١) الأنبياء: ٨٧.

تعالى: «إنما هي أعمالكم فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلَّا نفسه»[١]، ثم يزيد هذا التسبيح والتوغل في التوحيد شرحًا وتقريعًا لنفسه الخطاءة ولومها بقوله: «إني كنت من الظالمين».

ولا شك أن من قرأ هذا الدعاء على الطريقة وسلك مسلك التشخيص والاستحضار على الحقيقة يفرج عنه في الحين، وتنقلب له الحقائق، وينخرق له حجاب الوجود ورتق البساط المعهود، فإن لم ينفعل له الوجود برفع المضرّات الحية، أقيم لا محالة في مقام: «لا نسألك دفع ما تريد ولكن نسألك التأييد»، وهناك تتحد إرادة العبد مع إرادة ربه، وهو مرمى الكبار، ومطمح أنظار الذين فطموا على يد الكاملين، جعلنا الله منهم، وهكذا القول في بقية صيغ الدعوات الواردة، لو أنَّ التالي يذكرها على هذه الطريقة لانقلب له الأعيان، واتحدت الأضداد، وغالب ظني أن في هذا الزمان النكد لا يُستجاب بها للداعي إلا على هذه الطريقة، والله تعالى أعلم وأحكم.

الخطاب الثاني:

ما سطَّرته أناملكم الكريمة من أمر مباشرة نَسْخ «البحر المتلاطم الأمواج» الذي ما هو إلا حسنة من حسناتكم، ونفحة النصرة لكم، بل لسنة جدكم الأعظم ﷺ كلُّه صار بالبال، وحمدت مسعاكم فيه، وكل ما تكلَّفتموه في نقله بالخطِّ المصري ومقابلته من النفقات والمقابلات، وشغل

---

(١) جزء من حديث قدسي شريف، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (٤/١٩٩٤ رقم ٢٥٧٧).

نفيس الأوقات، فكله من العمل المتقبل إن شاء الله، المدخر لكم ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾[١] الآية، وجزى الله تعالى خيرًا عنا وعنكم وعن السُّنة وأهلها عموما الشَّيخ إبراهيم عثمان صمادح[٢] في وقوفه وقيامه على الكتاب، حتى تم وفق المطلوب والمبتغى، وقد قال الحافظ المنذري[٣]: «إن ناسخ العلم داخلٌ في قوله ﷺ: أو علم ينتفع به»، وهو ظاهر لأنه لولا النسخ لتلاشى العلم، ولما وَجدت المطبعة ما تظهر وتنقل، ولله في خلقه عجب.

وما أشرت إليه سيادتكم[٤] من الاهتمام بجعل برنامجٍ حافلٍ للبحر فاستحسنته جدًّا جدًّا، ويا حبذا به، وقد كنت مهتمًا به كلَّ الاهتمام، عازمًا على أنَّ الشروع إذا وقع في طبعه لا بدَّ أن اقترح عليكم وضعه أو طبعه، فوافق الخاطر الخاطر، وما صبَّ في صدري شيء إلا صبَّ في صدرك أيضًا، فالحمد لله على الموافقة.

وعسى أن ييسِّر مولانا سبحانه وتعالى التعجيل بطبعه، فقد شاق إليه كثير من النّاس والأحباب وأنصار السّنّة، اللهمَّ امنع الموانع عن إكمال جمع الجوامع.

---

(١) الحج: ٢.

(٢) لم أقف له على ترجمته مفصلة، ويبدو أنه الذي قام بنسخ «البحر المتلاطم» عن نسخة المصنف بالخط المشرقي ليسهل قراءتها على أرباب المطبعة.

(٣) الترغيب والترهيب (١/٤٩).

(٤) قمنا في طبعتنا بصنع عدة فهارس علمية للكتاب تحقيقا لرغبة المصنف وخدمة للباحثين وطلاب العلم.

الخطاب الثالث[1]:

ما ذكرتموه من تسويف الشَّيخ سالم بوحاجب[2] لكم في الإجازة فذاك أمرٌ شهر به وعرف، وما ذكرتم من أنه لم يجزه أحدٌ إلَّا عمر بن الطالب بن سودة[3] هو المعروف، وقد رأيت ما يناقضه في ديوان شاعر القطر التونسي محمد قبادو[4]، أنه أجاز للشَّيخ سالم عامة، وجعل تاريخ الإجازة قوله: «لسالم أجزت ما أُجزت به»[5].

---

(١) انظر كلام المصنف عن هذا المطلب في نور الحدائق (ص١٦٢)، وفهرس الفهارس(١/٢٤٢).

(٢) سالم بن عمر بوحاجب الحنبلي، المتوفى سنة ١٣٤٢هـ. انظر ترجمته في: (شجرة النور ٤٢٦-٤٢٨)، الفكر السامي للحجوي (٢/٣١٨-٣٢٠)، مختصر العروة الوثقى له (ص٢٨)، الأعلام الشرقية (١/٣٠٩-٣١٠)، تراجم المؤلفين التونسيين (٢/٧٧ - ٨١) وقد أفردت ترجمته بعدة تآليف.

(٣) ولد سنة ١٢١٨ وتوفي سنة ١٢٨٥. ترجمته في الشرب المحتضر: (ص٩١-٩٢)، فهرسة جعفر الكتاني: (ص١٨٢-١٨٣)، سلوة الأنفاس (٢/١٢٢-١٢٣). فهرسة القادري (ص٧٨). فهرسة ابن الخياط الصغرى (ص١٦٩-١٧٠)، وفيات الصقلي (ص١٠١)، زهر الآس(١/٥٢٤)، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام (٩/٣٠٥-٣٠٦)، ونقل فيها نص ترجمة الحافظ له في كتابه معجم الآخذين عن الرضوي.

(٤) ولد سنة ١٢٣٠ وتوفي سنة ١٢٨٨. ترجمته في مقدمة ديوانه (ص٢- ١٦) وهي بقلم جامع ديوانه العلامة محمد السنوسي، وعنوان الأريب (٢/١٢٧-١٣٠)، شجرة النور الزكية (١/٣٩٣)، تراجم المؤلفين التونسيين للأستاذ محمد محفوظ (٤/٤١-٤٤) وقد أفردت ترجمته بعدة كتب.

(٥) لم أقف عليه في ديوانه جمع الشَّيخ محمد السنوسي طبع تونس، لكن وردت الإشارة إليها صدر ترجمته في مقدمة الديوان الجزء الأول (ص١٤).

ورأيته روى في بعض إجازاته عن محمد الشَّريف، وعن بيرم الرابع، فلا أدري أبالإجازة أو بالسَّماع فقط، وإن كان «الموطأ» و«البخاري» بالسماع الغير المقرون بالإجازة، فتلك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، لأنه يتحقق عدم سماعه على شيخه كلّ الكتاب، فهو من الكذب إذا كان الأمر كذلك، ولنا في هذا المعنى رسالة خاصة[1]، وبسطناه في شرحنا على «غرامي صحيح»[2].

وأمَّا تأسفكم على تفويت الشَّيخ عمر بن الشيخ[3] الرواية عن

---

(١) أطال الحافظ في عدد من كتبه في بحث هذه المسألة، ولم أر الإشارة لهذه الرسالة المفردة في هذا الموضوع إلا هنا، وقد ذكرتها في كتابي «المعجم المعرف بمؤلفات الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني وما لحقها من أعمال».

(٢) للحافظ شرحان على غرامي صحيح؛ الأول منهما «المخبر الفصيح عن أسرار غرامي صحيح»، والثاني هو «العطايا الإلهامية على شرح القصيدة اللامية» لابن فرح، وقد بقي ذكر الثاني على محمد التليدي في كتابه «تراث المغاربة في الحديث وعلومه»، ولعلَّه ظنه هو وشرح المصنف الآخر «المخبر الفصيح» شرحًا واحدًا، فحذف الثاني وهو «العطايا الإلهامية» لكونه الكتاب رقم ١٠١ في قائمة مقدمة «فهرس الفهارس» للعلامة القاضي عبد الأحد ابن الحافظ، والقائمة المذكورة تكاد تكون هي مصدره الوحيد في معرفة كتب الحافظ الكتاني، ونظرًا لكون «المخبر الفصيح» أسبق ذكرًا فهو الكتاب رقم ٧ في القائمة المذكورة، فاكتفى بذكره وحذف ذكر الثاني، وهو وهمٌ منه ضمن جملة أوهام كثيرة حول مصنفات السيد الكتاني فحققه، وتفصيل أوهامه في كتابنا «المعجم المعرف بمؤلفات الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني وما لحقها من أعمال».

(٣) ولد سنة ١٢٣٧ وتوفي سنة ١٣٢٩. ترجمته في: نور الحدائق (ص٧٠)، شجرة النور الزكية (١/٤٢٠-٤٢١).

الرياحي(١)، والبيارمة(٢) وأمثالهم من قدماء الزيتونة فليس بغريب عن التونسيين ذلك، بل وعن الفاسيين أيضًا، هذا زعيمهم الرياحي ولد سنة الثمانين بعد مائة، ويروي عن الشَّيخ الأمير الكبير(٣) بواسطة ولده الأمير الصغير(٤) مع أنه مات سنة ١٢٣٢ وناهيك بهذا في الإهمال والتضييع، مع أنه كان يمكن للرياحي أن يروي عن شيوخ الأمير الكبير الذين تأخرت وفاتهم إلى عشرة الثمانين كالحفني(٥)، والملوي(٦)،

---

(١) ولد سنة ١١٨٠ وتوفي سنة ١٢٦٦. وهو شيخ الجماعة بتونس الإمام إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرياحي التونسي. انظر ترجمته في فهرس الفهارس (١/٤٣٧-٤٣٩)، إتحاف أهل الزمان (٧/٧٣-٨٢)، وشجرة النور الزكية (١/٣٨٦-٣٨٩)، وقد أفرد حفيده عمر بن علي بن إبراهيم الرياحي ترجمته بكتاب سماه «تعطير النواحي» طبع بتونس.

(٢) انظر فهرس الفهارس للمؤلف، فقد ترجم فيه لبيرم الثالث (١/٢٤١-٢٤٢)، وترجم لبيرم الرابع فيه أيضًا (١/٢٤٢-٢٤٣).

(٣) محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السنباوي الأزهري الشّهير بالأمير الكبير، ولد سنة ١١٥٤ وتوفي سنة ١٢٣٢. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (١/١٣٣-١٣٩)، ونور الحدائق (ص١٣٤-١٣٦) وانظر تاريخ الجبرتي (٣/٥٧٢-٥٧٥)، وشجرة النور الزكية (١/٣٦٢-٣٦٣).

(٤) هو محمد بن محمد السابق. فهرس الفهارس (٢/٦٦٣)، وشجرة النور الزكية (١/٣٦٤).

(٥) محمد بن سالم بن أحمد الحفني الشافعي القاهري، ولد سنة ١١٠١ وتوفي سنة ١١٨١. ترجمه المؤلف في فهرس الفهارس (١/٣٥٣-٣٥٥) وانظر رواية الأمير عنه في ثبته (٥٦-٥٧).

(٦) أحمد بن عبد الفتاح المجيري الشّهير بالملوي، ولد سنة ١٠٨٨ وتوفي سنة ١١٨٢. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (٢/٥٥٩-٥٦٠) وانظر رواية الأمير عنه في ثبته (٥٩-٦٠).

والجوهري(١)، وغيرهم، أو الذين ماتوا آخر القرن، كالوجيه عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس(٢)، ومحمد المنير السّمانودي(٣)، أو الذين ماتوا أول المائة الثالثة عشر كالشّهاب الدردير(٤)، أو الذين ماتوا أواخر العشرة الأولى، كالشّيخ التاودي بن سودة(٥) الذي مات سنة ١٢٠٩، أو الذين ماتوا في عشرة الثلاثين بعد موت الشّيخ الأمير بمدة، كالمحدث المسند محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي(٦)، المتوفى سنة ١٢٣٩، وناهيك بهذا القدر في الإغراب.

وذَكَرْتُ سيادتكم هنا في هذا الخطاب الشّهي، على المشهور في القطر التونسي من نسبة الثَّبَت الفاسي المطبوع لأحد البيارمة، ها هنا أذكر

---

(١) أحمد بن الحسن بن عبد الكريم بن يوسف الكريمي الجوهري، ولد سنة ١٠٩٦ والمتوفى سنة ١٠٩٦. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (١/٣٠٢-٣٠٣).

(٢) ولد سنة ١١٥٣ وتوفي سنة ١١٩٢. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (٢/٧٣٩-٧٤٢)، وانظر رواية الأمير عنه في ثبته (ص٢٠٣).

(٣) محمد بن حسن المنير السمانودي ولد سنة ١٠٩٩ وتوفي سنة ١١٩٩. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (٢/٥٧٢-٥٧٣)، وانظر رواية الأمير عنه في ثبته (ص٦٣).

(٤) الشهاب أحمد بن محمد العدوي الأزهري الخلوتي المالكي ولد سنة ١١٢٧ وتوفي سنة ١٢٠١. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (١/٣٩٣-٣٩٤)، وشجرة النور الزكية (١/٣٥٩).

(٥) ولد سنة ١١١١ وتوفي سنة ١٢٠٩. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (١/٢٥٦-٢٦٣)، وانظر رواية الأمير عنه في ثبته (ص٤٨).

(٦) توفي سنة ١٢٣٩. انظر ترجمته في فهرس الفهارس (٢/٨٤٣-٨٤٨)، وانظر رواية الأمير عنه في ثبته (ص٣٠١).

فائدة وتنبيهًا يتعجَّبُ منها القارئ، وهو أنَّ هذا الثبت هو في الحقيقة للشَّيخ أبي السُّعود عبد القادر الفاسي[١]، وللتونسيين عناية به والإجازة به والاستجازة فيه، أما الشَّيخ الشَّاذلي مجيزكم فقد أجازه ثالث البيارمة حقيقة، وأجاز للثالث جده، وأجاز لجده أحمد المكودي، وأجاز لأحمد المكودي[٢] الإمام أحمد بن مبارك اللمطي[٣]، ولكن يا ترى من أي طريق يتَّصلُ الشَّيخ أحمد بن مبارك برواية كل ما في ذلك الثبت، فإنه لم يذكر سنده العمومي فيه، وإنما ذكر قراءته على كثير من تلاميذ الفاسي، وقد كان شيخُنا المعمر أحمد بن الطالب بن سودة[٤] لما زار القطر التونسي سنة ١٢٦٨ أجازه المفتي محمد بن أحمد النيفر[٥] عن ثالث البيارمة أيضًا، ولكن أوصل له السَّند إلى ابن المبارك، فسألته عن اتِّصال ابن مبارك العام بالفاسي فقال لي: هذا ما تلقيت، وهكذا مضى على شيخنا المذكور دهر

---

(١) ولد سنة ١٠٠٧ وتوفي سنة ١٠٩١. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (٢/٧٦٣-٧٧١)، وانظر خلاصة الأثر (٢/٤٤٤) والتقاط الدرر (ص٢١٧-٢١٨)، ونشر المثاني (٢/٢٧٠-٢٧٩)، وشجرة النور الزكية (١/٣١٤-٣١٥).

(٢) توفي سنة ١١٦٩. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (٢/٥٥٨-٥٥٩)، وشجرة النور الزكية (١/٣٤٦)، وتراجم المؤلفين التونسيين (٤/٣٦٨-٣٦٩).

(٣) ولد سنة ١٠٩٠ وتوفي سنة ١١٥٦. ترجمته في نشر المثاني (٤/٤٠-٤٢)، وسلوة الأنفاس (٢/٢٢٨-٢٣٠)، وشجرة النور الزكية (١/٣٥٢).

(٤) ولد سنة ١٢٤١ وتوفي سنة ١٣٢١. ترجمه المصنف في النجوم السوابق الأهلة (ق٣٩-٤٢)، ونور الحدائق (ص٦٢-٦٣)، وانظر مصادر ترجمته في هوامشنا عليه.

(٥) ولد سنة ١٢٢٢ وتوفي سنة ١٢٧٧. ترجمته في الأعلام للزركلي (٦/١٩).

كامل، وهو يرويه كذلك حتى وصلته بحمد الله، وهو أني لما تحققت بكون ابن مبارك أجازه المسناوي[١] عامة مروياته صرت أبحث عن مجيزي المسناوي عامة، فوجدت الشَّيخ محمد بن عبد القادر الفاسي[٢]، والشَّيخ عبد الملك التاجموعتي[٣]، وأحمد العطار[٤]، وثلاثتهم أجاز لهم عامة والد الأول، فعلمت حينئذ عَيْنَ اتصال سلسلة البيارمة والحمد لله، وعسى أن نَظْفَر في المستقبل بما يصرح بأن الحريشي[٥] أجاز لابن مبارك عامة، فإذا ثبت ذلك علا الإسناد بدرجة، فإن كان لكم علم بذلك فأفيدونا به.

أبشركم أني استبشرتُ بالبحث الإسنادي الذي فتحته معكم، فإني استفدتُ منه أنك أيضًا من المُسندين؛ لاستحضاركم مع ما أنتم عليه من مُفارقة دواوينكم ولادة ابن الشيخ، وتكلَّمتم عن إهماله وأمثاله، كلام خبير

---

(١) ولد سنة ١٠٧٢ وتوفي سنة ١١٣٦. ترجمته في نشر المثاني (٣/٢٦٥-٢٧٨)، سلوة الأنفاس (٣/٥٩-٦١) الإعلام بمن حلَّ بمراكش وأغمات من الأعلام (٦/٢٦-٣٣) معجم المطبوعات المغربية (ص٣٢٥).

(٢) ولد ١٠٤٢ وتوفي ١١١٦. ترجمته في نشر المثاني (٣/١٥١-١٥٢)، والتقاط الدرر (ص٢٩٢-٢٩٣)، وصفوة من انتشر (ص٣٥٧-٣٥٩).

(٣) توفي سنة ١١١٨. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس(١/٢٥٥-٢٥٦) نشر المثاني (٣/١٦٢-١٦٦)، التقاط الدرر (ص٢٩٥).

(٤) لم أقف على ترجمته.

(٥) ولد في حدود سنة ١٠٤٢ وتوفي سنة ١١٤٤. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (١/٣٤٢-٣٤٤)، نشر المثاني (٣/٣٦١-٣٦٣)، فهرسة الحافظ إدريس العراقي (ص٤٦)، تحفة المحبين والأحباب (ص١٨٢)، سلك الدرر (٣/٢٠٥-٢٠٦).

بالفن، فإني أحمد الله على ذلك، ولا يكبر في عيني الأثري المحدّث الزاعم الخبرة والمهارة، ولا يفهم دقائق الرواية وأسرار الصّناعة، كأكثر الموجودين اليوم على ظهر البسيطة، ممّن فتنوا بهذه الدعوى، وهنا أندبكم وأحرص عليكم وأطلب وأكرر الطلب المرجو قرنه بإجابة الرغب في التعجيل بـ«عمدة الأثبات»[١]، فإنّا إليها في نهاية الشّوق، ولو أمكن جذبها بطيار الشّوق، لوْ أظهرت الكهرباء طيّارا خصوصيًا جلابًا لاستعملناه في الإسراع بها لأيدينا، ألا وإني قد ظفرتُ به وهو طيّار المحبّة وكهرباء الشّوق فإنها تفعل في تقريبِ البعيد ما اقتبستُ بعضه كهرباء الصناعة.

الخطاب الرابع:

ما ذكرتموه[٢] من أمر الاتّصال بشيخ الإسلام عارف حكمت بك[٣]، وبحثكم بكلّ عناية عن الاتّصال به في الآسِتانة[٤]، ولم تظفروا بالبغية

---

(١) وقد تم ذلك فأتم الإمام المكي بن عزوز «عمدة الأثبات» في ١٢ ربيع الثاني من سنة ١٣٣١هـ، وبعثها للمصنف من الآستانة إلى فاس. وانظر تعريف المصنف بها في فهرس الفهارس (٢/٨٧٧-٨٧٩).

(٢) ونحوه في كتابه عمدة الأثبات (ص١٣٩-١٤٠) الذي أجاز به صاحبه الحافظ، ولم يذكر اتصاله به على عادته في تراجم كتابه، وهو ما جعل الحافظ يكتب اتصاله به في هامش فرعه من العمدة.

(٣) ولد سنة ١٢٠٠ وتوفي سنة ١٢٧٥ وقيل سنة ١٢٧٢. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (٢/٧٢٢-٧٢٤)، وأفرده بالترجمة الشهاب الألوسي بكتاب سماه «شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم»، وانظر حلية البشر (١/١٤١-١٤٦).

(٤) إذ كان العلامة المذكور مقيما بدار الخلافة.

فكذلك الأمر، فإنّ شيخ الإسلام ما أجاز إلّا القليل من الأفراد، كعالم العراق الألوسي[١]، والشّيخ حسن البيطار الدمشقي[٢] والد الشّيخ عبد الرزاق[٣]، بل تدبّجا معه، وأجاز أيضًا للشّيخ محمد بن حسن البيطار، وحيث إنه يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر، فأُعلمُكم أني اجتمعت بزوجته في المدينة، واسمُها فاطمة بنت شمس جاهان الجَرَكْشي[٤]، وهي معمّرة صالحة، ذاكرة متعبدة، تزوّجها شيخ الإسلام في نحو سنة ١٢٥٥، وهي إذ ذاك بنت العشرين سنة، أجاز لها زوجها المذكور القرآن الكريم، و«دلائل الخيرات»، و«البردة»، و«الهمزية»، وقد أجازت لي في المدينة المنورة سنة ١٣٢٤ ما أجازها به، واستجازت مني أيضًا فأجزت لها.

وقد أشعرتم أنّ لكم إجازة من أمين الفتوى بالآستانة[٥]، فإن كان عنده شيء، فلا بأس إن سمحت لكم الظُّروف بطلب الإجازة لنا منه، فإني قد رويت عن علماء سائر بلاد الإسلام، أمّا أخذي عن الآستانيين عاصمة الممالك ودست الخلافة فروايتي عن أهلها أقل من القليل، فإن توسّطتم لنا

---

(١) ولد سنة ١٢١٧ وتوفي سنة ١٢٧٠. ترجمته في: فهرس الفهارس (١/١٣٩-١٤١)، حلية البشر (٣/١٤٥٠-١٤٥٥)، والمسلك الأذفر (١/١٣٠-١٥٤)، فيض الملك المتعالي (٢/١٥٥١-١٥٥٣).

(٢) ولد سنة ١٢٠٦ وتوفي سنة ١٢٧٢. ترجمته في: حلية البشر (١/ ١٤٢١-١٤٢٢) لابنه، ونزهة الفكر (١/٣٣٣-٣٣٧)، وأعيان دمشق (ص٨٢-٨٦).

(٣) ذكر روايته عنه المصنف في نور الحدائق (ص١٥٩).

(٤) ترجمتها ترجمة مفصّلة في معجم شيوخ الحافظ الكبير تخريجي.

(٥) هو الشّيخ محمد نوري أفندي ذكره الشّيخ المكي بن عزوز في عمدة الأثبات (ص١٧٣).

في هذه المفخرة فنعما الممنونية لكم، والنعمة التي على الدوام تشكر، وقد كنت سابقًا استجزتُ الشَّيخ ظافر[1] قيد حياته، فلم يصِلنا منه شيء، ولعلَّه يكون عند ولده الشَّيخ إبراهيم[2] علم هل تلفظ لنا والده بالإجازة الطريقية أم لا.

وما أشعرتم به بل صرَّحتم من حالة علماء الآستانة مع الأثريين، وقلة من يبحث عن دينه على الطريقة السَّنية فهي يا مولانا شكوى واحدة وعلة متواصلة، وهي العلة الأولى في تأخر المسلمين وانحطاطهم لهذه الدرجة القُصوى، وبلوغهم الحضيض الأوهى، ويا أسفا على هذا الأمر الجلل، والمُصيبة الخطرة المنبئة عن كون المُسلمين وإن كثروا قلَّ من ذاق منهم لذاذة الدين، ولا تفقه في أسراره، وسلم من أخذه غضًّا طريًّا كما أنزل، فبينما الفقهاء ينكرون على المشهورين بالإرشاد ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم، إذ أصبح وأمسى كل فقيه منهم يشرع ويحرم ويحلل من نفسه فكأنهم أنبياء، فعجبًا لمن ينكر الولاية ويدعي النبوة، لا بل الألوهية، إذ التشريع من خاصيتها كما قال إبراهيم بن سعد[3] لهارون الرشيد: «ليس لابن عمك يدٌ في التحريم ولا التحليل».

---

(١) هو الشَّيخ العارف محمد ظافر بن محمد حسن بن حمزة ظافر الطرابلسي المغربي المدني، ولد سنة ١٢٤٤ وتوفي في حدود سنة ١٣٢٥. ترجمته في شجرة النور الزكية (٤١١/١) الأعلام للزركلي (٧٦/٧).

(٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أبو إسحاق الزهري، ولد سنة ١٠٩ وتوفي سنة ١٨٤. سير أعلام النبلاء (٣٠٤/٨-٣١٠).

ولو ترى يا مولاي ما نقاسي مع هؤلاء هنا لقضيت بالعجب، وهو الأمر الوحيد والسبب الأكبر في موجبات الضَّغائن والأحقاد التي أظهرتها وقعتنا الكربلائية[1]، ومن الغرائب أنه كان عندي أسبوع[2] منذ مدة قريبة، فحضر فيه جماعة من أهل العلم فيهم واحدٌ متعصبٌ من أبناء خالنا سيدي جعفر اسمه أحمد[3]، فأمره شيخنا الوالد بأن يقرأ للناس «طبقات الشعراني الوسطى» فقرأ، فإذا الشَّعراني كل ما افتتح ترجمة لأحد السَّلف صدَّرَها بتحريضه على العمل بالكتاب والسنة وتقديمهما على الرأي، وأنا أعلم أنَّه من المُتعصِّبين الجامدين مع صلاحه وفضله وتقواه، فقلت له كالمستفهم: ما مراد هؤلاء الأئمة بالكتاب والسنة والرأي؟ فقال: مرادهم البدع والأهواء الوقتية، فقلت: حسنٌ ولعل كلامهم شامل لتقديم نصِّ خليل أو التتائي على الحديث الصَّحيح المحكم الصَّريح، فقال: أمَّا هذه فلا، فقال وقلت إلى أن افترقنا، وهو يقول لجماعته: ما أوجب حلَّ ربطة الدين إلا اتباع الآثار والحديث، وأنا أقول لجماعتي: ما أوجب انحطاطنا وتأخرنا إلا اتباع الهوى وتقديم رأي الجامدين الذين ربما فُقناهم في بعض الفهوم والإدراكات على

---

(١) يشير إلى واقعة اعتقال المؤلف وآل بيته واستشهاد أخيه تحت التعذيب سنة ١٣٢٧.

(٢) هو أسبوع ولادة ولده العلامة القاضي أبي بكر الكتاني، فقد ولد كما قرأت بخط والده الحافظ يوم السبت فاتح جمادى الأولى سنة ١٣٢٩.

(٣) ولد سنة ١٢٩٣ وتوفي سنة ١٣٤٠. ترجمه المؤلف في وفياته من جمعي، والنبذة اليسيرة لأخيه الإمام السيد محمد بن جعفر (ص٣١٢- ٣١٧)، ومنطق الأواني (ص١٤٩-١٥١)، ولابنه الأستاذ محمد إبراهيم كتاب عنه سماه: «والدي كما عرفته».

صحيح السُّنة وصريح الكتاب، فمن هنا تفهم قلة أرباب البصيرة حتى في الكتانيين، فكيف بغيرهم، هذا ابن خالنا سيدي محمد[١] الذي من الله عليه بجوار المدينة المنورة لا تجده انصبغ بصبغة الحديث مُطلقًا، أو يقدر على ردِّ نص خليل أو أحد شُرّاحه بحديث في إحدى السُّنن إلَّا بطبخ ونفخ وطول توقف واهتبال، لا يجد نفسه تنازعه بمثله في جنب إهمال كلام جده المعصوم، وإذا طالعت كلامه في تأليف المتواتر تجده صَريحًا مُوَلْوِلًا بما قلناه وشرحناه، لأنه لا يكاد يجزمُ بشيء ولا يردُّ زعم زاعم، فجعل كُلًّا من البسملة ونفيها[٢] والجهر والإسرار متواترًا[٣]، والرفع عند المواطن الثلاث وعدمه متواتر[٤]، وهكذا بحيث لا تجد نصيرًا لنا هنا في فاس أبدًا، نعم طائفتنا الكتانية رجعوا إلى طريقتنا في هذا الباب تقليدًا أوجبه استغراقهم في المحمدية، وكمال انحياشهم إلى باب رسول الله بكل معنى الكلمة زادهم الله ثباتًا ونورًا وانحياشًا آمين، وقد نشرنا دلائل هذا المبدإ وقواعده في «البحر» بما لا أظن مسلمًا يقرؤه ثُمَّ يقوم من غير طائل، فإنا قد تنزّلنا فيه إلى مرتبة يحصل بها النفع إن شاء الله، فلك أجر ذلك أولًا وآخرًا، أولًا بوقوفك مقام الصديقين في نشر السنة أولًا، فلما قام لخذلانك من خذله الله أوقفنا الله لنصرك فكان ذلك في صحيفتك.

---

(١) ولد سنة ١٢٧٤ وتوفي سنة ١٣٤٥. ترجمه المصنف في النجوم السوابق الأهلة (ق١٩-٢٠)، وفهرس الفهارس (١/٥١٥-٥١٨)، وقدم الرسوخ (ص١٦٥-١٧١).

(٢) نظم المتناثر (ص٩٩-١٠٢).

(٣) نظم المتناثر (ص٩٩-١٠٢).

(٤) نظم المتناثر (ص٩٦-٩٨).

وثانيا: لتعهدك بنشر البحر الذي أرجو فيه إن شاء الله أن يقوم مقام التراب الذي ضرب به عليه السلام في وجه أرباب الجمود وقال: شاهت الوجوه شاهت الوجوه[١].

شاهت وجوه الذين يردون السنة وينصرون البدعة وقمعهم الله بقهره، إنه سبحانه ولي ذلك.

الخطاب الخامس: ما ذكرتم من اتّصالكم بالرياحي عن الشّهاب أحمد بن الخوجة[٢]، فعجبت من اقتصاركم عليه كأنه لم يتأخر أحد إلى زمن روايتكم يروي عنه دونه، إن هذا لعجيب، نعم ذكرْتم وفاة ابن الخوجة المذكور سنة ١٣١٢، مع أن المعروف والموجود في تاريخي[٣] أن وفاته كانت صبيحة يوم الاثنين سادس الحجة سنة ١٣١٣.

الخطاب السادس: ما ذكرتموه من أمر السيد حسن أسعد[٤] صار بالبال، وقد كتبت له كتابًا ها هو يصلكم طيه.

الخطاب السابع: ما عددتموه فائدة واهتبلتم به من البحث الذي أجريته في «السّر الحقي الامتناني»[٥] من الحض على قرن الصلاة على

---

(١) يشير لحديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه في صحيح الإمام مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة حنين (١٤٠٢/٣ رقم ١٧٧٧).

(٢) ولد سنة ١٢٤٦ وتوفي سنة ١٣١٣. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (٣٨٣/١-٣٨٤).

(٣) أشار له المصنف في كتابه الأجوبة النبعة (ق١١٢-١١٣) نسخة المكتبة الوطنية.

(٤) لم أقف على ترجمته.

(٥) (ص١٨٨-١٩٠) طبعة فاس الأولى.

النبي ﷺ بالأذكار كلها، وعدم التفرقة بين ذكر الله وذكر حبه في كل حين ووقت، هو بحث نفيس على الحقيقة، ولو علمت موجب ذلك الإسهاب والتطويل في نقل النقول والاحتجاج بأرباب الطّرق لقضيت بالعجب، وهو أن الطائفة الدرقاوية هنا لما أمر شيخنا الوالد وشقيقنا الشّيخ أبو الفيض مواريدهم بسلوك هذا المسلك وصار الكتاني يعرف من غيره بمزج كلمة الشّهادة في الذِّكر كله قامت قيامتهم وتوغرت صُدورهم وكثرت قلاقلهم، وما قصَّروا إعراضًا ومُغالطة، وانتصب بعض جهلتهم للتأليف، فذاك الذي حملني على ذلك الإسهاب، وإلَّا فتلك مسألة ما كنت أظن أنَّ مؤمنًا يخالف فيها أو نحتاج معه إلى نصب نصٍّ أو جلب حجة إذ دليل ذلك للمُحَمَّدي بَيِّنٌ في نفسه، ولكن البلاء والمنافسة والمعاصرة مع الجهل يوقع في أكثر من ذلك وأخشن.

الخطاب الثامن: ذكرتم ما عزمتم عليه من التّصرف في «البحر» في ثلاث مواضع؛ الأول منها عند ذكر اجتهاد المصطفى ﷺ، والثاني حذف بيت عبد الله بن المبارك، والثالث ما يتعلق بإطراء النبهاني فلا بأس بذلك، إذ لكم مني الإذن المطلق في هذه المسائل وغيرها، وعسى أن تلحقوا بهذه الثلاث بعض كلمات جافية في الخطبة وداخل البحر تتعلق بالمردود عليه إن ظهر لكم تبديلها بما هو ألطف منها فلكم ذلك، مع أني كنت عزمت على أن أقول لكم أولًا لما أرسَلتُ لكم البحر لتطبعونه إن ظهر لكم أن تنسبوه لأنفسكم أو لأحد تلاميذكم فلكم ذلك.

مسألة الشيخ النبهاني وما أدراك ما النبهاني؛ اعلم يا مولانا أنَّ هذا الرجل أول ما سمعنا باسمه في أول همزيته[١] التي هي باكورة أعماله الطاهرة، فلمَّا وصلت إلى أيدينا فبصفة كوننا نعشق مدح الحبيب المحبوب، ونطرب بمن يمدحه كثيرًا، ووصيةً يأخذها آباؤنا عن أبائهم، وأوصلوها إلينا أن لا نجالس ولا نرافق ولا نطالع كتاب من نشم فيه رائحة توقُّف في الكمالات المحمدية، أو استنكاف عن قبول بعض البعض مما أظهره كبار تلك الحضرات، فاستحوذت على عقولنا تلك الهمزية واستولت علينا استيلاء العقار على المحب المدنف، فكان لي شوق إلى مخاطبة النبهاني وخطاب وده، فلا زال الأمر يزداد وحبه في قلبي ينمو كلما أبرز في تلك الحضرة الإلّهية والمحمدية مدونًا وجمع مجموعًا، إذ كنا في بلادنا هذه طالما عابنا الصوفية والفقهاء باشتغالنا بهذا الفن، فمن قائل إنَّ آل الكتاني لهم إفراط، ومن قائل يحبون جدهم محبة طبيعية، ومن قائل ما لا أذكره، فخطبت وده أولًا بمكاتبته، فكتب مستجيزًا من أستاذنا الوالد وشيخنا الأخ والفقير، فوقفت في إجازتهم له وأجزته أيضًا واستجزته[٢]، فلمَّا سافرت للحج كان نزلي بمصر في منزل العلامة السيد أحمد الحسيني[٣]، فأوقفني على هذا الكتاب «شواهد الحق» قبل إكماله، ورغبني

---

(١) «طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء» طبعت ببيروت مستقلة في حياة ناظمها، ثم طبعت ضمن كتابه «المجموعة النبهانية» (١/٢٠٤-٢٨٩) دار الفكر، وانظر كلام المصنف عنها في كتابه «الإفادات والإنشادات» (ص٢٠٣).

(٢) ساق العلامة النبهاني رسالة المؤلف له في كتابه «أسباب التأليف من العبد الضعيف» (٢/٣٧٢-٣٧٣) آخر طبعة جامع كرامات الأولياء الأولى.

(٣) ولد سنة ١٢٧١ وتوفي سنة ١٣٣٢. ترجمته في مرآة العصر (٢/٣٠٤)، ومعجم المطبوعات لسركيس (١/٣٨٣-٣٨٤)، فيض الملك المتعالي (١/١٣٧)، وانظر مقدمة عنايتي بكتاب المؤلف «أسانيد حصر الشارد» (ص٢٩٩-٣٠٤).

في تقريظه، فصدر مني ما صدر من التوغل والإفراط في ذمِّ ابن تيمية شيخ الإسلام وأتباعه لموجبات أوجبت لي ذلك، أعظمها أني إذ ذاك لم أتمكن من مطالعة كتب شيخ الإسلام حق المطالعة، ولا استوعبت واحدًا منها، لأنها ما وصلت لفاس، لأن أرباب الكتب لعلمهم بأنَّ سوقها غير نافد لا يجلبونها إلَّا بطلب خاص، وثانيا ما فوجئت به من تحريمه شدَّ الرحال لزيارة قبر سيد الأرسال، واعتقاده الجهة والتجسيم، ومبالغته في الرد على الصّوفية أرباب القلوب الصّافية والأخلاق الوافية، وتصريحه الغليظ بتكفير مثل ابن العربي وابن الفارض وابن سبعين وأمثال هذه الطبقة، ولا شك أن من يتربى في حجر الصّوفية وما سمع أمثال هذه الأمور قط ولا راج على عقله غير تبجيل القوم وتعظيمهم وإنزالهم منزلة دون منزلة الأنبياء في التقديس والكمال، ثُمَّ من شبَّ على التعشق للكمال المحمدي والافتنان بالجمال الأحمدي كيف يسمع حرمة شدّ الرحال لزيارة القبر المكرم ولا تشمئز نفسه من مفاجئته بمثل ذلك، لو كان كيف ما كان، فهذه أعذاري الظاهرة يا مولانا فيما صدر مني من الإفراط والمبالغة، ثُمَّ إني مع ذلك ما رأيت إذ ذلك في «شواهد الحق» إلَّا توفية ابن تيمية حقه من الإجلال والإكبار واستيعاب أقوال من مدحه أو ذمه، لا كما فعل غيره من ناصريه، فلما رجعت من الحج وكنت قد زودت نفسي من كتبه بالكثير وطالعت أسرارها، وعلمت مضامينها والمحور التي تدور عليه علمت أنَّ الرجل عظيم النظير في الإسلام، قرة عين أهله لمن كان يشعر، فما رأيت على كثرة ما رأيت من علم العلماء من يستخرج شواهد القرآن والسنة مثله، فكأنَّه ما حفظ أحد القرآن إلَّا هو، وأعلمك على سبيل الاستطراد هنا أنَّ أقرب من رأيت شبهًا به في هذا الباب شقيقنا الشَّيخ أبو الفيض فكأنَّ القرآن ما

يقرؤه إلَّا هو، والسنة ما حفظها أحد دونه، ولكن مع علمي التام بحلول شيخ الإسلام في هذه المرتبة القسعاء وإجلاله إلى درجة لم أنزل به أحدًا من أئمة الإسلام بعد الأئمة الأربعة ما أنزلته منزلة المعصوم المطلق، ولا المصيب في كلِّ أفكاره وتعاليمه، وهذا طريق أهمله النَّاس اليوم، فإنهم على أحد طرفين، إمَّا محب أو مبغض، فإذا أحبوا شخصًا مجّدوا فعاله وعصموا أقواله وقدسوا عقله، وأنزلوه فوق منزلة الأنبياء، إذ يجوزون عليهم الخطأ ويمنعونه عمن يحبونه ويعتقدونه، ومن هذا الفريق رشيد رضا وأمثاله من زنادقة المصريين، فإنهم ينزلون ابن تيمية نبيًّا أو إلهًا، لا بل فوق ذلك إن كان يمكن أن تكون هناك مرتبة أعظم وأجل، وإذا كرهوا شخصًا كرهوا أقواله كلّها واشمأزوا من اسمه ونعته وبلده، حتى يمكن أن يتبرؤوا من دينه إذ جمعهم، ومن هذه الطريقة رشيد رضا مع ابن السُّبكي وابن حجر الهيثمي وأتباعهما في النحلة والطَّريقة، وأنا أرى أنَّ خير الأمور الوسط، لا أصحاب التغالي في مدحه أصابوا، ولا أصحاب التفريط في ذمه أصابوا، فالرجل فوق ما يتشخص النَّاس في العلم بالكتاب والسُّنة، وحب الدين، والتفاني في نصره إلى أن حلَّ به ما حلَّ، ومع هذا فليس بالمعصوم في كلِّ ما ينتحل أو يقول، إذ القول قول مالك إمام دار الهجرة: «كل كلام فيه مقبول ومردود إلَّا ما أتانا عن صاحب هذا القبر ﷺ»، وعند التنقيب والبحث وسبر أسرار كلام ابن تيمية وفحوى خطاباته رأيته لا يعتقد التجسيم ولا الجهة، وغاية ما يذهب إليه ترجيح طريق السَّلف في المتشابه والرد على المؤولة، وقد علم أنَّ الرجل إذا حوجج في شيء وخصوصًا العالم المتبحر، وخصوصًا أصحاب الحدة كابن تيمية فإنه يبالغ في الاحتجاج لمذهبه، ويطلق عذبة اللِّسان والبنان في الرد على خصومه، فربما

شمَّ خصومه وأعداؤه من كثرة الإيضاحات ووجوه الرد ما لا يقصده ولا ينتحله، وهكذا وقع لابن تيمية فيما شاع عنه (التجسيم والجهة)، لا أظنه يصدر منه في أول أمره فضلًا عن آخره، وإنما بالغ في إيضاح الانتصار لمذهب السَّلف، فظنَّ أنه من المُجسِّمة، والحال أنه بريء منه، وهكذا وجه الاعتذار عنه في إطلاق عذبة لسانه في الصُّوفية، فإنَّ الصُّوفية بالغوا في بعض المواضع وأفرطوا في تقرير مذاهبهم وإيضاحها والاستدلال عليها، فيراهم مثل ابن تيمية الذي لم يقرأ شيئًا من طريقهم، ولا لقي أحدًا من عرفائهم، ولا عرف جملة من اصطلاحاتهم زنادقة، والحال أنهم ليسوا كذلك، فلا أقبل أنا في مثل ابن العربي والشَّاذلي وابن الفارض مائة ألف من ابن تيمية، مع إقامة العذر له، والعلم بأنه لو اطَّلع على [ما] اطَّلعوا ووقف على ما وقفوا لكان أول ناطق ومولول بمذاهبهم وموضح لإشاراتهم، وأرى أن لا زينة للإسلام إلَّا بمثله ومثلهم، فالماء واحد والزهر أفنان ﴿تُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾(١)، ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾(٢)، فابن تيمية ركنٌ من أركان الإسلام، والحاتمي والشاذلي ركنهما الآخر، فالذي يوهن أحَدَهما يريد إهانة ركن من أركان الدين، وهكذا القول عندي في تقي الدين السُّبكي وولده، أرى أولئك الأبالسة الصَّعالكة يلمزون تقي الدين ويحتقرونه عن الوصف بالعلامة وما ضاهاها من التحليات الصَّغيرة عن سوقة سائق دابَّتِهِ تعصبًا لابن تيمية وعلى الآخر، والحال أنَّ السُّبكي

(١) الرعد: ٤.

(٢) البقرة: ٢٥٣.

وآله هم على الحقيقة كما كان يقول فيهم شيخنا الشَّيخ أبو الفيض: أشراف العلماء لمزجهم السنة بالتصوُّف، فجاءت الثياب التي نسجوها للإسلام أرفع شارة له، وأشرف لأبهته ومجده من أن لو فعلوا كغيرهم ممن اقتصر على أحد الشقين، فصاحب العين الواحدة أعور، والكامل من نظر بالعينين، جعلنا الله منهم آمين، وهكذا القول أيضًا في ابن حجر الهيتمي وأشكاله، فهب أنه أساء الأدب على ابن تيمية وبالغ وأفرط، ولكن له حسنات تتمثل في حقه يقول الآخر: [الكامل]

وَإِذَا الحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ... جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ

فخالف هؤلاء المُتمشدقة هذا المسلك، وأفرطوا في حق كل من تكلم في ابن تيمية ببنت شفة، ولو رأيت كيف يعبر صاحب «المنار» عن تقي الدين السُّبكي وابن حجر الهيتمي لألقمت فمه أحجارًا من جهنم، وما كان الحامل لي والله على إبراز تلك الكلمات الخشِنة في حق ابن تيمية إلَّا مقابلة السوء بالسوء تعصبًا على أولئك، وهو العذر عندي في كثير من المسائل بالغ فيها أقوام، فأقول: إنهم بالغوا بالنِّسبة لمن عاندهم في الحق، وإلَّا لما بالغوا في الإيضاح إلى هذه الدرجة، فسلكت أنا ذلك المسلك، وبينا نحن نستقبح مسلك النابغة نعمان الألوسي(١) في «جلاء العينين»(٢) ومبالغته في بعض المواضع إذ ظهر ذلك الشَّيطان المارقُ المفتون عن دينه ودنياه، المتلاعب بدين محمد تلاعب الرياح العاصفة بالشَّجرة اللينة

(١) ولد سنة ١٢٥٢ وتوفي سنة ١٣١٧. ترجمته في المسلك الأذفر، وأعلام العراق لمحمد بهجة الأثري (ص٦٠-٧٠).

(٢) «جلاء العينين في المحاكمة بين الأحمدين» عنى بهما أبا العباس أحمد بن تيمية الحنبلي، وأحمد بن حجر الهيثمي المكي الشافعي.

العزيزة في الجبل العالي، صاحب «غاية الأماني في الرد على النبهاني»، انظر كيف عمد إلى الغزالي وإمام الحرمين وابن السبكي وأولاده وحزبه، والسيوطي وابن حجر المكي، والسيد مرتضى خاتمة الحفاظ الذي ما أتى بعد تلاميذ العسقلاني أعلم منه بهذه الصِّناعة، فلمز أعراضهم ونقص فضائلهم وشرح مثالبهم التي خلقها وولَّدها، وانظر كيف عمد إلى محمد عبده ورشيد رضا والحلبي صاحب «التعليم والإرشاد» فجعلهم كالأئمة الأربعة، وجعل الدليل على فضل ابن تيمية مدح هؤلاء له، وانظر كيف خاطب الشَّيخ عبد القادر الجيلي والأستاذ الرفاعي وأمثالهم، هل يسوغ لمسلم السُّكوت عن ذلك أو تحمله، فإن كان جمال الدين القاسمي ممَّن يرضاه ذلك فسأُعلمه أني مباين له في المشرب ومعاد لهذا المذهب وأهله، وإن كان أهل الأثر يعجبهم هذا السُّلوك فليسوا بأهل الأثر على الحقيقة، ولكنهم أتباع الشَّيطان وأنصار كل ناعق، وهل يوجد من يعلم الحديث على حقيقته والصِّناعة الأثرية على طريقتها يشيد بابن عبد الهادي[1] صاحب «الصارم المنكي»، صنع شيئًا ما هو إلا مختال خابط خبط عشواء، عالم بالجرح غافل عن التعديل، يتمسَّكُ بالإطلاق ويغفل عن التقييد، يتمسَّك بالألفاظ ولا يحكم معانيها ومقاصدها.

وبالجملة فالناس بين إفراط وتفريط؛ طائفة قبورية صرفة، وطائفة وهَنَتْ القبور ومن يحترم أهلها مطلقًا، وكلاهما مخطئ في نظري، فخير

(١) ولد سنة ٧٠٥ أو التي بعدها، وتوفي سنة ٧٤٤. ترجمته في تذكرة الحفاظ (١٥٠٨/٣)، المعجم المختص بالمحدثين (ص٢١٥-٢١٦)، بديعة البيان (١٤٨٣/٣-١٤٨٧)، الدرر الكامنة (٦١/٥-٦٢).

الأمور الوسط، أمَّا تعظيمهم إلى درجة العبادة والسُّجود فلا أقول به ولا أرضاه لمسلم، وأما احتقارهم إلى درجة الحضّ على هدم تلك الآثار فلا أحبه، كما أني أسأل الله بجاه أعمالهم وآثارهم وما يتلى بضرائحهم في قضاء الحاجات والمآرب، لا غير هذا المسلك أسلك مع أصحاب الضَّرائح قدس الله سرهم العاطر، وجعلنا من أهل سلك الكامل منهم آمين.

إذا علمت سيادتكم مشربي في هذا الباب علمتُم مذهبي في الشَّيخ النبهاني، فأمَّا كون الرجل يعادي أهل السُّنَّة فلا أظنه فيه، ولا أظنكم تعتقدون فيه ذلك مع ماله من الاستهتار في الجناب المحمدي، فطالما ألَّف وصنَّف وجمع وطبع وشنف وأنذر، فبينما محمد عبده وتلاميذه وأمثالهم في مصر يُدَنْدِنُون في مساوئ أئمة الإسلام، إذ وقف هو حياته على جمع آثارهم ولمّ شتات أدعيتهم وثنائهم على ذلك الجناب العاطر، فلم يبق فيه من يعتقد عداوته لأهل السُّنة إلَّا تحريمه العمل بالحديث، وإذا علِمت سيادتكم أنه يخاطب مثل رشيد رضا صاحب «المنار» وأمثاله من زنادقة المصريين الذين حرموا وحللوا وخرقوا إجماعات ودونوا اتفاقات، استحسنت طريقته وأيدت نحلته، وأراه قد فسَح مجالًا وفتح بابا للأثريين، وهو أنه نقل عن ابن الصَّلاح[1] وابن سليمان الكردي[2] وأمثالهم أنَّ الواقف على حديثٍ يراه مخالفًا لمشهور مذهب إمامه لم تسمح نفسه بالإعراض عنه

(١) ولد سنة ٥٧٧ وتوفي سنة ٦٤٣. ترجمته في تذكرة الحفاظ (١٤٣٠/٣-١٤٣٣)، التبيان لبديعة البيان (١٣٩٥/٣-١٣٩٦).

(٢) ولد سنة ١١٢٧ وتوفي سنة ١١٩٤. ترجمته في سلك الدرر (١١١/٤- ١١٢)، وثبت ابن عابدين (ص١٢٨-١٣٠).

يعمل به وينوي تقليد من قال به، وهذا مسلكٌ حسن بالنسبة لغير المتأهلين أمثال أكثر الموجودين اليوم على ظهر البسيطة، فلو أنّ مثله أشاع وأذاع في كتبه تزيين طريقة الذين ينتحلون الاستنباط وتقديم الآثار على الفقه والرأي، وقد علم أن أشهر من اشتهر بذلك في العصر هو رشيد رضا لكثرة ما يطبعه ويذيعه لزاد الأمر اتساعاً، وهذا يفسد الحال ويجر المتعدي إلى ما هو أكثر وأبشع.

بقي أن يقال: إنه قطع باب الاجتهاد وسدَّ أبوابه، وهذا الباب القول فيه منا كقوله، فإنا وإن جوزنا الاجتهاد ونافحنا عن تيسّره لا نعلم أحداً من الموجودين اليوم يمكن أن يدّعيه أو يقوم به على سبيل الاستقلال المطلق، وإن كان ولا بد من العمل بالحديث فالأمر فيه صعب، والخطأ أقرب من الصّواب لغير المتأهل، وهم أكثر الموجودين اليوم، وإني بعد تفتيشي وبحثي بالدقة في الحجاز والشّام ومصر والمغرب، لم أر أحدًا أجوز له العمل بالحديث مطلقًا على حسب علمه هو وبحثه وتمييزه بين الباطل والصَّحيح والناسخ والمنسوخ من غير تقليدٍ لأحد، إذ أكثر من رأيتُ له الكمال في باب أراه ناقصًا من جهة أُخرى لا يمكنه الرُّجوع إلى الدَّليل بدونها، مثال ذلك: أني رأيت الشَّيخ محمد بخيت المُطيعي الحنفي[1] في مصر له تبحُّرٌ في الأُصول والمعقول، واقتدار على البحث ومشاركة حسنة، ولكن يعوزه العلم بالجرح والتعديل ونتائجه، ورأيتُ بدمشق جمال الدين القاسمي له تبحر في الأصول والمُصطلح، واقتدارٌ على نتائج الجرح

(١) ولد سنة ١٢٧١ وتوفي سنة ١٣٥٤. ترجمته في قدم الرسوخ (ص٥٠٠-٥٠٥)، الأعلام الشرقية (٢/٤٩٧-٤٩٩)، الأعلام للزركلي (٦/٥٠).

والتعديل، ولكن يعوزه التوسط والاعتدال والفراغ، ورد الوجهة إلى باب واحد وعلم فذ، مع الورع والتثبت.

وأقول على سبيل الإنصاف والتنزل من غير محاباة لكم، إني على حسب ما يظهر لي من ترجمتكم وسنيّ أحوالكم وآثاركم أنكم أقرب النّاس ممن عرفناه أو سمعنا باسمه اليوم إلى سلوك مسلك الدليل، واستخراج الفرع من الأصل، واستنباط الجزئية من الكلية على الوجه المرعي الأصولي، وفي الهند سمعنا بوجود فحول لكن نرى لهم مُغالات.

ثُمَّ إنَّ مذهبي في تقليل عدد أهل هذا السلك ليس لاعتقادي أنَّ عقول من سبق كانت أرقى من عقول اليوم من كل وجه، ولكن أرى أن آلة الاجتهاد اليوم أَسهل من قبل، والكتب متوفرة، والسنة مجموعة، بحيث إذا كان الرجل يحاول فيما قبل البلوغ إلى درجة الاجتهاد الكسبي في مائة سنة، فالذكيُّ اليوم يدركها في عشرة مثلاً، وإنما قل أهل الاجتهاد اليوم الجبن والهلع وحب الرياسة ومحافظة المقلد على ناموسه بين أقرانه ووظيفته بين أترابه، وإلا لو توجه النّاس اليوم إلى الاجتهاد توجههم جميعًا إلى ما يزاولونه من العلوم الآلية لأدركوها كما يدركونها.

نعم لا يعذر أحد كيف ما كان قصوره عن الاهتمام بالعمل بالسنة، وتقديم النص على القياس والرأي المجرد بسؤال أهل الذكر إن وجدهم، وإن لم يجد المتأهل للبحث بنفسه فعليه بالرجوع إلى الكتب المصنفة في هذا الباب من الأئمة المعتبرين الذين نقحوا المسائل بأدلتها، فلم يبق بعد إيضاحاتهم إلَّا العمل، حتى للعامي ولا إشكال، كـ«تلخيص الحبير» لابن حجر، و«نيل الأوطار»، و«سبل السلام» وغيرها من كتب حفاظ الأثر على

ما بسطناه في «البحر»، أمّا هذا الجمود الذي نراه من فقهاء الوقت فهو تقليدٌ أعمى لا يرضاه أحدٌ من المجتهدين لأحد من أتباعهم، وعسى أن تحصل نهضة اليوم من أعيان المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لنشر هذه الطَّريقة بين أفراد النّاس وطلبة العلوم، فإذا شبَّ الشَّاب عليها شاخ وهو أثري، وهكذا فلا يمضي نصف دور إلَّا والأمة في ترقي وعز من أمرها، ألهم الله رؤساءها الرشد.

ومع هذا فلا أنكر أن الشَّيخ النبهاني له مبالغات في طريقه ومجموعاته، أو قل زلات، ولكنها ربما تغتفر في جنب غيرها من الحسنات، هذا رأيي فيه، ورجائي أن تجتمع كلمتنا الثلاثة على مشرب واحد، فندعوا إلى طريقة هي الكتاب والسنة، ونبذ ما سواها مع إتقان كيفية الدَّعوة وتسهيلها، سهل الله لنا كل أمنية خيرية آمين.

فتحصل من هذا المبحث الطويل أنَّ إطلاقي عذبة اللِّسان شتمًا في عدوِّ النبهاني ليس المقصود به النبهاني نفسه، بل أغضبني من الكتاب كله تحامل صاحبه فيه، ولا أظنه إلا النعساني أو رشيد رضا قطعًا على كبار علماء الإسلام الذين سميناهم قبل، وإفراطه في مدح المعاصرين له من الزنادقة الذين هم من الطرف الثالث من تقسيمكم العجيب لحال علماء الوقت، وأي مسلم يرضيه ذلك أو يحبه.

ثُمَّ موجب مبالغتي في مدح النبهاني مقابلة المبالغة بالمبالغة نكاية وتشفيًا، وإني وإياك والنبهاني في اتفاق على أنَّ غير المتأهل كشبان المدارس الذين يقولون: لا نعمل إلا بالكتاب والسنة، ثم يقبحون كافة العلوم الآلية من أصولٍ وبيانٍ بل نحو، ويقولون: ما أخرنا إلَّا توقفنا في

فهم الكتاب والسُّنّة على هذه العلوم، وأي حاجة بنا إلى التَّقَيُّدِ بإجماعات السَّلف وغيرهم، وأمثال هذا الهبال هم الذين يعني الشَّيخ النبهاني بقطع المادة عليهم، وتحريم الخوض في الكتاب والسنة على طريقتهم، أما أهل النور والمُشاركة أمثالكم فلا يطبق ذلك عليه إلا جامدٌ أعمى، لا يفرق بين الظلمة والنور، والنبهاني وإن أعطت عبارته سدّ الباب جملة لكن المراد قد يدفع الإيراد، ونحن في هذا الوقت أحوج إلى الاتفاق من الاختلاف، أنشدك الله هل كان محمد عبده يعلم شيئًا من علم الحديث والاصطلاح والجرح والتعديل، وما هو من أعظم بل أعظم آلات الإشراف على الدلائل، وميز الطيب من الخبيث من أقوال الفقهاء، فهل كان لا يجب عليك وعلى غيرنا الانتصاب للردِّ على سلوكه هذا المسلك من غير آلة، وتلميذه رشيد رضا أعلم منه فيما يظهر بشيء من آلة الدليل، لإكبابه فيما يظهر على «نيل الأوطار»، وإن كان كلامه أظلم من سواد الليل، وأبعد عن الصواب بُعدي الآن عن السماوات وما فيهن، مع أني لا أنقص محمد عبده من كل جهة جريًا على طريقتي السَّابقة من عدم الحب مرة واحدة، ولا البغض مرة واحدة، فمحمد عبده وإن كان من المفرطين الزائغين المُتساهلين، ولكن لسانه إذا أراد أن يذبَّ عن الإسلام ويبرهن على كلياته فاستمع لما يوحى، هذه «رسالته في التوحيد» و«الرد على هانتوا» و«الإسلام والنصرانية»، من في علماء القرويين والزيتونة والجامع الأزهر من يكتب مثلها؟ ومن أعجب ما يتعلق به وبحاله ما رأيته لأخصّ تلاميذه الساحر بالألباب مصطفى لطفي المنفلوطي في «نظراته» تحت عنوان: «يوم الحساب»، من مقالة خيالية ذكر فيها اجتماعه بقاسم أمين ومحمد عبده، وسمع الثاني يعيب على الأول تحريره للمرأة قبل التهذيب والتأدب بأدب

الشَّريعة، فأفسد حيث قصد الإصلاح، فأجابه قاسم أمين: «أنا أردت أن أنصح المرأة فأفسدتها، وأنت قصدت أن تحيي الإسلام فقتلته، إنك فاجأت المسلمين بما لا يفهمون من المبادئ الدينية الصَّحيحة والأغراض الشَّريفة، فأرادوا غير ما أردت، وفهموا غير ما فهمت، فأصبحوا ملحدين بعد أن كانوا مخرفين، وأنت تعلم أن دينًا خرافيًا خيرٌ من لا دين، أولت لهم بعض آيات الكتاب فاتخذوا التأويل قاعدة، حتى أولو المَلك والشَّيطان والجنة والنار، وبينت لهم حكم العبادات وأسرارها، وسفهت لهم رأيهم في الأخذ بقشورها دون لبابها فتركوها، وقلت لهم: إن المولى إله باطل، والله إله حق، فأنكروا الألوهية حقها وباطلها». اهـ

مع أنَّ المنفلوطي المذكور من أخصّ خواص عبده وناصريه، ولكنه أنصف وما تعسَّف، ومحمد رشيد رضا ألقن من شيخه مائة ألف مرة، فإنَّ شيخه احتشم في مسائل صرّح بها تلميذه أو صديقه المذكور من غير حشمة، وهذه عادة المؤسس إنما يلقي بَدر الكليات، والتلامذة الذين يتجاهرون بما لم يقدر على بثه الأول، لأن الثاني يجد النّاس قد تعودوا بعض أصول مداركهم، فلا يفاجئوا بذلك دفعة واحدة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وقد قلت لأحد أعوان رشيد رضا بمصر: إنَّ أستاذك يزعم أنه يُصلح الإسلام ويجمع متفرق كلمة أهله، وهو يعلم أنَّ نصف أهل الإسلام أو أكثر يعتنقون طُرق التصوف بتعاليمها وآدابها وقواعدها، فهذه الطريقة التي ينتحلها من الاستهانة برجال الطريق وتمسخُره بالكرامات إلى درجة تأويل كل ما هو من بابها ينافي مبدأه، فإنه ينفر رجال التصوف من مجلته الذين هم أكبر عامل يعمل في جمع كلمة المُسلمين، لو استعان بهم لما لهم من

النفوذ والسَّيطرة على العقول، هذا لو كان يتكلم بحق، فكيف وهو ينصر الباطل ويتغاضى عن الحق، ويذكر أقوامًا بالسوء، لو اغتسل بجميع ماء النيل ما كان أهلًا لذكرهم على فمه، فما هذا ودعواه؟ فما أجابني بجواب يعتمد عليه، بل بلغه ذلك فكان سببًا للوحشة بيني وبينه، حتى إن الشَّيخ محمد بخيت المطيعي كان وقتها بينه وبينه مجادلة في مسألة الجمعة، فألف رسالة في الرد عليه سطرها بكثير من النقل عني، يقول[1]: «قال الحافظ عبد الحي الكتاني»، فما راق ذلك في ذهن رشيد رضا ولا أعجبه، وقال في مجلته[2]: «إني لا أعرف من الحديث شيئًا»، فما استخفني ولا هزّني، ثُمَّ نعر نعراتٍ وصاح صيحات بعد ظهور تقريظي على «شواهد الحق»، حتى كتب لي بعض قراء مجلته من محدثي الهند أني سأرى من أنصار شيخ الإسلام ومحبيه ما يسوؤني ويسوء النبهاني، فأجبته بأني وإياهم على طرفي نقيض إلَّا إذا سلكنا مسلك الاعتدال، فهم يؤلهون ابن تيمية في قالب حبه نصرة للإسلام على زعمِهِمْ، وأنا أحبه وأجله ولا أقلده تقليدًا أعمى، عملًا بالمنهج الذي بينته وأوضحته، وقد قلتُ في بعض كتاباتي في الرد عليهم عجبًا إليه، فما استفادوا من كتب ابن تيمية إلَّا الطعن في الأئمة وتحقير المصطفى ﷺ، والاستهانة بمقداره العظيم عند الله ورسوله، وأنا يعجبني أثري صوفي عصري، ولذلك قلت لكم غير مرة: لا أغرب من رجل ينطبق عليه هذه الصّفات الثلاثة، فالناس إما أثري صرف لا يفقه اكتشافات اليوم، ولا يهتبل بها كبعض آل بيت الكتاني وأكثر آل باعلوي في حضرموت فضلاء المسلمين اليوم ولا إشكال.

---

(١) من ذلك رسائله في أحكام قراءة الفونوغراف، انظر (ص٣٧).

(٢) مجلة المنار (٩/٦٩٩).

وإما عصري صرف لا يروق في عينه علوم الإسلام أصلًا، وجعل طول عمره الإعجاب من علوم اليوم، كأنها جاءت على خلاف نمط العقول وناموس الكون.

وإما صوفي لا يروقه الأثر، ويرى أنَّ ألسنة الخلق أقلام الحق، وأن الشَّريعة على قسمين؛ رخصة وعزيمة.

والكامل عندي من أخذ بهذه الأطراف، ودعا الله على بصيرة من أمره ونور من ربه، فلا يعرض عن مخترعات العصر، لأنه إن أنكرها أنكر المحسوسات، وَحَرم نفسه من ذواق لذة العلم الجديد، الذي هو من أعظم الدلائل على قدرة الله، وأن خلقه للأشياء في ازدياد، فإن أخذها من باب النور وطبقها على ما يعلمه من تعاليم الإسلام وقواعده ونصوصه كما فعلنا في مسألة سكة الحديد[1] كان الزبد بالعسل، ولا يعرض عن التصوف، لأنه يراه روح الأعمال والمقصود من العبد، وبه يتجلى عنه الأكدار والهموم والأغيار، والمتمسك به كأنه في الجنة، لا ترى منه من سقطات الدهر، وعدم استكباره للأخطار، ولا يعرض عن الأثر، إذ هو أول الإسلام وآخره، ولا يصفوا للمؤمن شراب إلا بكؤوسه، وهل ترك الإنسان في الدين حجة إذا قال: قلدت النبي محمداً ﷺ، فالأثر شريعة محمد الغراء

---

(1) في كتابه «اليواقيت الثمينة في الأحاديث القاضية بظهور سكة الحديد ووصولها إلى المدينة»، وقد طبع بالجزائر في حياة المصنف، وانظر لتمام التعريف به كتابنا «المعجم المعرف بمؤلفات الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني وما لحقها من أعمال».

الناصعة الغضة الطرية، التي لا يزيغ عنها إلا هالك، أو من لدعاء أهل النور سافك.

وما رأيت في عصرنا هذا من أعطى الأشياء حقها ولا جمع الأمور كما هي إلا أنت، فكتاباتك تنبئ عن تبصّر تام، وتروي عظيم ومجال فكر، وتثبت بالأثر والتصوف وعلوم الوقت على وجه لا يضر بالآخر، زادكم الله رفعة وجمالًا وكمالًا وإكمالًا.

وممن كان على هذا النمط أيضًا شقيقنا الشَّيخ أبو الفيض قدس سره، ما رأيت أعجب من حاله، فكان في حفظ السنة والآثار كابن تيمية، وفي التصوف كالحاتمي وأضرابه، وزاد بالاستغراق في المحمدية ودوام الهيام في الأحمدية مع بَقْرِ مشكلات الكتاب والسنة وفهمهما على مقتضى استغراقه ودوام هيامه بما أصبحت به تلك المشكلات واضحات، وفي علوم الوقت كأكبر واحد في الوقت، يستعين بآلة الأولين على فهم قواعد الثالث، ويشرح لمخترعات الثالث جزئيات الكل، فمزج الشريعة بالحقيقة، والفلسفة بالإسلام على أبهج طريقة، مع رمي التقليد الأعمى والتعصب الذميم.

فاللهم آجر الإسلام في مصائبه، وأبقاكم في هذا المركز العظيم تضيؤون على الموجودات، تقيمون له المعوجات، وتنصرون دين آبائكم القويم بحرية الفكر وسلامة العقل من العقاب الحاجب، آمين بالأمين ﷺ وآله.

الخطاب التاسع: المتعلق بكتاب «صحائف العامل»[1] ما نوهت به سيادتكم من إفادة أنَّ الصّحائف مجموع من اختيارات الأستاذ السنوسي هو كذلك، ولقد أصبتم المرمى وفقهتم الأمر على حقيقته، فما اختلج في صدوركم منه فإني أيضًا كنت بالأشواق إلى الكتاب المذكور، وحين رأيته علمت أنه متناقض الأطراف، ليس بجار على مبدإ واحد من تقديم الأثر على الرأي، فطابقت شكايتكم شكايتي منه، وليس بعجيب ذلك أو أكثر منه على نباهة مثلكم ممن جاب البلاد وعرف أهلها، خيرها وشرها، وموقفكم في مبادرة الشَّيخ فالح بالاستفسار عن بعض غلطاته في محله، وأصبت به صوب الصَّواب، فإنَّ الرجل على ما علمت من حاله بدوي صرف، لم يأخذ من أدب الحضرية شيئًا في خلقته وخلقه وعلمه وهديه، وقد أخبرني خواصه أنَّ بين يديه دائمًا سلاحًا، أمَّا الذي رأيت أنا فعصى بجنبه، قالوا إنه يضرب بها من لا يعجبه سؤاله أو لا يوافقه، وأما الذي فهمت منه أنه اتخذها ليتكأ عليها لأنَّ برجله داء، وقد رأيته فعلًا أتكأ عليها لما قام لاستقبالي حين زرته بالمدينة، وقد قرأت عليه مُسلسلات ثبته المطبوع[2]،

---

(١) نسخة العلامة المكي بن عزوز الخطية من كتاب «الصحائف» آلت إلى مكتبة المصنف ضمن مجموع، وهو فيه تحت رقم (١١٠٥ك)، وهو أوله، وقد تمَّ نسخه سنة ١٣٢٢ في ٢٨ رمضان منها، وعلى النسخة طرر وتوقيفات الشَّيخ المكي بن عزوز.

(٢) «حسن الوفا لإخوان الصفا» طبع أول مرة بالإسكندرية سنة ١٣٢٣ في شركة المكارم، ثم طبع بتعليق العلامة محمد ياسين الفاداني المكي رحمه الله بدار البشائر الإسلامية.

وذاكرته في بعض أوهامه الفادحة والغلطات السَّاقطة بطرف خفي، فأبى الرجوع إلى الإنصاف حتى في الضَّروريات، منها: جعله أحمد بن عبد العزيز الهلالي الشَّهير عبد العزيز بن أحمد، ومنها: جعله الشَّيخ المعمر عبد الوهاب التازي شريفًا حسنيًا، والحالُ أنه ليس كذلك قطعًا، ومنها: نسبة كتاب لمولاي العربي الدرقاوي نحن أعرف النَّاس به، ولا نعلمه له، وعندنا أبناؤه وأقاربه لا يعلمون له ذلك، ومنها أغلاطٌ متكاثرة أفردتها في رسالة خصوصية وجهت بها الخطاب لبعض أصحابنا الهنديين من تلاميذه الأخصاء[1]، ولا يعجبني منه إلَّا تجاهره بسنن السَّنوسيين المحمدية من قبض ونحوه، وعلو سنده بالرواية عن أستاذه، وعن المعمر علي بن عبد الحق القُوصي المذكور في آخر «البحر» في مبحث المجتهدين آخر تلاميذ الأمير الكبير موتًا على الإطلاق، مع عدم اهتباله بعلوّه عنه، ولا ذكر في ثبته[2] أنّ له الرواية عنه بالإجازة الخاصة العامة، وإنما استخرجت ذلك بالسُّؤال الخاص الشِّفاهي، ثُمَّ كتابةً من فاس إلى المدينة زيادة في التثبت، ثُمَّ عنده نوع إتقان لبعض البعض من معلوماته الدينية، وما أعجبني بل أغضبني منه كثيرًا ما أخبرنا به الثقات بالمدينة المنورة، رزقنا الله

---

(١) ذكرها في كتابه فهرس الفهارس (٢/٦٨٤) فقال: «نقد فهرس شيخنا الشَّيخ فالح الظاهري المدني: المسمى «حسن الوفا»، ألفته باسم صاحبنا الشهاب أحمد أبي الخير العطار الهندي، ووجهته إليه وهو كراسة لطيفة» وانظر لتمام التعريف به كتابنا «المعجم المعرف بمؤلفات الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني وما لحقها من أعمال».

(٢) الذي في ثبته المطبوع أنه من شيوخ شيخه عبد الرحيم الزموري البرقي، انظر (ص٥٩) ط الأولى.

الاجتماع بكم فيها على أحسن الأحوال وأسناها، أنّ له سنوات عديدة ما وصل فيها إلى القبر المعظم، ولا المسجد النبوي المكرم، فما هذا والتصوف والأثر، ولكن لا تنس مذهبي السابق في التوسط وتلاوة:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

على فرد من أفاضل الأفراد والكمال المطلق إنما هو لله.

وكتابه هذا «صحائف العامل» كتابٌ حسنٌ في بابه، لولا عيبه الذي اتفقنا عليه، وتقعر في العبارة لا يصل إلى فهم مراده منه إلا مَن ومَن، وعلته البعد عن العصريات، وإلَّا لكان من المنفرين عن التعقيد في العبارات، الداعين إلى بسطها وإيضاح المراد منها بسهولة، ولكن هو لم يترك خليلًا بالمرة حتى يتجنب طريقته في التعقيد أيضًا الذي كان عثرة وأي عثرة في طريق إصلاح التعليم وظهور النتيجة العامة التامة من علم الفقه ودراسته فلو أنَّ العالم الذي يقضي عشر سنوات عندنا في فاس يختم سلكة واحدة من «مختصر خليل» يقضيها في حفظ الكتب العشرة مع التفقه فيها بعد إتقان آلته لكفاه ذلك ونبغ به ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ولذلك أفضّل «الدرر البهية» للقاضي الشوكاني على الصحائف بوجوه: أولها بسط العبارة، ثانيها التمشي على مبدء واحد، وهو الدوران مع الدليل حيث دار، ثالثها حرية الفكر وعدم التقيد باختيار مختار من أول الكتاب إلى آخره، وزاد هذا الكتاب جمالًا وحلاه إقبالًا وكمالًا شرحه[1]

---

(١) «الروضة الندية في شرح الدرر البهية».

لصديق حسن خان[1]، فلله دره فيه، وما أعجبني شيءٌ من مؤلفات صديق حسن بعد التفسير و«الحطة»[2] إلَّا هذا الشرح، وإن كان تصرفه فيه قليل، بل معدوم على عادته في تصانيفه، ولكن نقله مديد واطلاعه جليل العائدة، عميم الفائدة، أثابه الله وأحسن عزاء الأمة فيه وفي مثله.

وما استدركته سيادتكم من المَسائل التي تعصَّب فيها للمذهب كنجاسة بول الرضيع[3] ونحوه، فالأمر فيه كما تفضَّلتم، وكيف يسوغ للمُسلم فيها أن يخالف الأحاديث المتكاثرة في الأمر بنضحه فقط، وناهيك منها بحديث أبي السمح خادم رسول الله ﷺ[4] عند أبي داود وابن ماجه والنسائي والبزار وابن خزيمة، وحديث علي[5] عند أحمد والترمذي وحسَّنه، وحديث لبابة بنت الحارث[6] عند أحمد وأبي داود وابن ماجه

---

(١) ولد سنة ١٢٤٨ وتوفي سنة ١٣٠٧. ترجمته في فهرس الفهارس (٢/١٠٥٥-١٠٥٨)، و نزهة الخواطر (٨/١٢٤٦-١٢٥٠).

(٢) انظر تعريف المصنف به في كتابه «فهرس الفهارس» (١/٣٦٢-٣٦٣).

(٣) انظر هذا المبحث في: المدونة (١/٢٧)، التبصرة للخمي (١/١١٦-١١٧)، عيون الأدلة لابن القصار (٢/٩٩١- ٩٩٦)، التوضيح للشيخ خليل (١/٣١).

(٤) سنن أبي داود، كتاب: الطهارة، باب: بول الصبي يصيب الثوب (١/٢٧٩-٢٨٠ رقم ٣٧٦ ط الشَّيخ شعيب الأرناؤوط)، سنن ابن ماجه، أبواب الطهارة وسننها، باب ما جاء في بول الصبي الذي لم يطعم (١/٣٣٠ رقم ٥٢٦ ط الشَّيخ شعيب الأرناؤط)، النسائي، كتاب: الطهارة، باب: بول الجارية (١/١٥٨ رقم ٣٠٤)، وصحيح ابن خزيمة، كتاب الوضوء، باب غسل بول الصبي من الثوب (١/١٤٣ رقم ٢٨٣) ولم أقف عليه في المطبوع من مسند البزار.

(٥) مسند الإمام أحمد (٢/٧ رقم ٥٦٣)، سنن الترمذي، باب ما ذكر في نضح بول الغلام الرضيع (١/٥٩٩-٦٠٠) رقم ٦١٠ ط د بشار عواد.

(٦) مسند الإمام أحمد (٤٤/٤٤٥-٤٤٦) رقم ٢٦٨٧٥، سنن أبي داود، كتاب =

وابن خزيمة وابن حبان والطَّبراني، وحديث أم قيس بنت محصن[1] عند الشَّيخين وغيرهما، وحديث عائشة[2] في الصَّحيح وغيره، وناهيك بذلك، فرد هذه الآثار والأخبار التي هي على مذهب البعض متواترة حتى من جهة العدد، فضلًا عن كون بعضها في الصحيحين تقدم بين يدي الله ورسوله.

وممَّا وقع لي في هذه المسألة أني كنت عام أوَّل أقرئ الموطأ في القرويين فوصلت إلى حديث المسألة فقررته وصوبت القائل به، وزيفتُ مذهب المخالف على عادتي في دروسي الحديثية، ولو في القرويين من غير حشمة، فبلغ ذلك إلى رجل كان وقتها بفاس يقال له شعيب الدكالي[3] الذي كان مع عون الرفيق[4] فرعون مكة عفا الله عنا وعن الجميع، وكان المخزن صدَّره وقدَّمه نكاية في الكتانيين بعد المحنة لانتحاله الحديث زعمًا

= الطهارة، باب بول الصبي يصيب الثوب (١/٢٧٩) رقم ٣٧٥ ط الشَّيخ شعيب الأرناؤوط، سنن ابن ماجه، أبواب الطهارة وسننها، باب ما جاء في بول الصبي الذي لم يطعم (١/٣٢٨) رقم ٥٢٢ ط الشَّيخ شعيب الأرناؤوط، صحيح ابن خزيمة، كتاب الوضوء، باب غسل بول الصبي من الثوب (١/١٤٣ رقم ٢٨٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب بول الصبيان (١/٥٤ رقم ٢٢٣)، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله (١/٢٣٨ رقم ٢٨٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب بول الصبيان (١/٥٤ رقم ٢٢٢).

(٣) ولد سنة ١٢٩٥ وتوفي سنة ١٣٥٧. ترجمته في رياض الجنة (٢/١٤١-١٤٤)، ومعجم المطبوعات المغربية (ص١١٧)، وقد أفردت ترجمته بعدة مؤلفات.

(٤) ولد سنة ١٢٥٦ وتوفي سنة ١٣٢٣. ترجمته في الأعلام للزركلي (٥/٩٧)، وفي مرآة الحرمين قصص عن ظلمه وتجبره، انظر (١/٣٦٦)، و(٢/٢٧٥-٢٩٥).

منه ومن أنصاره، وإلَّا فهو فيه أفرغ من فؤاد أم موسى، كما بينت عواره وضلاله وكذبه في مؤلف لي مخصوص[1] من أشهى شيء عندي أن أتحفكم بنسخة منه بعد هذا، فلمَّا وصل إلى حديث المسألة في الموطأ[2] قال: «هذا من مروي مالك لا من قوله، أو مما رواه مالك ولم يذهب إليه»، فلقيته بعد ذلك وأوضحتُ له المنهج الذي أوضحته في «البحر» بنصوص أئمة المذهب من تقديم موطإ الإمام عند الاختلاف على «المدونة»، فضلًا عما دونها، وقلت له: كيف يجوز على مثل مالك في دينه وورعه وهديه أن يفتي الأمة ويدون في كتاب جعله حجة فيما بينه وبين الله، ما لا يقول به ولا يتمذهب به، فرجع إليَّ على عادته مع كل جليس، وهذا الرجل هو اليوم قاضي الجماعة بمراكش الحمراء، أُخْرِج إليها بعد أن كان أسمى المناصب لا تروقه ولا يعشقه، لأنه يرى أن أمره أجل من ذلك وأعظم.

وأمَّا ما ذكرتموه عن الصَّحائف في مسألة الفاتحة في كل ركعة لغير مؤتم فهو ممَّا كنت أنتقده عليه أيضًا ولا يعجبني من حاله، ومما كان شقيقنا الشَّيخ أبو الفيض يوصي عليه أصحابه جهارًا أن لا يعتدوا بالركعة التي لم يدركوا مع الإمام قراءة الفاتحة منها، لأنه كان يرى أنَّ الركعة لا تنعقد بدون فاتحة لأيِّ مُصلٍّ بالغ وغيره، وكل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب

---

(١) هو كتابه «الأجوبة النبعة عن الأسئلة الأربعة» ولم يسم المؤلف فيه المردود عليه باسمه، وقد شرعت في العناية به وتحقيقه عن أصلين خطيين يسر الله إكماله وطباعته قريبا بمنه وكرمه.

(٢) كتاب الوضوء، باب ما جاء في بول الصبي (١/١٤٧) ط المجلس العلمي الأعلى.

فهي خداج[١] أي: ناقصة، وناهيك بحديث المسيء صلاته[٢]، وقوله عليه السَّلام له بعد تعليمه قراءة الفاتحة في كل ركعة: «وافعل ذلك في الصَّلاة كلها»، وإمام الزاوية عندنا يسكت سكتات سبع في الفاتحة حتى يتمكن المأموم في كل سكتة من قراءة آية ليجمع بين الإنصات للقرآن وقراءة الفاتحة، ونعيب على الأئمة ترك ذلك، وهذه المسألة إحدى اختيارات تقي الدين ابن السُّبكي الزائدة على مذهبه، كما فصَّله ولده في «الطبقات»[٣] حتى أفردها برسالة[٤] لخَّصها في «نيل الأوطار»[٥] راجعوه فيها.

وأمَّا مسألة قراءة الفاتحة حتى في صلاة الجنازة فبعد كون الشَّيخ فالح أعرض عن الأثر أعرض أيضًا عن نصوص متأخري الفقهاء هذا الشَّيخ زروق[٦] صرَّح باستحباب قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة مراعاة لخلاف

---

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه في ذلك، وهو عند الإمام مالك في كتاب الصلاة، الأول القراءة خلف الإمام (١/١٦١٦٢ رقم ٢٢٦) ط المجلس العلمي الأعلى.

(٢) حديث المسيء صلاته في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها (١/١٥٢ رقم ٧٥٧)، وصحيح مسلم كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها (١/٢٩٧-٢٩٨ رقم ٣٩٧).

(٣) (١٠/٢٢٨).

(٤) هي مضمنة ضمن فتاويه.

(٥) (٢/٢٥٤-٢٥٥).

(٦) (١/٢٨١).

الشَّافعي، ونقله حتى الشَّيخ عبد الباقي في الجنائز[١] وغيره، ومع هذا فلو لم يثبت في صلاة الجنازة النص الخاص، وهو حديث ابن عباس في البخاري[٢] وغيره أنه صلى وقرأها وقال: إنها من السنة، لكان حديث: «كلّ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب» الخ صريحًا بعمومه، وصلاة الجنازة وإن كان أهم مقاصدها الدُّعاء فهي صلاة شرعية، ولو كانت مجرد الدعاء، فأفضل ما تصدر به الدَّعوات الفاتحة، وخصوصًا على حديث القسمة، وأنَّ نصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، وأما مسألة الصَّلاة على الغائب فقد بسطتُ فيها القول في حواشينا على صحيح البخاري[٣] التي التزمتُ فيها ألا أذكر ما تعرّض له أحد من الشُّروح والحواشي بما لا مزيد عليه، ونقلتُ كلام ابن العربي في «العارضة»[٤] وقوله جوابًا عن إدعاء الخصوصية في حديث النجاشي: «ما يعم محمدًا يعمنا، وما يخصه يخصُّنا»، وقد استفسرتُ كلام الزرقاني في «شرح المواهب»[٥] استفسارًا أسفر عن مقابلة خشونته لابن العربي بالخشونة، والبادي بالشرِّ أظلم.

وقد أحلتم على مسائل كثيرة وقعت للشَّيخ فالح من هذا القبيل، أعرفها إجمالًا لا تفصيلًا الآن؛ لضياع نُسختي التامة من الصَّحائف في جملة ما ضاع لنا أيام المحنة في الله ولله.

---

(١) (٢/٩٠) مع حاشية البناني عليه.

(٢) كتاب الجنائز، باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة (٢/٨٩ رقم ١٣٣٥).

(٣) نور الساري على صحيح الإمام البخاري (ق٢٢/٢٣).

(٤) (٤/٢٥٩-٢٦٠).

(٥) (٨/٨٦-٨٧).

وأمّا مسألة الزيادة على الأربع في التزويج وما نسبه للقاضي الشّوكاني فاعلم أنّ هذه المسألة شهيرة الذكر، مستفيضة الأمر، ولأصحاب الشّهوات البهيمية فيها أغراض، ومُزّقت بها عندنا أعراض، حتى أنه نسب لبعض قضاة المغرب في الوقت الحاضر نصرة مذهب الظاهرية[1] فيها بمؤلف في نحو الكراسين على ما حدثني به من رآه ألّفه نصرة لمن ولّاه، في مباحثة كانت جرت فيها في مجلس السُّلطان حضره شقيقنا الشّيخ أبو الفيض وناظرهم فيها، ونافح عن الإجماع، وأكّد براءة الشّوكاني وغيره من الأكابر من الثلم بها، أمّا أنا فأقول: إنّ الشّوكاني كلامه في كتبه متناقضٌ في هذه المسألة، ولعلّ آخر ما ذهب إليه ما في «السيل الجرار»[2] و«نيل الأوطار»[3] والتفسير[4]، أما ما له في «وبل الغمام حاشية لشفاء الأوام»[5] فهو الذي وقف عليه الشّيخ فالح فيما أظن، وإن شئت نص عبارته فهي طويلة الذيل مسهبة في الاستدلال، قال في آخرها: وابن عباس إن صحَّ عنه في الآية أنه قصر الرجال على أربع فهو فرد من أفراد الأمة، وأما القعقعة بدعوى الإجماع من المصنف وأمثاله فما أهونها وأيسر خطبها عند من لم تفزعه هذه الجلبة، وكيف يصحُّ إجماع خالفته الظاهرية وابن الصباغ والعمراني والقاسم بن إبراهيم نجم آل الرسول، وجماعة من الشيعة، وثلة

---

(١) صرح ابن حزم في «المحلى» بحرمة الزيادة على الأربع، وذكر بأنه لم يخالف في ذلك أحد من أهل الإسلام إلا قوم من الروافض لا يصح لهم عقد الإسلام فانظره (٩/٤٤١).

(٢) (١/٣٥٥).

(٣) (٦/١٧٨-١٨٠).

(٤) (١/٤٨٧-٤٨٨).

(٥) (٢/١٠-١٤).

من محققي المتأخرين، وخالفه أيضًا القرآن الكريم كما بيناه، وخالفه فعل الرسول ﷺ كما صحَّ ذلك تواترًا من جمعه بين تسع أو أكثر في بعض الأوقات، وما آتاكم الرسول فخذوه، ودعوى الخصوصية مفتقرة إلى دليل، والبراءة الأصلية مُستصحبة لا ينقل عنها إلَّا ناقل صحيح تنقطع عنده المعاذير، ثم ذكر حديث غيلان وعلته، وزاد مثله لا ينهض للنقل من الدليل القرآني والفعل المصطفوي، الذي مات عليه والبراءة الأصلية إلخ، ثُمَّ آخر ما أسهب به وعليه انفصل تلميذ تلميذه صديق حسن في «الروضة الندية في شرح الدرر البهية»[1]، وقال عقبه: واندفع بهذا ما في «المسوى»[2]. اهـ

ومال إلى هذا أيضًا صديق حسن في كتابه «ظفر اللاضي فيما يجب على القاضي»[3]، وقد أطال وأطاب عصريه العلامة نادرة المتأخرين محمد عبد الحي اللَّكنوي الأنصاري في «تذكرة الراشد»[4] في رد كلامهما والجواب عن شبههما حرفًا حرفًا، والأنسب بجلالة الشَّوكاني أن يكون رجع إلى مذهب الجمهور، ويكون آخر مذاهبه ما في «الدرر»[5]، وهو قوله عطفًا على ما يحرم: «وما زاد على العدد المباح للحر والعبد» اهـ. وكلامه في «السيل الجرار»[6] من جيد البحث وحر النقد، نقله صاحب «الروضة

---

(١) (٢/٢٤-٣١).

(٢) (٢/١١٢).

(٣) (ص١٤١-١٤٢).

(٤) (ص٢٤٩- ٢٥٤).

(٥) (ص١٦٨) وانظر الدراري المضية (٢/٥٩-٦٠).

(٦) (١/٣٥٥).

الندية»[1] أيضًا، ولكن عقبه بكلامه في حاشية الشفا الذي نقلناه، والله الموفق، فالدرك على الشَّيخ فالح رحمه الله من جهة اقتصاره في النسبة للشوكاني على ما في كتابه الغريب، وإعراضه عما يوافق الجمهور من كلامه في كتبه المشهورة المتداولة كالنيل والتفسير ونحوه، والكمال لله.

ومثل هذه المسألة إذا شاعت عن الشَّوكاني تكون ثلمة في قدره الذي طال ما بنينا منه صروحًا ضخمة يهرع إليها من يحذر النّاس من قبول كلامه، وعلى فرض أن ماله هو في حاشية الشفا، فكفى المرء نبلًا أن تعد معايبه، على أنه قد اعتذر عن نفسه آخر كلامه في حاشية الشفا قائلًا عقب تعليل حديث غيلان[2]: «ومن صحَّحَ لنا هذا الحديث على وجه تقوم به الحجة أو جاءنا بدليل في معناه، فجزاه الله خيرًا، فليس بين أحدٍ والحق عداوة، وعلى العالم أن يوفي الاجتهاد حقه، لا سيما في مقامات التحرير والتقرير كما نفعله في كثير من الأبحاث، وإذا حاك في صدره شيء فليكن تورُّعه في العمل لا في تقرير الصَّواب، فإياك أن تجافي التَّصريح بالحق الذي تبلغ إليه ملكتك بقيل وقال، الخ كلامه العذب المقبول الصَّالح، جعله كلية تنطبق على هذه الجزئية، والله أعلم.

وقد استطردت سيادتكم فحول الأمة أصحاب الدليل الذين يدورون مع الحق حيث دار، وعددتهم واحدًا واحدًا، وقد علمتُ فضل جميعه، وطالعت مؤلفاتهم العدة إلَّا المقبلي[3] صاحب «العلم الشامخ»، فإني لم

---

(١) (٢/٢٤-٣١).

(٢) (٢/١٤).

(٣) صالح بن مهدي بن علي المقبلي اليمني، ولد سنة ١٠٤٧ وتوفي سنة ١١٠٨. =

أعلم به إلى الآن، ولم أر كتابه هذا، وقد قلتم في الشَّوكاني: إنه من هو، وأطنبتم في ذكره بما هو جدير به، ولكنني أعلمك بغريبة، وهو أني قبل الرحلة والتزود من ذخائر مطابع الهند كنت شديد الإعجاب من «نيل الأوطار»، لا ينقضي استغرابي لمُعَدَّد تلك الطرق وكثرة المخرجين الذين يستوعب أسماءهم أثناء المحاورات واصطكاك الأنظار، وكل محلّ مخوف تختلف فيه أبكار الأفكار، حتى كَشَف الغيبُ أنَّ تلك الطُّرق والتجريح والتعديل وأسامي الصَّحابة ليس فيه بنت شفة إلَّا النسخ من «تلخيص الحبير» لسيد الحفاظ ابن حجر، فإنه أحسن في تلخيصه وتهذيبه، وترتيب سياقه الطويل المفيد، فليس للشَّوكاني في النيل من فائدة إلَّا الترجيح والاختيار، وتطبيق القواعد الأصولية، مع شجاعة القلب والقلم، كذلك كتابه «إرشاد الفحول» نسخه نسخًا من شرح ابن أمير الحاج على تحرير ابن الهمام، وبحر الزَّركشي، فتعداد الأقوال وتسمية أربابها منهما بالحرف، وزاد هو بالاختيارات والاجتهادات، فهو في هذا الباب أشجع المتأخرين على الإطلاق، إذا قايست بينه وبين السيد مرتضى الزبيدي وشيخه الشاه ولي الله الدهلوي صاحب «الحجة» تجد بينهم ما بين السماء والأرض، وليس عندي في الزبيدي ما ينقصه عن المتقدمين من أهل الحديث إلَّا تعصُّبه الذَّميم لمذهب الحنفية، مع أن صيته ونفوذ جاهه في حياته يمنع أن يكون منه ذلك تقية، إذا نظرت إلى «شرح الإحياء» ترى ربع العبادة يجر في شرحه الدين والحديث إلى أقوال مذهبه جرًا جعل مذهب الحنفية أصلًا

= ترجمته في البدر الطالع (ص٣٢٧-٣٣٢)، ونشر العرف بنبلاء اليمن بعد الألف (٢/٨٧٣-٨٨٠).

للحنيفية، أما في طرق الحديث وأساليبه وصناعته ومعرفته مضامنه والاطِّلاع على كتبه فلم يأت بعد السَّخاوي والأسيوطي أعلم منه بذلك ولا مشارك، وزاد هو بمعرفة أسرار القوم وذواق لذة علومهم، والاقتباس من أنوار معاصريه منهم، فجمع بين الحسنيين، وحاز للرياستين، ولكن الكمال لله.

وأراك لم تذكر من هذا الرَّعيل سَمِيِّ محمد عبد الحي اللكنوي، فكأنك لم تُخالط كتبه، إنها يا مولانا في الذِّروة العليا من التوسُّط في كلّ مذهب ونحلة، محشوة باللَّطائف أكثر من كتب أصحابنا الأثريين، لمزجه هو التصوف بالتاريخ بالمعقول بالمنقول، مع الميل إلى الدليل كيف دار غالبًا إلَّا الفلتة والفلتات، إذا قايست بينه وبين الكمال ابن الهمام في محدثي الحنفية تجد للكمال تعصُّبات خلت مؤلفات سميّنا منها.

وبالجملة فهو عندي معدوم النظير في الحنفية، بل باعُه في الحديث أكثر وأوفر من ولي الله الدهلوي، إلَّا أنَّ لكلام وليّ الله صولة وجولة لم يوتها غيره في متأخري الهند، نعم إن عبد الحي كان غير محبوب عند أثري الهند لمعارضته لصديق حسن، وكلاهما في منزلة، فماؤها واحد، ولكن زهرها ألوان، ولا تنس طريقتي من التوسط وعدم اعتبار الرجل بزلة تصدر منه، فإنما الكمال لله، على أني تتبعت مباحثاته التي جرت بينه وبين صديق حسن، فرأيت عبد الحي المُصيب الأول، و«تذكرة الراشد» أعدل شاهد وحجة، فلا تنس في المتأخرين عبد الحي، ولو طالعت شرح الوقاية له لكدت تنسى به «نيل الأوطار» استحليت القصة[1] التي وقعت لكم في

(١) ذكر المصنف في كتابه «الإفادات والإنشادات» قصة صاحبه العلامة ابن عزوز وأبياتًا له في تقبيل «نيل الأوطار» انظرها فيه (ص٢٥١-٢٥٢).

كتاب الشوكاني، وهمكم بتقبيله، فعرض لكم كلام الحافظ ابن حجر[1] على حديث عمر في تقبيل الحجر الأَسعد، أما أنا فالذي أعرف لهم على باب تقبيل الحجر الأسعد هو تصريحهم بأنه يؤخذ من الأمر بتقبيله جواز تقبيل كل معظم شرعًا، ومنه المصحف وكتب الحديث، فقد قيس على المصحف في التحلية بالذَّهب والفضَّة عند بعضهم بجامع آكدية التعظيم في كل، وقد رأيت الشَّمس السَّفاريني، قال في «شرح منظومة الآداب»[2]: «وجاز تقبيل المُصحف قدمه في الرعاية، وعنه يستحب، لأنَّ عكرمة بن أبي جهل كان يفعل ذلك، رواه جماعة منهم الدارمي[3] بإسناد صحيح، قال: كان يضعُ المصحف على وجهه ويقول: كتاب ربي كتاب ربي». اهـ

ولو كنت أنا مكانك لما توقَّفتُ في تقبيل الشَّوكاني. لأنها شهوة حضرت ولذة توفرت، والتقبيل بشهوة ولذة جائز في الغرض النفساني لو كانت للحائض أو غيرها، فكيف بكتب الشرع، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنَّ النَّاس إذا اعتادوا القيام لبعضهم أو لتوقيعات الإمام فقيامهم لكلام ربِّ الأنام أولى، لأنه أحرى بالتعظيم والاحترام». اهـ. نقله السفاريني أيضًا صحيفة ٣٥٧ من الجزء الأول من شرح منظومة الآداب، ونحوه رأيته للنووي في «التبيان»[4] فانظروه، فكذلك القول هنا، وقد رأيت

(١) فتح الباري (٣/٤٦٢-٤٦٣).

(٢) (١/٤١١).

(٣) كتاب فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن (ص٧٦٣) رقم ٣٦٧١ (ط السيد نبيل بن هاشم الغمري).

(٤) (ص١٢٣).

أهل المشرق يقرؤون كتاب السُّلطان من قيام إجلالًا له، فلو أمكن ذلك في الحديث لكان أحق:

وقوفًا على الأقدام في حق سَيِّدٍ
تُعَظِّمُهُ الأفلاكُ والجِنُّ والإِنْسُ[1]

الخطاب العاشر: ما ذكرتم من حال ابن أختكم الشَّيخ سيدي أحمد الأمين[2] نفع الله به وجمعنا به مرة ثانية في مدينة سيد الأرسال صار بالبال، أحكي لكم أمري مع هذا الفاضل أني لما خرجتُ من فاس في الوجهة الحجازية كنت أكرِّر الطَّلب على الله سبحانه أن يُيَسِّر لي رفيقًا أرافقه مدة ركوبي للبحر يكون على مشربي وفق مطلبي من العلم والتقى والفضل، مع العلم بأخبار العلماء وتراجمهم؛ مع سعة الرواية، فركبت من طنجة ولم أصادف هذه الأمنية، فمر بنا الوابور على جزيرة مالطة، فلما جلت بين أسواقها قلَّ وقوع بصري فيها على مسلم فزدت قنطًا، فبينا أنا كذلك إذ رأيت جماعة من المغاربة عليهم شعار التونسيين، فقصد بنا العربجي سائق العربة نحوهم بتنبيهي لهم إلى أن تعرَّفت بهم، فوجدت جماعة من أولاد ابن عزوز أهل التقى والمجد المؤصل، فسألتهم عنك وسألوني عن الأخ وابن الخال، وذكروا لي أنَّ لهم هنا مدة في تلك

---

(١) البيت من قصيدة لابن الصباغ الجذامي، وهي في ديوانه (ص١٢٠) ورواية الديوان الأملاك بدل الأفلاك.

(٢) ولد سنة ١٢٧٧ وتوفي سنة ١٣٥٤. ترجمته في فهرس الفهارس (١/١٢٦)، وعنوان الأريب (٢/١١٣٥-١١٤١)، وأفرد ترجمته وأنظامه الدكتور علي رضا الحسيني.

الجزيرة ينتظرون ركوب باخرة للإسكندرية، وقطعوا الورقة مرارًا، ولم يتيسّر لهم ركوبٌ إلَّا في الوابور الذي أنا فيه، ففرحت بذلك وظننت أنهم الضَّالة المنشودة، فلما جاء موعد الرجوع إلى الوابور وجدتهم سبقوني إليه فتعرفت خصوصيًا بمولانا السيد أحمد تعارفًا خصوصيًا على طرف الوابور، حيث وقفت معه هناك نحو ربع ساعة، استوعبت فيها ترجمته التفصيلية من كل وجهة بما عجب منه هو بنفسه، فكان يقول لي هناك وبعدها في المدينة المنورة لما التقينا: ما عرفني أحد ولا استوعبني إلَّا أنت، وخصوصًا في تلك اللحظة، ولما تمازجنا وجدته وفق المرغوب يتمية العقد، وأطلعني على دفتر إجازاته[1]، وتدبجنا[2]، وأوقفني على عدة إجازات له منك، ومسلسلات بروايتكم عن مجيزنا علي بن موسى الجزائري[3]، عن أبي الحسن بن ظاهر المدني[4]، ثُمَّ لقيته بالمدينة وتشرّفت بمنزله، وكان مجلسُنا عنده من أطيب المجالس التي مرَّتْ لنا في تلك البلاد المقدسة، وحمَّلْتُهُ إذ ذاك لكم سلامًا وعتابًا، وما ظننت بعدها أن يَتَّصل آل الكتاني بآل عزوز إلى هذه الدرجة، فسبحان من يخلق الأشياء في أضدادها، فكان

---

(١) استنسخ العلامة أحمد الأمين بن عزوز نسخة منه وبعث بها للمصنف، وهي في المكتبة الكتانية تحت رقم (١٤٤٢ك) وفيها إجازة المصنف له، وأصل المجموع الأصلي بمكتبة زاوية الهامل، وفيها فرع عنه أيضًا.

(٢) نص إجازة المصنف له في مجموع إجازاته في المكتبة الوطنية.

(٣) ترجمه المصنف في كتابه معجم الآخذين عن الرضوي (ق٣٢-٣٥)، وفي فهرس الفهارس (٢/٧٨٨-٧٨٩) ونور الحدائق (ص٧٠).

(٤) ولد سنة ١٢٦٢ وتوفي سنة ١٣٢٢. انظر ترجمته في نور الحدائق (ص٧١) وحاشيتي عليه.

القبض هو موجب دوام بسطنا وانبساطنا، فأدِمِ الله هذا الوصلة واجعلها خالصة لوجهك الكريم على الدوام، ولا تجعل حظنا فيها هذه الرقوم، فاجمعنا جمعًا موصولًا في هذه الدار وتلك، نحمد ويحمد العباد عقباه آمين يا رب العالمين.

وما ذكرتم من تعصّبه للتقليد فقد شَمَمْتُ منه ذلك أيام اجتماعي به الطيب، ولكن احتشمت مبادءته بالإنكار، لأنه أول مشرّق لقيته به، وقد رأيتُ فيه حروشة وتعصبًا لغير التقليد في الفقهيات، بل في كل شيء رأيت في إجازاته من التونسيين كالشَّيخ عمر بن الشَّيخ وأستاذكم ابن قاسم الهاملي أن الفربري يروي عن البخاري ومسلم صحيحيهما[1]، فقلت له: هذه فرية من غير مرية من غير الشيخين، بل مشت عليهما الحيلة فيها عمن أجازهما، فاستعظم مني ذلك وأنكره، ورأيت بيده إجازة من علي بن ظاهر[2] ساق فيها أسانيد إلى الشَّيخ الأمير، قال فيها: «عن السيد مرتضى الزبيدي، عن الشهاب أحمد الملوي، فشافهته بأنَّ الأمير لا يروي عن الزبيدي لأنه من أقرانه، وجواز روايته عنه عقلًا لا يقتضي الوقوع الذي لم نره في فهرسة أحد من المتأخرين مع تتبعنا الكثير، وخصوصًا أنَّ الأمير

---

(١) تكلم المصنف عن هذا الخطإ في كتابه معجم الآخذين عن الرضوي (ق ٢٣-٢٤)، وفي كتابه المباحث الحسان (ص٢٢٧-٢٣٩) وانظر تعليقي عليه.

(٢) هي إجازته للشيخ أحمد الأمين بن عزوز بجزء أحاديث الجان للحافظ السيد محمد مرتضى الزبيدي، وقد نقلها المصنف في كناشته رقم (٢٤٤)، وقيد اعتراضه على الإسناد الذي ساقه مجيزه الوتري، انظر (ق ٢٤).

أخذ شفاهًا بالسماع والإجازة عن الملوي المذكور، فتركيب هذا الإسناد إنما هو من ابن ظاهر وغلطه، فاستصعب ذلك مني، فلم أكثر من ملاججته لفضله ودينه وسنه.

وبالجملة فقد رأيتُ منه فضلًا عزيزًا ومحاسن جمة، استدللت بها على ما لسيادتكم من المكارم القعساء، لأنه حسنةٌ من حسناتكم وأثرٌ من آثاركم، وما ذكرتم من مكاتبتي له نصحًا في الرجوع إلى الأثر فسأفعل إن شاء الله تعالى، وهكذا جميع مواعيدي لكم موقوفة على وصول «عمدة الأثبات»، فلو رأيت سيادتكم ما بنا من الشّوق العظيم إلى وصولها لقضيتَ بالعجب وقدمتها على سائر مآربك وآرابك، خصوصًا وقد مضت على انتظارها عشر سنوات على الأقل، فلم يبق إذا مضى قدر الوصول لهذه الخزعبلات التي كتبتها إجابة لطلبكم وجوابها، ولم تظهر إلا رفع هذه القضية لمجلس المبعوثان[1]، إذ لم يحل بين فصلها تعدّد الجمعيات والأحزاب والأصوات، ففي التعدد والاختلاف وتمني كل حزب النصرة لفئته دون الآخر القضاء على مطلبي، واستخراج حقي منك وكل مطلب لكل مسلم في الدنيا، فالله تعالى يوفقك لأن لا تحوجني إلى سلوك هذه المضايق والاحتياج لهذه الأقطار والمسالك.

---

(١) مجلس المبعوثان: هو المجلس النيابي الذي أسّسه السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٢٩٤.

سيدي أنتظر من كمالكم بفارغ الصّبر أيضًا رسالتكم في التوحيد الغراء، وردكم المتين على صاحب «المنار» في مسألة الكرامات والمسألة الأخرى[١].

وصل إلى فاس الشَّيخ الصادق النيفر[٢]، وصادف من الغد المذبحة الهائلة، وذلك الحادث المشؤوم على الإسلام والنصارى واليهود، وبعد طول احتجابه أيام الفتنة ظهر فقدَّم زيارتنا على كل شيء، وامتزج بنا امتزاجًا كليًّا، وصادف خلو الجو من صاحبه المفتي[٣]، لأنه تركه بالعرائش، نعم نزل بداره، ووجدته فاضلًا عارفًا بالوقت وأهله، ومعرفته بالمفتي المعلوم لأنه الذي وصلهم من الفاسيين إلى تونس، وإلا فهو يعرفه على وجهه كما هو ظاهرًا وباطنًا، وقد كتبت له إجازة طنانة[٤] إذا وصلت «عمدة الأثبات» ربما نوجه لكم نسخة منها، وقد واعد بعد اطّلاعه على «البحر» بالتقريظ عليه، وناهيك منه بهذا إخلاصًا لنا ولكم، وقد قال للناس لما أراد الخروج من فاس: إني ما رأيت بها إلا فلانًا وهو يذكركم بخير ويثني عليكم الجميل، وأزيدك أنه لا يميل إلى التقليد الأعمى، ومما

---

(١) وقفت على نسخة من هذا الرد في مجموع من المراسلات الواردة على الإمام بخط جامعه العلامة ابن عزوز.

(٢) انظر ترجمته وصلته بالمصنف في ما كتبته في مقدمة تحقيقي لإجازة المصنف له (ص١٢-٢٨).

(٣) هو العلامة محمد الهدي الوزاني.

(٤) هي «نور الحدائق في إجازة محمد الصادق»، وتسمى أيضًا بـ«الفجر الصادق» وقد اعتنيت بها وصدرت بتحقيقي سنة ١٤٣٥/٢٠١٤.

أعجبني منه أنه شديد الانحراف عن الغالين من التجانيين لو كانوا أهله وعشيرته، وأخبرني أنه عشير ابن أختكم الشَّيخ محمد الخضر بن الحسين[١] وأثنى عليه خيرًا.

غريبة لطيفة بل أضحوكة: إنَّ المفتي لما رجع من سفره بعد الوقعة الفاسية قال لأحد جلسائه ما يدل على حمقه: هل بلغكم موتُ فلان يعنيكم؟ أعيذكم بالواحد من شرِّ كل حاسدٍ، فإني ما رددت على أحد إلا مات، مات محمد عبده بمجرد ردي عليه[٢]، ومات ابن مهنا القسمطيني بمجرد ردي عليه[٣]، فعجبت من هباله وخبث طويته، فقلت: أما محمد عبده فهو والشَّيخ النبهاني يتنازعان في قتله، فالنبهاني يقول بتصرف الشَّيخ عبد الرحمن الشربيني[٤]، والوزاني يقول بتصرفه، فأين تصرف الله؟ وكون كل ميت يموت بأجله، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خطاب يتعلق بخطابكم الحادي عشر: أجريتُم ذكر خالكم الشَّيخ محمد بن إبراهيم الديسي، هذا الفاضل رأيت له ترجمة طنانة في «الزهر

---

(١) ولد سنة ١٢٩٣ وتوفي سنة ١٣٧٨. ترجمته في أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث (ص٣٧٨-٣٨١)، والأعلام للزركلي (٦/١١٣-١١٤).

(٢) هو كتابه «النصح الخالص لكافة المسلمين بالتوسل إلى الله بأصفيائه المقربين» طبع على الحجر بفاس في ٣٢ صفحة، انظر معجم المطبوعات المغربية (ص٣٦٥).

(٣) هو كتابه «السيف المسلول باليد اليمنى المقطوع به رأس ابن مهنا» طبع على الحجر بفاس سنة ١٣٢٤ في ٩٨ صفحة، انظر معجم المطبوعات المغربية (ص٣٦٥).

(٤) هو من شيوخ المصنف. انظر ترجمته في نور الحدائق (ص٧٦) وحاشيتي عليه.

الباسم في مناقب أستاذكم سيدي محمد بن أبي القاسم» لابن أخيه، وترجمه أيضًا الحفناوي ابن الشَّيخ الديسي في «تعريف الخلف»[١]، كما ترجمكم أيضًا في الكتاب المذكور[٢].

وأنا أحبُّ أهل زاوية الهامل محبة كبيرة لارتباطهم بكم وارتباطكم بهم كثيرًا، وما كنت أظن حياته حتى فاجأنا صديقنا وصديقكم بركة القطر الجزائري اليوم الشَّيخ شعيب الجليلي قاضي تلمسان[٣] يطلب مني الإجازة له وللشيخ المختار بن أبي القاسم[٤] تلميذه، فأجبتهم وتواصلنا بعد ذلك، وما وجدتم عندهم رواية واسعة، بل ولا غيرها إلا عن أستاذكم، وهو ليست له رواية عامة فيما أظن إلَّا عن علي بن الخفاف الجزائري[٥]، نعم أوهمتْ عبارتهم أن له اتصال بالشَّيخ ابن عبد الرحمن الجزائري الخلوتي تلميذ الحفني في الطريق والعلوم العام في كل مروياته عن المصريين وغيرهم، فإن صحَّ لديكم ذلك فبشرونا به وباتصال ابن الخفاف بمن قبله عامة ولا بدَّ وأظنّ أنكم لو عجلتم بـ«عمدة الأثبات» لاسترحتم من كثرة الأسئلة.

---

(١) لم أقف عليها فيه.

(٢) تعرف الخلف (٢/١٩٦).

(٣) انظر ما صدرت به كتاب المصنف «المباحث الحسان المرفوعة إلى قاضي تلمسان» (ص٢٠٨-٢١١).

(٤) له ذكر في تعريف الخلف (٢/٣٥٢) في ترجمة أبيه.

(٥) ترجمه المصنف في كتابه معجم الآخذين عن الرضوي (ق٢٣-٢٤)، وانظر عمدة الأثبات (ص١١١)، وتعريف الخلف (ص٢٦٩-٢٧٠).

كما أننا كتبنا لكم سابقًا تفيدونا شيوخ الشَّيخ علي بن موسى الجزائري، وهل له رواية عامة عن محمد صالح الرّضوي أم لا؟ فعسى أن تعجلوا بذلك كما تفضّلوا بما حصل لديكم من أخبار قاضي الجن والرواية عنه، فإن لنا فيه عدة مؤلفات[١] في البحث عن حاله، فلا تبخلوا بخل العلماء بخل ظنة ومعزة، لا بخل البخل بما عندكم جزاكم الله تعالى خيرًا آمين.

عقيدتكم[٢] نحن في انتظارها شديد الانتظار، كردودكم على صاحب «المنار».

خطاب يتعلق بالخطاب الرابع عشر: ما أجراه الله تعالى على أيديكم من تلك الحكمة البليغة[٣] والمقالة الصّائبة التي تصون الإشكالات المتقاربة حقيقة عن الضَّغائن والأحقاد المنبعثة عن التفرُّق والاختلاف، وتكسب عذرًا قائما لدى كل خصمه عن خصمه، وأراها جديرة بالحفظ والاعتناء، وقد أذنت لكم في إدراجها في المحلِّ المُناسب الذي ترونه من

---

(١) هي «مواهب الرحمن في صحبة القاضي أبي محمد عبد الرحمن»، و«المحاسن الفاشية في الأحاديث الشمهروشية»، انظر التعريف بهما في كتابنا «المعجم المعرف بمؤلفات الإمام الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني وما لحقها من أعمال».

(٢) طبعت في حياة المصنف في الآستانة، ثم طبعها حفيده السيد المكي بن عزوز، ثم أعاد تحقيقها ونشرها الشَّيخ مجد مكي في دار نور المكتبات جدة سنة ١٤٢١.

(٣) ضمنها المصنف كتابه الإفادات والإنشادات (ص٩٧-٩٨) ثم قال: وهي حكة تحمل ولا تهمل.

«البحر»، وإن ظهر لكم إدراجها ضمن التنابيه العشرة في الآخر وتجعلوا لها تنبيهًا خاصًا فلكم ذلك، بل هو الأصوب، وهذا نصّ ما تصدرونها به:

«قد وقفتُ على حكمة بالغة وطرفة نافعة تصُون الإشكالات المتقاربة الناشئة من التحيز مذهبًا، وتميط الوحشة بين المتعاونين على البر والتقوى إذا اختلفوا ذوقًا ومشربًا، من آثار فكرة الأستاذ الجليل صدر المعارف وترجمان العوارف الأكرم المبجل الحكيم الشَّيخ محمد المكي بن عزوز صاحب «هيئة الناسك» فآثرنا صيانتها هنا وإتحاف للقراء ببديع بيانه، قال نفع الله به: «خبرت من العلم سهله..» الخ

كما أرجوكم أن تستدركوا آخر مبحث الذين ادعوا الاجتهاد أو ادُّعي فيهم ما نصه[1]: «ومنهم: وهو أعلم من رأيناه أو سمعنا به في عصرنا الذي أدركناه سبحًا في المعارف واطّلاعًا على الكتاب والسنة وأسرارهما شيخنا شقيقنا الشَّيخ أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني الشّهيد المقدس، وله قدرة على الإفصاح بما يشاء فيهما على صغر سنه، وكان له اختيارات واستظهاراتٌ وإكباب على الدليل إفادة واستفادة وإفتاء منه يرجح ويصحح بما يظهر به لمخالطه أنه جدير بمنصب الاجتهاد السامي، أبقى الله بركته وشيد حرمته، وطالما ندّد في كتابه «البيان الشافي» و«مدارج الإسعاد» وغيرها على أهل التعصّب المذهبي بأبرع بيان وأفصح تبيان، نفع الله بذلك كل إنسان آمين». اهـ

---

(١) ألحقت هذه الزيادة في هامش نسخة السيد محمد المهدي الكتاني (ق ٤٠٩).

وقد استفدتُ من كتابكم في الخطاب الثامن عشر أن الشَّيخ محمد المدني ابن عزوز[1] من أهل هذا السّلك العالي، فلا بأس أن تدرجوه بعد علي بن عبد الحق القوصي بما تعلمون من تحليته وترجمته، كما تخبرونا هل أجازكم عامة.

ما ذكرتُه سيادتكم من أمر الشَّيخ الحضراوي المكي الشافعي[2] وأمركم لنا بتخريج أحاديث أحد الكتابين «العوارف» أو «المدخل» فنعم الرأي والإشارة، وسأفعل إن شاء الله وِفق طلبكم إذا سنحت لي الفرصة من فراغ البال وحصول الاطمئنان على كتبي وأهلي، أمّا أمر الشَّيخ الحضراوي فكنت لقيته بمكة وتدبّجت معه[3]، وهو من أقران جدي في السّنّ، ورأيته ضعيفًا في الحديث جدًا جدًا وتخريجه[4] لكشف الغمة كلا شيء، بل مرّة يقول: أخرجه ابن الهندي، ومرة يقول: أخرجه الرملي، ومرة

---

(١) توفي سنة ١٢٨٥. ترجمه المصنف في كتابه فهرس الفهارس (٢/٥٥٠-٥٥١)، وانظر عمدة الأثبات (ص١١٧-١١٨).

(٢) ولد سنة ١٢٥٢ وتوفي سنة ١٣٢٧. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (١/٣٤٧-٣٧٥)، وانظر النفح المسكي (ق ٨/٩)، والرحلة السامية (ص١٥٩-١٦١)، وهادي المسترشدين (ص٢٠٤-٢٠٧).

(٣) ذكر ذلك المصنف في كتابه نور الحدائق (ص٨٣)، وفي فهرس الفهارس (١/٣٤٧-٣٧٥)، وفي ما علق بالبال.

(٤) وقفت عليه بخطه في مكتبة مكة المكرمة (مكتبة المولد) تحت رقم (٢١٣)، ويقع في ثلاث مجلدات، وقد أسماه «سراج الأئمة في تخريج كشف الغمة عن جميع الأمة»، وهذا التخريج من جملة التخاريج الكثيرة التي فاتت صاحب «حصول التفريج».

يخرج عن «التحفة المرضية» وهكذا، وقد أجريت ذكره في «السر الحفي الاحتفالي» عند المسلسل بالقَسَم[1].

وإذا قد وصلت إلى هنا فإني أستشير سيادتكم في الأمر الذي دهمنا وهمنا وأشغل عقولنا الذي لا يخفى عليكم فإنا أشوق النّاس إلى الهجرة واستيطان البلاد المقدسة، فأردت أخذ رأيكم في ذلك، وما ترون لنا في هذا الباب تقديمه، وهل تعلم أنّا نجد من الدولة العثمانية التفاتًا ومساعدة، لأن عائلتنا كبيرة جدًا، فأشيروا بما ترونه حبيبنا محمود العاقبة قبل كل شيء، ولا بد ولا بد عاجلًا عاجلًا، وأظهروا في هذه المسألة ما تكنّه صدوركم نحونا كما هو المظنون به، بل المقطوع به عنكم، والله الميسر.

وهنا أذكر أنه بعد الفراغ من جوابكم هذا جاءني من مصر كتاب مطبوعٌ للشَّيخ النبهاني اسمه «جامع كرامات الأولياء» في مجلّدين، وطبعوا بهامشه كتابًا جليلًا إلى الغاية لليافعي، اسمه «نشر المحاسن»، وفي آخره طبعوا كتاب آخر للنبهاني اسمه «أسباب التصنيف»؛ عقد فيه ترجمة طنانة[2] لسيادتكم، حيث استطرد ذكر من مدح مؤلفاته، فوصفكم أولًا: بالإمام العلامة المحقق أحد مفاخر العصر صاحب المؤلفات السّنية المتبحر في العلوم العقلية والنقلية المتّصف بمكارم الأخلاق المحمدية، ثم بعد أن أطرى السّيف الرباني لكم حلف يمينًا مغلظًا أنه يعلم أنك أعلم منه بجميع العلوم يقينًا وأتقى وخير من كل وجه، وقد هاجر منذ سنوات إلى القسطنطينية، وهو الآن فيها ينفع المسلمين بعلومه ومعارفه، ثم أشار إلى

---

(١) (ص٢٣٤-٢٣٧) ط فاس الأولى.

(٢) (٢/٣٧١-٣٧٢) أسباب التأليف آخر «جامع كرامات الأولياء» الطبعة الأولى.

تصتكم مع أبي الهدى الرفاعي[1] وإقبال الشَّيخ ظافر[2] عليكم، فانظروه في صحيفة ٣٧٢.

الحاصل أنَّ هذه الترجمة منه سرتني كثيرًا كثيرًا، وعلمت أنَّ إخلاصه لكم باقٍ على حاله كما ذكر الفقيرَ في كتابه المذكور، وذكر في كتاب «الكرامات» ترجمة شقيقنا الشَّيخ أبي الفيض وغيره من الكتانيين.

ما سألتم عنه من «جريدة المنار» هل تأتي مرتبة إلى فاس؟ إنها لا تأتي فيه لأحد فيما أعلم، وقد كانت تصلُ هنا قبل، أمّا اليوم فلا، والناس في شغل عمّا هو أهم منها ومن غيرها.

ونطلب الله تعالى أن يكون الشُّروع في طبع «البحر» قد وقع، والملزمة الأولى منه بالطريق، فقد انتهى وقت المقابلة والإصلاح وعمل الفهرس، فلم يبق إلَّا إخراج ذلك من القوة إلى الفعل وإنجاز الوعد، فالوزاني إلى الآن في غاية التّصميم، على أنَّ طبعه لا يمكن ولا يتمكن[3]،

---

(١) ولد سنة ١٢٦٦ وتوفي سنة ١٣٢٧. ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (١٦٣/١-١٦٥)، وانظر رياض الجنة (١٤٤/٢-١٥٥).

(٢) ولد سنة ١٢٤٤ وتوفي سنة ١٣٢١. ترجمته في: شجرة النور الزكية (٤١١/١)، والأعلام الشرقية (٥٩٠/٢-٥٩٢)، ولم تخل ترجمته في الأعلام للزركلي (٧٦/٧) من الاستهزاء والهمز فيه وفي خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله تعالى، على عادة الزركلي في التنقص من المُصلحين السّاعين في وحدة الأمة وعزتها، فقد كان قومجيا معاديًا للخلافة الإسلامية الجامعة لأواصر الأمة المحمدية.

(٣) وقد كتب الله أن يكون طبعه على يد خادم تراث الإمام السيد محمد عبد الحي الكتاني بعد أزيد من مائة سنة من تاريخ هذا المكتوب، فالأمر لله، والحمد لله الذي وفقنا وشرفنا بذلك.

وإنما هي اختلاقاتٌ وإيهاماتٌ، والله غالب على أمره، وسامحونا فيما أطلنا عليكم من الكلمات والإسهابات، فلولا تحققنا بحبّكم لذلك ما ارتكبناه ولا سلكناه، وخصوصاً مبحث الشَّيخ النبهاني، فقد أخبرناكم بما عندنا، وأنتم بعد ذلك أدرى، فأزيلوا من «البحر» ما شئتم، وأثبتوا ما شئتم من غير تحجير، لأن المقصد والمرمى والمبدأ إذا علم فالتوابع والزوائد لا تضر، كما أنا بكل إلحاح نطلب التعجيل بـ«عمدة الأثبات» لا نقبل عذراً، ولا يتمكن منه اعتذارٌ، مسلّماً عليكم بأتمه وأكمله من سيدنا الوالد وكافة أهلنا وأحبابنا وجلسائنا، وقد تمكن من جميع من يعرفك هنا حبك والشَّغف بك، فلا تحرم أحداً من أبحاثك الرقيقة، وفرائد فوائدك العجيبة بعد هذا، ولا تتّكل في تأخير الجواب هذه المرة على نحو ما سلكناه من الإطالة، لأنَّ حوادث فاس الأخيرة تعذّر معها كل شيء، اللّهم آجر الإسلام في مصائبه.

قاله وكتبه خادم الحديث محمد عبد الحي بن الشَّيخ عبد الكبير الكتاني الحسني الإدريسي، محبكم الصَّميم، في ظهر يوم الثلاثاء ثالث جمادى الثانية سنة ١٣٣٠ حامداً مصلياً محسبلاً.

يصلكم مكتوب مني للأخ الأعز محمد بن خير الدين أفندي[1]، ادفعوه له وقفوا على جوابه، وقد طلبناه في إتحافنا بمقالاته السياسية التي ينشرها إن كانت بالعربي، يسر الله كل عسير آمين». اهـ

* * * *

(١) لم أتبين من هو.

بعض ما آل من خزانة الإمام المكي بن عزوز إلى خزانة صاحبه الحافظ

آلت بعضُ كتب الإمام المكي بن عزوز إلى صاحبه الحافظ السَّيِّد محمد عبد الحي الكتاني، وبعضُها من المُصنَّفات المخطوطة، وبعضُها من المصنَّفات المطبوعة.

فمن القسم الأول أذكر ما وقفت عليه عرضًا في المكتبة الكتانية العامرة:

- مجموع في المكتبة الكتانية تحت رقم (١١١٥ك)، يقع في ٢٤٩ ورقة، أوله «صحائف العامل بالشرع الكامل» للعلامة فالح بن محمد الظاهري المهنوي المدني، وقد تمَّ نسخه سنة ١٣٢٢ في ٢٨ رمضان منها، وهو أول المجموع إلى الورقة ٥٥، وعليه طرر وتوقيفاتٌ للإمام محمد المكي بن عزوز التونسي نزيل اسطنبول.

ثُمَّ «مسلك السداد إلى مسألة خلق أفعال العباد» للبرهان الكوراني إلى الورقة ٦٢.

ثُمَّ «القول الشافي السديد في نصح المقلد وإرشاد المستفيد» للعلامة علي بن محمد بن علي الشوكاني، وعليها خطُّ العلامة المكي بن عزوز سنة ١٣٢٦، وتعليق للحافظ يتَّصلُ بترجمة مُصنِّفها.

ثُمَّ رسالة «القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد» لمحمد عبد العظيم المكي.

ثُمَّ «القول المبين في تحرير مسألة التكوين» للبرهان الكوراني، استنسخها العلامة محمد المكي بن عزوز من نسخة تلميذ المُصنف الشَّيخ موسى بن إبراهيم البصري ثُمَّ المدني من خزانة صاحبه الوزير الهمام رضا باشا، وقابلها بنفسه أوائل المحرم ١٣٣٠.

- ١٤٦٢. مجموع أوله «الضوابط الجلية للأسانيد العلية» لشمس الدين الفرغلي للأسانيد، لشمس الدين عبد الله الفرغلي، ويقع الكتاب في ٢١٥ ورقة، وقد أتم نسخه العلامة عمر حمدان سنة ١٣٤٤، بعضه بخطه وبعضه بخط ولده الشَّيخ محمد.

ويليه «نقد النصائح الكافية لمن يتولى معاوية» رضي الله عنه، للإمام محمد المكي بن عزوز التونسي، من (ص٢١١) إلى (ص٢١٧).

ثُمَّ منظومة أحمد بن عبد القادر الحفظي العجيلي.

ثُمَّ قصيدة لمحمد الطاهر الحداد إلى ٢٤٢، ثُمَّ منظومة «عقد جواهر اللآل في فضائل الآل» للشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي العجيلي، وقد أتمَّ نسخها الشَّيخ محمد سنة ١٣٤٥ بحيدرأباد الدكن.

ومن القسم الثاني - أي: قسم الكتب المطبوعة - رأيت الحافظ ينقل عن تعاليق صاحبه الإمام المكي بن عزوز على نسخته الخاصة من كتاب «البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان» في كتابه «إعلام الحاضر والآت بما في السلوة من الهنات»[١].

---

(١) (ق٢/٢١٩).

تقاريظ الإمام ابن عزوز لمؤلفات صاحبه الإمام:

قال عن كتابه «اليواقيت الثمينة» كما في كتابه «المظاهر السامية»[١]: «ولمَّا وقف على هذه الرسالة بعد الطبع الأستاذ الكبير العلامة الشَّهير الشَّيخ السيد محمد المكي ابن عزوز كتب لي من استانبول يقول: «هو شيءٌ لم يسبقكم به أحد، وهو يؤذن باتِّساع عارضتكم، ورسوخ ملَكتكم في الحديث هبة لدنية، جزاكم الله عن الدين خيرًا» هـ من خطه.

وكتب إلى مقدم الطائفة الكتانية بطنجة يقول له بعد ذكره: سبحان من فتح لذلك السيد فتحًا قلَّ من يناله في وقتنا» هـ.

وفي «المظاهر السامية» أيضًا ما نصُّه مما يتصل بكتاب الحافظ «السر الحقي الامتناني»[٢]: «وقد استَظْهَرْتُ على دلائل هذه المسألة والردِّ على المخالفين بما لا يحتاج معه إلى بيان في السِّرِّ الحقي الامتناني اسم شرح الورد الكتاني، ولذا لمَّا وقف على هذا المبحث الأستاذ الكبير العلامة الشهير الشَّيخ محمد المكي بن عزوز قال في مكتوب منه لي: ما حبب إلي نقله هنا خوفًا عليه من الضَّياع، ونصه:

من إفادتكم التي نلتها منكم على البُعد وطوَّقتموني بها قلادة منة لا جزاء لكم فيها إلا الجنة، إنه لما وصلني «السر الحقي الامتناني» وطالعته وكرعت من منهله العذب، وتطيبت بسره الحقي الامتناني مررت على مبحث التحريض على الصَّلاة على النبي ﷺ، وذكرتم نصوص أهل

---

(١) (ق٢٧٨) نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء.

(٢) (ق٣٧٧-٣٧٨) نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء.

الطرائق احتجاجًا على المنتسبين إليها، زرعتم بذلك في أرض قلبي حبَّها والحزم لها والنَّشاط فيها، لا سيما وقد ذكرتم عن السَّاحلي السَّهروردي الخلوتي في صحيفة ما يحرض وتلزم به الحجة في هذا الباب، لأنَّ أذكارنا معشر الخلوتية عُمدتها في الابتداء الهيللة الشَّريفة، ثم في المقام الثاني اسم الجلالة، ثُمَّ في الثالث هو، وللصَّلاة النبوية أوقاتٌ مخصوصةٌ كالموظفة من عصر يوم الخميس إلى عصر يوم الجمعة، ويختم بالأمية من بعد صالة عصر يوم الجمعة، ويحضّون على «دلائل الخيرات». فانطبع في باطني الامتثال لما قلتم، وأنا محتاجٌ إلى تقريب الفتح وطيِّ المسافة مع ثقلي بالذُّنوب، فشرعت في الصلاة على النبي ﷺ، وفي يومها ذُقت حلاوتها، ولاحت بشائر، فللّه درّك من مرشد نفاع.

وبالحقيقة لو يعقل الإنسان لكان مقتضى الإيمان في حقّ سيد الأنبياء أن يصحب ذكره دائمًا، لأنه هو الواسطة العظمى» اهـ من خطه جزى الله المصنف عن نفسه خيرًا.

ويأتي تقريظه لكتاب «البحر المتلاطم الأمواج» في فصل خاصٍّ يختص به.

حضور الحافظ في مراسلات الإمام المكي بن عزوز مع أعيان علماء عصره:

قد كان الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني حاضرًا في مراسلات الإمام المكي بن عزوز، فقد ملأ عليه حواسه وشغل باله، وأعجب به وبعلمه غاية الإعجاب، ورأى فيه امتدادًا له ولأفكاره ومبادئه، ولم يخفي

في مراسلاته مع أعيان علماء عصره إعجابه الشديد به، فمِمَّا وقفت عليه من ذلك:

١- ما جاء في كتاب «مطالع الأفراح والتهاني وبلوغ الآمال والأماني في ترجمة الشَّيخ عبد الحي الكتاني»[1] ونصه: «وحلّاه الشَّيخ ابن عزوز المذكور في كتاب وجهه إلى كاتبه عام ١٣٣١ بما نصّه: وقد بشّرتمونا بجولان إمام المحدثين وسيد المسندين في عصره سيدي عبد الحي الكتاني وإقبال عباد الله عليه، فالحمدُ لله على ذلك، ولا يزال أمر السادة الكتانية في نمو وازدياد وتأييد وإسعاد، لأنهم الطبقة الأولى في الطائفة القائمة بأمر الحق المشار إليها في الحديث الصحيح إلخ».

٢- وجاء في كتاب «بغية الطالبين في جمع إجازات أعلام المتأخرين» لابن أخيه وتلميذه العلامة السيد محمد المهدي بن الإمام العارف محمد بن عبد الكبير الكتاني، رسالة من الإمام المكي بن عزوز جوابًا على طلب السّيد محمد المهدي الكتاني الإجازة منه، وفيها ذكر عمه الحافظ، وهذا نصها:

الإجازة السادسة والثلاثين:

نص مكتوبين من العلامة الشَّيخ سيدي المكي ابن عزوز حُبِّبَ إليَّ، نقلهما تبركًا بهما، نصّ الأوّل:

«الحمدُ لله، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم وآله، الأخ العزيز، العسجد الإبريز، العالم الرباني، البدر النوراني؛ أبو عبد الله الشَّيخ سيدي

---

(١) (ص٥٢٧).

محمد المهدي ابن الإمام الهمام؛ أبي الفيض الشهيد سيدنا محمد الكتاني، رضي الله عن السلف وبارك بمنه في الخلف.

أما بعد أداء أزكى التحيات وأسنى التسليمات عليكم وعلى آلكم كافة؛ فقد تشرفت بكتاب منكم كريم، وأدخل علي من السرور ما الله به عليم، ومن كراماتكم: أنه لما جاءني وجدني في كربة من نكبات الزمان، فقلت: اللهم إن هذا كتاب من تلك النسمة الطاهرة، وهو أول كتاب منه لي؛ فأرني بركته في الفرج، فلم يلبث إلّا قليلا ومنَّ الله بالفرج والحمد لله. وما هي بأول بركتكم.

نعم؛ سيدنا ابتغيتم من العاجز إجازة؛ فعلى الرأس والعين تأتيكم بعد هذا العيد إن شاء الله، ومن الآن أخبركم أنها لا تكون مثل الذي وردت لعمكم؛ لأن تلك والله لم أكتب منها نسخة إلا مسودات متفرقة، لكن أبذل جهدي في أحسن ما أستطيع إحضاره، وتكون لكم إجازة مني عامة شاملة، فما لم يكن مصرحًا به في إجازتكم مما في تلك؛ فأنت مجازٌ به بلا شبهة.

ومما استلطفته وأطربني: قولك: لا تحوجني إلى زيادة الكتابة في طلبها، والذي أطربني منها: إشعارها بمماطلتنا لعمكم بارك الله في جميعكم.

واعلم أني أتنغص مما حلَّ بالدين واختلافات العلماء أصولا وفروعًا من أهل عصرنا، وتباعد مشاربهم، وتضليل بعضهم بعضًا، واندراس معالم

السنة، ونحو ذلك، ولَمّا أتذكر وجود آل الكتاني على ظهر البسيطة ينشرح صدري والله، وأحمد الله، وأعني بآل الكتاني: أكثرهم؛ فأولهم في القطر المغربي: جدكم أحياه الله حياة طيبة، ثُمَّ والدكم عليه رضوان الله، ثُمَّ عمكم مُحَدِّثُ العصر، ثُمَّ حضرتكم، ولا يبعد أن في آلكم ما يقرب من هؤلاء وإن لم نتشرف بالتعرف بهم.

وبلغوا سلامي باحترام إلى الجد سيدي عبد الكبير، مع تقبيل يديه، وإلى عمكم ذلك الطود الهمام، ومن يسأل عنا، ولا تنسونا من دعائكم، والسلام. وعلى العهد والمحبة، محمد المكي بن مصطفى ابن عزوز، كتب في ٢٦ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣١».

٣- ويأتي ذكر نص مكتوب الإمام ابن عزوز لشيخ الإسلام السيد محمد بن جعفر الكتاني، وفيه ذكر الحافظ وكتابه «البحر المتلاطم الأمواج».

امتداد صلة الحافظ بآله وأحفاده من بعده:

وقد امتدّت الصِّلة بين الحافظ وذرية الإمام المكي بن عزوز، فممّن حضر مؤتمر الطرق الصّوفية المنعقد بالمكتبة الكتانية الشَّيخ المكي بن عزوز مدير جريدة إفريقيا الشمالية، ونائب الزاوية العزوزية، ورئيس الحزب القومي التونسي، وقد جاء في حوار معه أجرته معه جريدة «صوت المسلم»[1] على هامش المؤتمر قوله: «وقبل الخوض فيه أتقدم بالشُّكر

(١) عدد ١ يوم الجمعة ١٧ شعبان الأكرم الموافق ١ ماي ١٩٥٣، (ص٢).

الجزيل للحافظ الإمام الورع شيخ المحدِّثين في العالم الإسلامي، وفخر الطُّرقيين مولاي العلامة سيدي عبد الحي الكتاني، الذي أتاح لنا فرصة هذا المؤتمر الإفريقي للطرقيين، وأيادي الإمام البيضاء على الطرقية كثيرة لا تحصى، وشهيرة لا تخفى، والذي تربطه في الماضي والحاضر صلة روحية مع العائلة العزوزية، وخصوصًا مع جدي عالم العرب والروم سيدي المكي بن عزوز دفين اسطنبول».

الإشارة إلى قصور الدكتور محمد بن عزوز في دراسة وتحليل هذه العلاقة:

وقد أفرد الدكتور محمد بن عزوز لهذه العلاقة العلمية المتميزة حَيِّزًا في كتابه «محاسن الأنس في الصّلات العلمية بين المغرب وتونس»[1]، وقد اقتصر على بعض ما وقع في «فهرس الفهارس» كما قام بتصوير أصل مراسلة الحافظ للعلامة المكي بن عزوز بخطّ الحافظ ضمن ملاحق كتابه المذكور[2] فقط.

التعريف بهيئة الناسك وطبعاته:

طبع أولًا في مطبعة روشن باصطنبول سنة ١٣٢٧، وتقع في ٢٩ ورقة، وفي آخرها تقريظ منظوم للكتاب من نظم الشّيخ الأديب محمد

(١) (ص٣٠٥-٣١٦).

(٢) (ص٥٢٠-٥٧٠).

الأمين المسمى بالدالم من أهل طرابلس الغرب، وقد وقفت على نسخة منه أهداها المصنف بخطّه وختمه للسّلطان عبد الحفيظ ابن السلطان مولاي الحسن.

وهي محفوظة في المكتبة الوطنية تحت رقم (A-١٨٤٠٥) في قسم المطبوعات. ونص الإهداء:

«الحمدُ لله، هدية إلى خزانة مولانا أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين السّلطان عالم السّلاطين وسُلطان العلماء سيدي ومولاي عبد الحفيظ الشَّريف العلوي حفظه الله وأيده مع تقبيل يديه المباركتين من مؤلفها».

ثُمَّ ختمه محمد المكي بن عزوز.

ثُمَّ طبع بدار طيبة للنشر والتوزيع سنة ١٤١٧-١٩٩٦ بعناية نفل بن مطلق الحارثي، والمحقق بعيد عن الفقه المالكي وأمهات كتبه واصطلاحات أهله، فوقع في إشكالات عديدة.

التعريف بالعلامة الشّيخ المهدي الوزاني المردود عليه بالبحر المتلاطم:

وحيث كان البحر ردًا على رسالة العلامة محمد المهدي الوزاني، رأيتُ أن أفرد له مطالب في التعريف به وصلته بمصنف «البحر» وما يتصل بذلك.

موجز ترجمته[1]

ولد سنة ١٢٦٦ بمدينة وزان، ونشأ بها، فحفظ القرآن على والده سيدي محمد بن الخضر العمراني الوزاني، وعلى غيره، ثم قرأ القراءات على أبي سالم عبد الله البدراوي البكراوي الشريف الحسني، وأجازه

---

(١) مصادر ترجمته:

«فهرس الفهارس والأثبات والمشيخات والمسلسلات» للحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني (٢/١١١٣)

كناشته الحاملة رقم (٢٤٣ ك) في مكتبته وقد سجلّ فيها تاريخ وفاته.

«قدم الرسوخ لما لمؤلفه من الشيوخ» للعلامة القاضي أحمد العياشي سكيرج (ص٤٤٨-٤٥٤).

معجم العلامة القاضي عبد الحفيظ الفاسي (٢/٤٨-٥١).

شجرة النور الزكية (١/٤٣٥-٤٣٦).

مختصر العروة الوثقى لتلميذه العلامة الفقيه الوزير محمد بن الحسن الحجوي (ص١٣) الطبعة الأولى، و(ص٣٣-٣٤) ط د ابن عزوز.

إتحاف ذوي العناية للعلامة محمد العربي العزوزي (ص١٤-١٥).

الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (٢/٣٧٩).

معجم المطبوعات المغربية للعلامة السيد إدريس القيطوني الفاسي الحسني (٣٦٣-٣٦٥).

سل النصال للمؤرخ عبد السلام بن سودة (ص٢٩-٣١).

إتحاف المطالع (٢/٤٣٥).

زبد الأثر (٥/١١٢-١١٥).

الأعلام للزركلي (٧/١١٤).

=

بالقراءات بفاس، وانتقل إليها واستقرَّ بها، وقرأ العلم بها على جماعة من شيوخها وأعلامهم، ذكرهم في فهرسته، من أشهرهم: محمد بن المدني جنون، والمهدي بن سودة، وأخواه عمر وأحمد، وأبي العباس أحمد بناني كلا، وغيرهم، اشتغل بالتدريس والإقراء فتخرج به كثير من العلماء، وألف المؤلفات الكثيرة في الفقه المالكي، فمن أشهرها:

- المعيار الجديد في عشرة أجزاء.
- النوازل الصغرى في أربعة أجزاء.
- حاشية على شرح الشَّيخ التاودي على التحفة.
- حاشيتان على الزقاقية.
- شرحان على العمل الفاسي.
- حاشية على شرح المرشد المعين لميارة.

= معجم المطبوعات العربية لسركيس (٢/١٩١٥-١٩١٧).

سبحة العقيق في ترجمة الشَّيخ محمد بن الصديق (ق٤١٧-٤١٩) للشيخ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، مصورة عن نسخة لجامعه بخطه في المكتبة الوطنية تحت رقم (١٨١٥د)، وهو من جملة الكتب التي باعها للحماية الفرنسية إبان وجودها بالمغرب مع كتب الأزهر الشريف وغيرها من أوقاف المسلمين.

الأعلام الشرقية لزكي مجاهد (٢/١٨٠).

التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين (ص٤٤٥-٤٤٦).

عمدة الراوين في تاريخ تِطّاوين (٩/١٨٨-٢٠٠).

ترجمة مفردة له بقلم الدكتور الشريف حمزة بن علي الكتاني، نشرت أوائل نوازله الصغرى (١/٣-٥٢).

وغيرها مما ذاع وشاع وطلبه النّاس في عصره، وتنافسوا في طلبها واقتنائها والعناية بها.

من كتبه المخطوطة في الخزانة الكتانية:

وقد وقفت في المكتبة الكتانية على تكملة النوازل الكبرى والصُّغرى من فتاوى المترجم مما أفتى فيه بعد طباعة الكتابين، وهي من جمع تلميذه الفقيه ابن عبد الرحمن اللجائي، وقد جمع فيه نوازله وفتاواه التي لم تذكر في نوازله الصُّغرى والكبرى، وهو ضمن مجموع رقم (٩١٠ك) (من ١٧٥ إلى ١٩٩) بخطِّ جامعها سنة ١٣٤٧، وضمنه رسالة بخط العلامة السيد المهدي الوزاني، تاريخها ١٣٣٤.

علاقته بالمصنف:

كانت تجمع الحافظ علاقة طيبة مع العلامة الفقيه النوازلي السيد محمد المهدي الوزاني رحمهما الله تعالى، وما كان لخلافهما العلمي وتباين منهجهما الفكري أن يكون قاطعًا لرحم الدِّين والعلم والشَّرف، فمن أخبار هذه الصِّلة العلمية ما حدَّثني به شيخنا مسند العصر السيد الشَّريف عبد الرحمن بن الإمام الحافظ السيِّد محمد عبد الحي الكتاني - أطال الله بقاءه - أنَّ والده الإمام أقام مأدبة غداء حضرها جماعة من الأعيان، وكان من بين المدعوين إليها العلامة محمد المهدي الوزاني، فتأخر في الحضور فوجد المدعوين يتناولون الفاكهة بعد تناول الغداء، فلمَّا حضر قام السيد مُستدعيًا لخادمه ويطلب منه أن يحضر الغداء للفقيه الوزاني، فتدخَّل العلامة القاضي محمد بن العربي العلوي ممازحًا للسيد والفقيه الوزاني

قائلًا: احضروا له طعام أهل بلده، الخبز والشريحة[1]، فأجابه الفقيه الوزاني: في فندق الشَّماعين نلتقي. وذلك لأنَّ حي الشَّماعين بفاس كان يباع فيه التمر الوارد من تافيلالت بلد الفقيه ابن العربي العلوي، والشَّريحة من وزان بلد الفقيه الوزاني.

وفي «فهرس الفهارس»[2] أنَّ فهرسة أحمد بن حسون الوزاني كانت عند بلديه الفقيه الوزاني، إلَّا أنه كان يضن بها، فلم يقف عليها الحافظ.

وقد أجاز في آخر عمره لصاحبه الحافظ إجازة عامة كما ذكر ذلك الحافظ في ترجمته له من كتابه «فهرس الفهارس والأثبات»[3].

وقد روى عنه الحافظ في كتابه «الإفادات والإنشادات وبعض ما تحملته من لطائف المحاضرات»[4]، وفي كتابه «أداء الحق الفرض في الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض»[5].

وجاء في كناشة الأديب عبد الكريم بن العلامة الكبير أحمد العياشي سكيرج الفاسي الذي أسماه «دفتر ثغر الجديدة لتقييد فوائد عديدة»[6] وقد

---

(١) التين المجفف.

(٢) (١٢٢/١).

(٣) (١١١٤/٢).

(٤) (ص١٤٠-١٤١).

(٥) (ص١٦) من الطبعة المصرية الشوهاء البتراء لقسم من الكتاب، وقد تكلمت عنها في كتابي «المعجم المعرف بمؤلفات الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني وما لحقها من أعمال».

(٦) ونسخته متاحة على موقع والده على الإنترنت، جزى الله القائمين عليه خير الجزاء.

ذكر فيه[1] زيارته مع والده، والعلامة محمد المهدي الوزاني، والعلامة مولاي عبد الله الفضيلي، والعلامة الفاطمي الشّرادي، والعلامة عبد الكريم بنيس، والعلامة عمر حمدان لدار الحديث الكتانية، ثُمّ ساق نصّ قصيدة والده في مدح الدار المذكورة ومطلعها

دَارُ الحَـدِيثِ عَلَيْهَـا الخَيْـرُ قَـد دَّارَا
فَـلَا نَـرَى مِثْلَهَـا اليَـوْمَ فِـي دُورِنَـا دَارَا

وقد كان بينهما مطارحات ومذاكرات أشار لها الحافظ بقوله في ترجمته له من «فهرس الفهارس»[2]: «ولي معه مواقف ومطارحات في مسائل، منها مسألة القَبْض، وفي نقد مؤلفاته فيه أَلَّفْتُ كتابي «البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القَبْض من العناد واللجاج» في مجلد ضخم».

وفاته:

كتب المؤلف في كناشته رقم ٢٤٣ بخطه ما نصه[3]: «توفي العلامة المُفتي سيدي المهدي الوزّاني صاحب «المعيار الجديد» ليلة الأربعاء متم المحرم عام ١٣٤٢، ودفن بالقباب من فاس».

* * * *

---

(١) (ق١١).

(٢) (١١١٣/٢).

(٣) (ق ١٠٩).

التعريف بـ«البحر المتلاطم الأمواج المُذْهِب لما في سُنَّةِ القَبْض مِن العِناد واللِّجاج»

توثيق نسْبة البحر المتلاطم إليْه

لقد قامت الدلائل على صحّة نسبة كتاب «البحر المتلاطم الأمواج» لمصنفه بما لا يدع مجالًا للشكّ في صحّة النّسبة، ونحن نذكر ما وقفنا عليه من دلائل نسبته إليه اختصارًا.

أ- نسبه لنفسه في عدد من مؤلفاته منها:

- «المظاهر السامية»[١] فقال: ««البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القَبْض من العناد واللجاج» في مجلدٍ ضخم تحت الطَّبع الآن في الآستانة».

- «نور الحدائق» قال لدى ذكره قائمة مصنفاته[٢]: «البحر المتلاطم الأمواج، المُذْهب لما في سنة القَبْض من العناد واللجاج» في مجلّد ضخم تحت الطبع الآن في الآستانة.

وقال في آخر فصل منه وهو فصل وصاياه للمُجَاز[٣] ما نصُّه:[٤] «ولا

---

(١) (ق٢٨٢) نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء.

(٢) (ص١٧٦) بعنايتنا.

(٣) (ص١٨٨) بعنايتنا.

(٤) وهذه فائدة من فوائد الإجازة والرواية لا يتفطن لها الجهلة ممن ظنوا أن الاشتغال بعلوم الإسناد قاطع عن غيره من علوم الدّراية والفقه والأصول، فانظر لهذه الوصايا البليغة التي كانت الإجازة وعائها وسبب تلقيها، وأعرض عن الجاهلين الذين استروحوا التقليد وادعاء العصمة في متبوعيهم.

تنس في العبادات والمعاملات «موطأ الإمام مالك» فإنها النور السّادح، والهدى المحمّديّ الخالص المقطوع به، ولا تزعزعك شقاشق المتفقّهة، فقد أجمع النُّظّار على أنّ الموطأ المرجع عند الاختلاف، وهي المقدّمة أحاديثها وفتاويها على كلّ فتوى، لو كان ناقلها مَن كان، ومن علم أنّ هذا الإمام أجل من أن يروي للناس ما ليس عليه عمل، علم أنّ مالكًا في واد، والذين يدعون تقليده في وادٍ، فمذهب مالكٍ ما حوته موطّاءه، فإنه آخر وأوّل ما أملاه وصنف، وبها كان يفتي إلى أن لقي ربّه، وقد بسطنا هذا بما لا مزيد عليه في «البحر المتلاطم الأمواج».

– وقال في «فهرس الفهارس» في ترجمة المردود عليه العلامة محمد المهدي الوزاني[1]: «وفي نقد مؤلفاته فيه ألفت كتابي «البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القَبْض من العناد واللجاج» في مجلد ضخم».

– وقال في كتابه «بيوتات جبل درن وزواياه ورجاله»[2]: «البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القَبْض من العِناد واللجاج» في مجلد ضخم قدر ثلاثمائة ورقة أو أكثر.

– ذكره كثيرًا في كتابه «النور الساري على صحيح البخاري»، فقد أحال فيه على «البحر المتلاطم الأمواج» مرَّات، فمن ذلك في مبحث ترجمة عبد الكريم بن أبي المخارق البصري في باب التهجد بالليل[3]، ومن ذلك في باب إذا رأى الإمام رجلًا وهو يخطب أمره أن يصلي فقال[4]: «كما بسطته بأدلته في البحر».

---

(١) (١١١٣/٢).

(٢) (ق٥٣) رحلة الحوز ومراكش والصويرة.

(٣) (ق١٦/أ).

(٤) (ق٤).

ب – ونسبه إليه مترجموه، منهم:

– ابنه العلامة الأديب القاضي أبو العزم عبد الأحد في مقدمة كتاب «فهرس الفهارس»[1].

– ومؤرِّخ سيرته ابن خالته العلامة الأديب الكاتب السيد عمر بن الحسن الكتاني في كتابه «مطالع الأفراح والتهاني»[2].

– وكُتِبَ في آخر طبعة كتاب المؤلف «منية السائل اختصار الشمائل» الحجرية[3] تحت عنوان: إعلان بيان ما طبع من مؤلفات المؤلف حفظه الله... ثُمَّ قال الكاتب: بيان ما تحت الطبع الآن: «البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القَبْض من العناد واللجاج» في مجلد ضخم هو تحت الطبع بالآستانة». وقد كان هذا في سنة ١٣٣١ في ٢٣ جمادى الأولى منها.

– تلميذه وابن أخيه العلامة الصُّوفي الصَّالح السيد محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني رحمه الله تعالى في كتابه «سبيل الجنة في الاعتصام بالسنة»[4] وقال بأنه يقع في مجلدين.

– جريدة النجاح الجزائرية عدد ٣٥ تاريخ ٦ محرم عام ١٣٤٠[5].

---

(١) (٢٤/١).

(٢) (ص٢٨١) بعنايتنا.

(٣) (ص٤٠).

(٤) (ق٧٤) نسخة مصورة من خزانة الشريف الدكتور حمزة بن علي الكتاني حفظه الله ورعاه.

(٥) كما في مطالع الأفراح والتهاني (١٧١) بعنايتنا.

- وقد بقي ذكره على تلميذه العلامة السيد إدريس بن الماحي القيطوني الإدريسي في كتابه «معجم المطبوعات المغربية»[1] حيث ذكر له ٣٦ كتابًا من مصنفاته المخطوطة التي لم تطبع، ثُمَّ ذكر له ٩ كتب طبعت ولم يذكر في القائمة الأولى «البحر المتلاطم» لكونه لا يستوفي مؤلفات مترجميه إلَّا كتبهم المطبوعة بالمغرب كما هي عادته رحمه الله تعالى.

- وبقي ذكره أيضًا على محمد بن الشَّيخ عبد الله التليدي في كتابه «تراث المغاربة في الحديث وعلومه» مع كونه ذكر فيه ما كتب في السَّدْل والقبض، فقد ذكر كتاب «المثنوني والبتار»[2]، المسلوخ كثير من البحر نصًّا وحرفًا، ولم يذكر كثيرًا من مؤلفات المغاربة والشَّناقطة في مسألة القَبْض والسَّدل، وهذا المقدار يُبَيِّنُ لك بطلان ما فاه به الوضَّاع المصري في رسالته: «الاتجاهات الحديثية في القرن الرابع عشر»[3] من أنَّ الغماري هو أكثر المؤلفين المغاربة في الحديث وفنونه، بل قام بنسبة مئوية تبين أنّ الغماري له نسبة كبيرة من مؤلفات المغاربة في الحديث وعلومه، وذلك واقعٌ بالنسبة لكتاب التليدي لقصوره وتقصيره مع غير الغماري، واستيعابه حتى المشاريع المستقبلية للغماري، فكثّر العدد، وإن وَهى المدد.

- ومع كونه مذكورًا في كلّ هذه المصادر بقي ذكره على الدكتور محمد العلمي في كتابه «الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي» مع

---

(١) (ص٣٠١-٣٠٣).

(٢) (ص٢٤٣).

(٣) (ص٣٩١ -٣٩٢).

كونه جرد كثيرًا من هذه المصادر التاريخية، واستخرج منها المصنفات الفقهية المذكورة فيها.

ت - ومن أدلة صحة نسبة الكتاب إلى مصنفه ذكره في عدد من مصنفاته وإحالته عليها، وهي ثابتة النسبة إليه، فمنها:

- «المفاتيح لقراء المصابيح».
- «نقد فهرسة الكوهن».
- «عقد اليواقيت والزبرجد في أن ومن لغا فلا جمعة له مما نقب عنه من الأخبار فلم يوجد».
- «إعلام النبلاء في حكم الغسل على غسالة الكبراء».
- حواشيه على صحيح الإمام البخاري.
- «إنارة الأغوار والأنجاد بدليل معتقد ولادة النبي ﷺ من السبيل المعتاد».
- «الرَّحْمَة المُرْسَلَة في شأن حديث البسملة».
- «السر الحقي الامتناني الواصل إلى ذكر الراتب الكتاني».
- «الأجوبة النبعة عن الأسئلة الأربعة».
- تخريجه لأحاديث الشهاب[1].

---

(١) لم يذكر الغماري في رسالته «حصول التفريج» من مخرجي أحاديث الشهاب أحدًا سواه، وسوى كتاب الإمام عبد الرؤوف المناوي الذي ذكره ليتطاول عليه على عادته، وللشّهاب عِدَّةُ تخاريج حديثية لجماعة من العلماء المحدثين بالمغرب الأقصى، ووقفنا منها على تخريج الإمام الصوفي المحدث الصالح سيدي رضوان الجنوي الفاسي، وتخريجه للحافظ أبي العلاء الشريف إدريس =

- «البحث المحبوب في ترجمة السنوسي نزيل الجغبوب».

ث- كون النُّسخة الخطية الأم التي اعتمدنا عليها بخطِّ الإمام المصنف المعروف للباحثين والدارسين.

ج- نسبة الكتاب إليه في النُّسختين الخطِّيتين التي وقعتا إلينا مع نسخة الأصل، وهما بخط تلاميذ المصنف كما يأتي.

* * *

= العراقي الفاسي الحسيني، وتخريجه أيضًا للإمام المحدث الشريف محمد بن جعفر الكتاني، وتخريجه للعلامة المحدث الشريف محمد بن إدريس القادري الجديدي، وتخريجه للعلامة المحدث محمد بن محمد الحجوجي الفاسي نزيل دمنات وهو مطبوع، وتخريج أحاديثه للعلامة المحدث أحمد العمراني الفاسي، وتخريجه أيضًا للحافظ الشريف محمد عبد الحي الكتاني، وقد تكلمنا عليها في كتابنا «المعجم المعرف بمؤلفات الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني وما لحقها من أعمال».

مصادره وموارده وطريقته في التعامل معها

تنوعت وتشعَّبت مصادرُ المصنِّف، وقد أعددنا فهرسًا خاصًا بأسماء الكتب الواردة في الكتاب مع بيان محال ذكرها فيه، فنكتفي هنا بالإشارة إلى فنونها عن تعدادها وتسميتها، فنشير إلى تقسيم تلك المصادر حسب موادها، فنقول:

تنوعت مصادر المصنف في كتابه هذا بين كتب التفسير، وكتب السنة النبوية المشرفة بمختلف أنواعها؛ صحاح وسنن ومعاجم وأجزاء ومصنفات وغيرها، ومن كتب الفقه المالكي، وكتب الفقه الحنفي، وكتب الفقه الشَّافعي، وكتب الفقه الحنبلي، وكتب أصول الفقه على طريقة الأحناف، وعلى طريقة الفقهاء، وكتب الاعتقاد، وكتب الاصطلاح وعلوم الحديث، وكتب التواريخ والتراجم، وكتب الرجال والجرح والتعديل، وكتب التصوُّف والسُّلوك، وكتب الأدب، وكتب اللغة، وكتب الفهارس والأثبات، وكتب الرحلات، بَلْ تَعَدَّتْ ذلك كله إلى النقل من الكنانيش والمجاميع العلمية، واستوعبت النقل من نصوص الكتب وطررها وحواشيها وتوقيفات العلماء عليها[1]، كما نذكر أنَّ هناك مصنفات بعينها كانت عمدة المصنف في كتابه وهي:

(١) من ذلك نقله توقيف المحدث الضابط أبي زيد عبد الرحمن بن الحافظ أبي العلاء إدريس العراقي في تخريج حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القبض، وتوقيف أخيه الإمام أبي الفيض السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني على أثر سيدنا الحسن البصري رحمه الله في القبض.

«إيقاظ همم أولي الأبصار» للإمام صالح بن محمد بن نوح الفلاني، فقد أكثر من الاقتباس منه والنقل منه والتنويه به، فقد قال بعد أن نقل منه: «راجع بقية الكتاب فإنه كله هدى ونور، ولكنه قذى في عين أرباب التعصب والغرور الذين لا يخافون يوم النشور».

و«إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين» للحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، وقد نوَّه به كثيرًا واعتمد النقل منه.

و«سنن المهتدين» للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف الموَّاق العبدري الغرناطي، وقد كان هذا الكتاب من أهم مصادره التي اعتمدها وسايرها، وانتخب فوائدها وحصَّلَها، وأثنى عليها.

ومن كتب أصول الفقه كتاب «إرشاد الفحول» للقاضي أبي عبد الله محمد بن علي الشوكاني، فقد أكثر من الاتكاء عليه والتعويل عليه.

وله خصائص في التعامل مع هذه النصوص والمصادر أذكر منها الآتي:

- تطويله في جلب النقول على حسب عادة أهل عصره وبلديِّه من أنّ المسألة كلما كثرت فيها النصوص والنقول كلما اتضح أمرها، وقد أشار لذلك في مقدمة البحر بقوله: «معتذرًا للقارئ الفطن فيما يراه من الإسهاب في النقول والإطالة في جلبها، فإنه إذا علم أني أخاطب من لا يفهم إلا بذلك، ولربما لا يكتفي بكل ما تراه هنالك، أقام لي فيه معذرة وافية».

- استخراجه للمعلومات من غير مظانها:

ومن عظيم اطلاع واستحضار المؤلف نقله للمسائل من غير مظانها المعروفة، ولا مواقعها المطروقة، وهذا كثير في الكتاب، والذي ساعد المصنف في ذلك بعد توفيق الله تعالى، بالإضافة إلى كثرة مطالعاته وقراءاته هو التوقيف في هوامش كتبه ونسخه الخطية المحفوظة بمكتبته على المسائل التي يصادفها في غير مظانها، وقد يجعل في غلاف الكتاب فهرسًا بأهم فوائد الكتاب يسهل عليه الرجوع إلى النصوص المطلوبة، وقد ينقل نصوص ذلك في كنانيشه المتعددة التي وقع إلينا بعضها، إضافة إلى حفظه الواسع وعظيم تحصيله وحافظته الواعية.

وقد قال العلامة الكبير محمد بن أبي بكر التطواني عنه[1]: «إنَّهُ وحده اليوم فيما نعرف من يستطيع أن يستخرج النصوص لما يريده من مختلف الفنون». وناهيك بها من شهادة من مثله، وقد عرف وخالط أعلام المغرب والمشرق.

وقد لفت نظري نسخته الخاصة مثلًا من مسند الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عبد الخالق البزار، المحفوظة اليوم في المكتبة الوطنية تحت رقم (٣٩٣ك)، فقد علَّم بخطه على مسند سيدنا وائل بن حجر رضي الله عنه على حديثين في سنة القَبْض بما نصّه[2] «القبض، ثُمَّ القَبْض في الصلاة أيضًا».

---

(١) نقل هذه الشهادة عنه العلامة المؤرخ الوزير محمد المختار السوسي في كتابه «مشيخة الإلغيين من الحضريين» (ص١٨٣).
(٢) (ق ٢٤٦).

ونحو ذلك في كثير من موارده المخطوطة التي رجعنا إلى نسخه الخطية منها في تحقيقنا للكتاب من أجل توثيقها، فوجدنا نقراته وآثاره تدل على توقيفه للمسألة وتعليمه إياها.

استخراجه المسائل العلمية من غير كتب الفن، وهذا كثيرٌ جدًا في ثنايا الكتاب، فمثلًا:

نرى المصنف قد أكثر من النقل من «فتح الباري» للحافظ ابن حجر في عدة مسائل أصولية وقعت فيه مبثوثة في ثناياه.

ونراه ينقل من كتب التصوف مباحث فقهية وأصولية، وذلك ككتاب «سراج المريدين» للإمام الحافظ القاضي أبي بكر بن العربي المعافري[١]، و«الفتوحات المكية» للشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي.

- طول ممارسته ومدارسته للأصول والأمهات العلمية، فإذا احتاج إلى شاهد منها كان لطول ممارسته للكتاب أثره في استخراج المعلومات منه، ومن واضح الأمثلة في ذلك أنه لمّا تكلّم على مخالفة الحافظ ابن حجر لمذهبه الشّافعي استخرج أمثلة لذلك من مواطن مختلفة من كتابه «فتح الباري».

- استحضاره لمسائل الفقه المالكي وقواعده وكلياته وجزئياته، وهذا الأمر واضح في استحضاره مظانَّ المسائل ومحال النَّصِ عليها في مختلف

(١) للإمام المصنف عناية خاصة بهذا الأثر النفيس، فقد تجمع في مكتبته ثلاث مجلدات منه، منها أصل أصيل عليه خط مصنِّفه، وقد اقتبس منه في كثير من مصنفاته، وفي مقدمة محققه الدكتور عبد الله التوراتي تفصيل وتعريف بهذه العناية.

أبواب الفقه، فمثلًا حاشية العلامة علي الصعيدي على شرح العلامة الخرشي على المختصر الخليلي، فقد رجع إليها في مواطن، فمنها في فصل في تداخل العدد، وهذا الموطن أواخر كتاب النكاح في المجلد الرابع من أصل ثمانية مجلدات من الحاشية.

ومن ذلك كتاب «المعيار» للإمام الونشريسي، فقد استخرج من طول وعرض تلك الموسوعة الفقهية الضّخمة النصوص التي يتوقف بحثه عليها، فمنها نصوص من المجلد الحادي عشر من المطبوعة الحجرية الفاسية.

ومن ذلك حاشية العلامة الرهوني على شرح عبد الباقي الزرقاني على المختصر، فقد كاد أن يستوعبها نقلًا وبحثًا، وهو في كلِّ ذلك يربط النظير بنظِيرِهِ، ويقرن القَرِين بقرِينه، من القواعد المبثوثة في ثنايا تلكم الحاشية الضخمة.

وغني عن الذكر أن جُلَّ هذه الكتب وقت تأليف الكتاب، بل وإلى وقتنا هذا غير مفهرسة ولا مُكَشَّفَة لاستخراج المعلومة منها، بل إنَّ بعض النقول من تلكم الكتاب استغرق مني قراءة مجلدات كاملة من أجل توثيق المعلومة في تحقيقي للكتاب.

- ومن خصائصه اطلاعه على نوادر مصنفات علماء وفقهاء باقي المذاهب الإسلامية السنية، فنراه قد عقد فصلًا لحكم القَبْض في الصَّلاة، عند المذاهب السُّنية الثلاثة؛ الحنفية والشافعية والحنابلة، نقلًا من أمهات مصادرهم الفقهية المخطوطة قبل المطبوعة.

- ومن خصائصه أمانته في النقل وعدم طَيِّ الوسائط، وشكر مفيد الفائدة على مُقْتَضَى الأمانة العلمية والأخلاق المرضية.

ففي تخاريجه الحديثية ينص على الوسائط إن كان لم يقف على الأصل الذي يعزو إليه، وإن كان بين يديه نقل منه رأسًا تخريج الحديث سندًا ومتنًا.

بل إنه يُصَرِّحُ بوسائطه في نقولاته من كتب هي من مراجعه في كتابه هذا وغيرها من مصنفاته، إلَّا أَنَّهُ في بعض النُّصوص نقل منها بالواسطة، فَعَيَّنَ الواسطة، ولهذا أمثلة في الكتاب:

فقد نقل من «عارضة الأحوذي» للإمام الحافظ القاضي أبي بكر بن العربي، وفي مكتبته نسخة منه تحت رقم (١٨٠٠ك)، وقد وصفتها في كتابي «تاريخ المكتبة الكتانية»، إلا أنه لما نقل عنه بالواسطة صرَّحَ بذلك دون أي غضاضة أو تحرج بخلاف غيره من الأدعياء المُدَّعين، فنسب النقل لصاحبه والواقف عليه، وذكر الواسطة وهو المحدث السيد عبد الله بن الحافظ إدريس العراقي الفاسي الحسيني في طرره التي صَدَّرَ بها نسخته التي كتبها بخطه من موطإ الإمام مالك، وهي أيضًا من محفوظات مكتبته، وقد وصفناها في كتابنا «تاريخ المكتبة الكتانية».

ومن ذلك نقله عن «الإكمال» للقاضي عياض بواسطة المحدث أبي زيد عبد الرحمن بن الحافظ أبي العلاء إدريس العراقي الحسيني، فصرّح بواسطته مع كون الكتاب من مصادره التي أكثر من النقل منها في كتابه هذا.

ومن ذلك نقله من شرح جمع الجوامع للحافظ أبي زرعة العراقي، فصرّح بواسطته في النقل، وهو عصريه العلامة محمد يحيى الولاتي في شرحه على مرتقى الوصول، مع وجود الشَّرح المذكور في المكتبات العامة القريبة منه كمكتبة القرويين، ولعلّه في مكتبته أيضًا.

وإذا نقل من كتاب بواسطة نَصَّ على ذلك كما فعل مع نوازل مازونة لما نقل منها.

- ومن خصائصه في مصادره وموارده أيضًا أنه لم يكتف بالنقل من المصنفات والمؤلفات السابقة، بل تعدّى ذلك إلى تدوينه لأفهام وآراء ونقول شيوخه الذين أخذ عنهم وتَفَقَّهَ بهم.

ونظرًا لكون المصنف موصول الإسناد وافر الإمداد من مشايخ عصره وعلماء دهره ممن لازمهم وأخذ العلم عنهم، كانت كتبه مظنة النقول الشّفوية عن شيوخه في فهومهم وعلومهم، فقد دون في «البحر» كثيرًا من إفادات شيوخه العلماء الأعلام، كوالده الإمام السيد عبد الكبير الكتاني، وشقيقه العارف السيد محمد بن عبد الكبير، والعلامة مفتي الشّافعية بمكة الحبيب السيد حسين بن محمد الحبشي الباعلوي المكي، وشيخ الحنابلة بالشّام والحجاز الشَّيخ عبد الله القدومي النابلسي، والأديب أحمد الأنوار الشنقيطي وغيرهم، فضلًا عن رواياته الحديثية واتصالاته الأثرية المبثوثة في ثنايا الكتاب.

فلم يكن المصنف مقطوع الصّلات العلمية تتلمذًا وأخذًا، ولم يكن قاصرًا نفسه على بيته، وعلى مطالعة الكتب، دون التحصيل العلمي والمعرفي من الشّيوخ، ومثاقفتهم وملازمتهم، وطي الركب عندهم، بناء على أنَّ العلم مضمون له بالوراثة، كما لم يقصر نفسه على الدوران على العلماء للاستجازة فقط دون التعلم والتفقه، ولا التربية على يد المشايخ العارفين والأئمة المحققين كما ظهر في الأجيال التي تليه بما ضاع به العلم ورسومه وآدابه، ونتج عن ذلك تشوهات علمية ومعرفية ومنهجية، وعدد من الأدعياء المدعين، وسيأتي ذكر مثال لذلك.

- جديده وفريده في استخراجه لدلائل جديدة لم يُنَبه عليها أحد من العلماء السابقين، فمن ذلك عدة أحاديث في سنية القَبْض لم يسبق للمصنفين في المسألة الاستدلال بها، ولا للمؤلفين في السّنن وكتب الأحكام ذكرها في أبوابها، وكمثال على ذلك انظر حديث سيدنا عبد الله بن جابر البياضي، وحديث سيدنا أبي زياد مولى بني جُمَح رضي الله عنهما.

ومن ذلك ما ذكره لدى كلامه على عمل أهل المدينة وحجيته، والخلاف فيه، وتعيين المراد بالعمل المقصود في كلام الإمام، فقد انتبه لنصّ في موطإ الإمام نفسه فقال:

«والدليل القاطع والبرهان الساطع على أنَّ الإمام رضي الله عنه أراد بالحجية إجماع أهل المدينة إجماع صدرهم أيام الخلفاء، وما توارثوه ولم يدخله حدث، ما أغفل الاستدلال به هنا كل من رأيته تكلَّم على هذه المسألة من علماء الأصول على المذاهب الأربعة، وهو ما رأيته في «الموطأ» في باب النداء للصلاة وهذا نصه[١]: مالك، عن عمه أبي سُهيْل بن مالك، عن أبيه أنه قال: ما أعرف شيئًا مِمَّا أدركت عليه النّاس إلا النداء بالصلاة».

- وفي أثناء الكتاب بثَّ المصنف كثيرًا من استدراكاته في مختلف الفنون، وبالخصوص في علمي السّنة النبوية وعلم الفقه، فمن طريقته

(١) كتاب الصلاة الأول، ما جاء في النداء للصَّلاة (١/١٥٣ رقم ١٨٩) ط المجلس العلمي الأعلى. و (١/١٢٠ رقم ١٨٧) ط د بشار عواد معروف.

ومنهجه أنه ينقل كلام العلماء السّابقين، وإذا كان له مناقشة معه في ما نقله عنه عقَّبه باستدراكه عليه، وهذا كثيرٌ في الكتاب لذلك ارتأينا أن نعقد لهذه الاستدراكات والتعقبات فهرسًا خاصًا بمُستدركات المصنف على المُصنِّفين من قبله تفسيرًا وحديثًا وفقهًا وأصولاً، وفي غيرها من العلوم.

* * * *

منهج المصنف فيه

بدأ كتابه بمقدمة تمهيدية عرض فيها للأسباب الموضوعية التي جعلته يؤلف كتابه، وتحدث في مقدمة كتابه عن مبالغة علماء المغرب المُعاصرين له في التأليف في نصرة السَّدْل وذمِّ القَبْض والتنفير منه، مع حالة البلاد التي وصلت إليها سياسيًا وعسكريًّا واقتصاديًّا، والعدوُّ وقت ذلك بالأبواب، بل قد احتل عدة مدن مغربية، وغاية الأمر على حسب قولهم أنه مكروه لم تتفق الأمة على كراهيته، فإنكار غيره من المنكرات المجمع عليها أَوْلَى، ثُمَّ ذكر رسالة الإمام المكي بن عزوز ووقوعها الموقع الحسن منه ومن أرباب البصائر، ثُمَّ عرَّفَ بما كتب في الباب من مؤلفات قبل وبعد رسالة ابن عزوز، ثم أشار إلى قيام العلامة المفتي المهدي الوزاني بتأليف رسالته في الرد على الأستاذ ابن عزوز، وأنَّ جماعة من المهتدين طلبوا منه تأليف كتاب في الرد عليها وتزييف مباحثها، ففعل ذلك في كتابه هذا مشيرًا إلى أنه جعله خاصًّا وعامًّا فهو خاص بنقد اعتراضات الوزاني على رسالة ابن عزوز، وعام يستوعب الكلام على حجج السَّادلين عمومًا، لأن استدلالاتهم واحدة، ثُمَّ عقد بابًا ضمن المقدمة لذكر أدلة القَبْض في الصَّلاة من كتاب الله تعالى، وساق أقوال المفسرين في ذلك، واستقصى أقوالهم من مصادر كتب التفسير، ومن دواوين كتب السنة المُسندة، بادئًا بالتفسير المرفوع، ثُمَّ موقوفات الصَّحابة، ثُمَّ أقوال أئمة التفسير من التابعين فمن بعدهم إلى التفاسير القريبة منه زمانًا.

ثُمَّ عقد بابًا ثانيًا في المقدمة أيضًا ذكر فيه الأحاديث والآثار الواردة في القَبْض في الصَّلاة وتخريج أحاديثها واستوفى ذلك غاية، واستوعب ما أمكنه الوقوف عليه من الأحاديث، وكان السابق إلى تعداد عدة أحاديث في سنة القَبْض لم تذكر في الجوامع وكتب الأحكام وكتب الخلاف، فكان هو المبرز لها والمورد لها في مواردها، ويستوعب المصنف أقوال الحُفَّاظِ في الأحاديث النبوية.

وفي أثناء الكتاب استدراكات كثيرة للمصنف على المصنفين من قبله؛ حديثية، وإسنادية، وتاريخية، ورجالية، وفقهية، وأصولية.

ثُمَّ جعل الباب الثالث في حكم القَبْض في النفل والفرض عند أئمة الاجتهاد داخل المذهب وخارجه بنصوص أهل الثقة والسداد، وبذلك تمَّت مقدمة كتابه النفيسة.

ثُمَّ شرع في تتبع كلام العلامة محمد المهدي الوزاني حرفًا حرفًا كلمةً كلمةً في رسالته التي ردَّ بها على العلامة محمد المكي بن عزوز ونقضها عروةً عروةً.

ومن منهجه في ذلك:

- عدم استعجال النتيجة في إيضاح خطأ قول المردود عليه، بل يسوق كلامه تامًّا، ثُمَّ يشرع في بيان ما في كلامه من أخطاء، بانيًا ذلك على وجوه تكثر وَتَقِلُّ بحسب المسألة المبحوثة، يسوقها المصنف ويرتبها لينقض بذلك كلام المردود عليه.

- ومن ذلك أنه يحرص على نقل مذاهب المالكية في المسائل المبحوثة لديه فقهًا وأصولًا مما خالف فيه الشَّيخ المهدي الوزاني المذهب في استدلالاته، فيبين المُصنِّف مذهب المالكية، وينقل نصوصهم في ذلك، وذلك كثير نمثل له بمسألة مخالفة الراوي لمرويه، والتي احتج بها الوزاني على رَدِّ أحاديث القَبْض، مع كون ذلك مذهب الأحناف كمَا بيَّنه المصنف بتوسع.

- ومن معالم منهجه فيه تَنَوُّعُ معارفه والعلوم التي طَوَّف فيها، ففيه مباحث في التفسير والحديث والفقه والأصول والقواعد والتصوف والتاريخ والإسناد وعلم الكتب وغيرها من العلوم وضروب المعارف التي سبح فيها، وأبحر فيها في هذا البحر المتلاطم الأمواج.

- وفي ثنايا الكتاب فصول ماتعة عن مصنفات الأئمة والتعريف بها وبمناهجها وطريقة أصحابها واصطلاحها، كفصله الطويل الماتع عن كتاب «المدونة» ورتبته بين كتب المذهب.

- التوسع في ذكر النظائر وجمعها في فصل واحد كلما دعت الحاجة إلى ذلك، فقد عقد فصلًا لما رجَّحَ فيه الفقهاء خلافَ نصّ المدونة فذكر ست وأربعين مسألة فقهية من كتب فقهاء المالكية.

* * * *

خصائص منهاجه الفقهي وشرح مبادئه

أ- الإصلاح من داخل المذهب وفق القواعد والأصول والضوابط:

فمصنفه مالكيٌّ أثريٌّ، وقد أخذ هذا المسلك عن والده الإمام المحدث العارف السيد عبد الكبير، وهو قد أخذه عن والده العارف الكبير السيد محمد بن عبد الواحد الكتاني، وهو أخذه عن الإمام المحدث العارف السيد محمد بن علي السنوسي، وهو أخذه عن الإمام القطب الكبير سيدي أحمد بن إدريس العرائشي، فكلُّ هؤلاء السادات من أعلام المذهب المالكي السالكين المسلك الأثري في تقديم النصوص النبوية على الفروع الفقهية، التي لم تدعمها الأحاديث النبوية، وهذا المسلك مسلك جماعة من أئمة المالكية اهتبل بهم المصنف في كتابه هذا، ويكفي أن نسمي منهم الأئمة: الحافظ أبو عمر بن عبد البر، والحافظ القاضي أبو بكر بن العربي المعافري، والقاضي عياض بن موسى اليحصبي وغيرهم.

هذا وقد يَظُنُّ بعض الجُهَّال أو مقلدي خاملي الرِّجال، ممن تطاول دون مقدمات ولا آلات إلى دعوى الاجتهاد، ودونه وإيَّاها خرط القتاد، أنَّ ذلك قصور وتقليد من الإمام، خصوصًا وقد وضعوا في جملة موضوعاتهم ضد المذاهب والتمذهب، جُمْلَةٌ مُسْتَكْثَرَةٌ مُسْتَبْشَعَةٌ من الموضوعات، فنزل كبيرهم بآيات كتاب الله تعالى بزعمه على المقلدين في كتاب سماه «الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد»، وقد فتح بذلك بابًا جديدًا من

أبواب أسباب النزول، والعجب من المصري الوضّاع المفتون بتقليد إمامه المعصوم، والكذب له وتلميعه ولو بالأباطيل، كيف لم يعدَّ هذا من بديع اجتهادات إمامه، مما سبق به أقرانه بل والبشرية جمعاء، وقال وقالوا عن التقليد والعلماء المقلدين المتبعين للأئمة المجتهدين مقالة سوء، لأسباب ليس هذا محل بيانها ولا موضع ذكرها.

ولكن الأستاذ الإمام كان على نقيض الأدعياء، سالكًا سبيل العلماء المحققين والمصنفين المنصفين البارعين، فقد بذل جهده في التجديد والإصلاح من داخل المذهب وفق قواعده وانطلاقًا من نصوص علمائه، فهو وريثُ حضارة علمية وفقهية، وليس لقيطًا تتخاطفه الأهواء، وتتجاذبه الآراء، فمرة مالكي، ومرة شافعي، ومرة زيدي، ومرة شيعي، ومرة مدعي للاجتهاد، فقد اختار الإمام بحكمته وبالغ درايته طريق التجديد والإصلاح، وأخذ الموروث الواصل إليه عن شيوخه مع تطعيمه وتجديده دون مصادمته وإلغائه بالكلية كفعل الجاهلين الأدعياء، متمثلين بلسان الحال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[1].

بل كان شعاره ودثاره ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2].

وهذه بعضُ نصوصه في كتابنا هذا ترسم الخارطة العريضة لمبادئه وأفكاره:

(١) الأعراف: ٣٦.
(٢) الحشر: ١٠.

قال في «البحر»[1]: «ونحن لا نألو جهدًا بحول الله في الجمع بين روايات الرواة عن مالك وموطئه والمدونة ما أمكننا لذلك سبيلًا، إذ لا يمكن دعوى المعارضة مع إمكان الجمع».

وقال فيه أيضًا: «فهل من يرجح القَبْض الآن يقول به من غير استناد لإمام من أئمة المذاهب، لا، لا، بل استند أي استناد للمشهور في المذهب والراجح، وهكذا كل مسألة قلنا بها نستند فيها لأئمة من أئمة المذهب وفحوله، لا كما يزعمه الخصم من صيرورتنا بذلك من أهل الاجتهاد، وبذلك نختم هذه المسألة، وربما أتينا بما هو من بابها فيما بعد أيضًا إن شاء الله تعالى».

وقال فيه أيضًا[2]: «ونحن مالكية نقول بقول مالك، ونختار أصوله وندور مع قواعده، ولسنا بقاسمية، ولا أشهبية، ولا خليلية، ولا، ولا، أفمن يقلد مالكًا ويتبع أصوله وقواعده يسمى منابذًا له وعاقًا؟ كلَّا والله، العقوق بنبذ موطئه الذي ألفه بنفسه، والتمسك بكلمة في كتاب كُتب عن إملائه جَمع علم مالك وعلم غيره، على أن عبارة المدونة رُدَّتْ إلى عبارة الموطأ لصبِّ الكراهة على من قصد الاعتماد، وبالسُّنِّيَّةِ على من قصد الاستنان، فاتفقا وبقيَ أهل الجحد في واد الضلالة يهمعون».

وقال أيضًا مبينًا منهجه في الأخذ بالأحاديث النبوية: «فلسنا نرجح بعض أقوال الإمام بالحديث بمجرد وجوده، بل بعد تحرير النظر في متنه

(١) (٢/٣٣ق).
(٢) (ق٤٩) نسخة الأصل.

وإسناده، وخاصه وعامه، وناسخه ومنسوخه، ومطلقه ومقيده، ونصه ومفهومه، ومن أخذ به ومن لا، وهكذا عملًا بالقواعد الأصولية من باب تطبيق الجزئيات على الكليات، وقد أعان النّاس لو كانت فيهم همةٌ الآن على هذا الغوص ما أوجده الله في هذا العصر من كتب الدين الأصلية والفرعية التي لم تكن موجودة منتشرة في زمن من قبلنا».

وقال أيضًا شارحًا طريقته في الجمع بين متعارض نصوص المذهب وطريقته في الترجيح والاختيار: «وبذلك يتبين أن هذه التعاليل التي ذكرها أئمة المذهب وفحوله من الأقدمين كعبد الوهاب، وابن رشد، وعياض، وأبي الحسن شارح المدونة وغيرهم، ليست بزائدة في المذهب، بل هي التي أبقت بهجة المذهب وحمت رونقه وجماله من الابتذال وحرمته من الانتهاك، فالإعراض عنها والتمسّك بظاهر المدونة لا يمكنك إلّا بالجزم بإحدى أمور، إما أن رواية الاستحباب أو الإباحة باطلة موضوعة وجلالة ناقلها تمنعك من ذلك، لأن منهم ابن نافع، وابن الماجشون، ومطرف، وأشهب، وابن عبد الحكم، وكل من روى الموطأ عن مالك من أئمة الأقطار في ذلك العصر، وإمّا أنَّ هذه الأقوال متقدمة على قول ابن القاسم، وتحتاج هذه الدعوى إلى النَّصِ ومعرفة التاريخ، وأنّى لَكَ بذلك خصوصًا مع ما ذكر في ترجمة ابن نافع وغيره من المدنيين من شدة ملازمتهم لمالك، وجلوس ابن نافع بعد موته مكانه، فإن أراد الخصم الإعراض عن هذا كله والتمسك بنصِّ المدونة فدونه والوقوع في أعلام المذهب وتنقيصهم فَيَسْرِي ذلك إلى الإمام، لأنّا ما عرفنا منزلته إلّا بتلاميذه ومؤلفاته».

وقال أيضًا: «فالخوض في الكتاب والسنة على سبيل التفقه فيهما ومعرفة دلائل الفقه منهما ومثار الاستنباط، وما يميز به ضعيف المدارك وقويها هو العلم والإكسير للطالب، والفرق بين الجاهل والعالم على الحقيقة، وما أوجب لأهل عصرنا هذا الجهل إلا لاستصعابهم الخوض في الكتاب والسنة وإقامة الدليل منهما، لظنهم أن فيها الناسخ والمنسوخ والصحيح من غيره مع عدم التمييز، وما درى المساكين أن تكفل الله بشريعته الحقة أقام أناسًا للتفرقة بين المحكم والمنسوخ والصحيح والأصح ونحو ذلك مما أصبحت به ألسنة اليوم واضحة المسالك جلية الطرق والمسارب، ولو أن النّاس يستغرقون فيها نصف ما يستغرقونه من الأعوام في تعلم النحو والحساب والمنطق والأدب والعروض والفلسفة والتصوف الحادث المتكلف لأدركوا ما في الأصلين كتاب الله وسنة رسول الله ما لم يكن يدركه الأوائل؛ لتوفر الآلات اليوم وتيسر أسباب الرحلة إلى البلاد الشاسعة والكتب النافعة، والذي يقصر همم النّاس اليوم ما يسمعونه من أن هذا وظيفة المجتهد وما درى المساكين أن رتبة الاجتهاد شيء فوق هذا بكثير لا يصل الرجل إليها إلا بعد نفخ وطبخ، وأين هو من ينفخ ويطبخ لهذا الغرض الآن، وهي مرتبة أنيطت بالعيون ونحن بمنقطع الثرى، بل هناك بين معرفة دلائل المذهب ووجوه الاستنباط وإدراك قوي المسائل من ضعيفها بالدليل وبين رتبة الاجتهاد المطلق المستقل مهامه فيح، فالاجتهاد شيء، ومعرفة دلائل المذهب شيء».

وقال فيه أيضًا:

ثُمَّ ما نقله المعترض من كلام «المعيار» و«سنن المهتدين» لا يعارض ما أصلناه، لأن مرادهم حسم المادة بالنسبة لمن لا يفهم، وغلب عليه القصور، كأغلب أهل هذا العصر مشرقًا ومغربًا، وتالله إنَّ ضرر من يجهل الخوض في هذه المسألة، ثُمَّ يخوض فيها من غير تثبت ولا اطِّلاع على قواعد الأصول والفقه ومقاصد الشَّرع على الإسلام أكثر من ألف كافر، فذلك سدوا الباب ومنعوا هذا المسلك رأسًا، فأصلحوا من جهة وخرج خلاف المقصد من جهة أخرى، فإنَّ العقول والبصائر تقبصت بسدّ الباب جملة تقبص منعها من إدراك لذاذة دينها والقيام عليه بالحجة والبرهان، كما كان الأسلاف، فانحَطَّ الإسلام كله بسبب ذلك، والحق أنَّ النّاس منهم من فرط ومنهم من أفرط، والمفرطون أكثر وأجمل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * * *

منهج التربية والتزكية والنصيحة في الكتاب

لم يكن الكتاب جافًا بالمباحث الفقهية الصرفة، فقد طَعَّمَ المصنف كتابه بتوجيهاته التربوية ونقداته التأديبية التوجيهية، فقد كان مصنفه جامعًا بين العلمين الفقه والتصوف على حد قول القائل:

فقيهًا وصوفيًا فكن لَيْسَ واحدًا ... فـإني وَحَـقِّ اللّـهِ إِيَّـاكَ أَنْصَحُ

فـذلك قـاسٍ لـم يَـذُقْ قَلْبُهُ تُقًـى ... وهذا جهولٌ كَيْفَ ذُو الجَهْلِ يُصْلِحُ

فقد قَرَّعَ المصنف في بدايات كتابه على فقهاء عصره ممن اقتصر من الفقه على ما يوصله إلى أكل أموال الناس، ممن حبسو أنفسهم على أبواب المعاملات، وقَصَّرو في العبادات لعدم تعلق الأموال بها.

وقال في كتابه هذا: «وقد ظهرت بعد مسألة القَبْض مؤلفات للمستشرقين من النصارى في معارضة القرآن وإثبات ألوهية عيسى، وغير ذلك مما هو في البطلان أكبر بهتان. فلم يلتفت أحد إلى رد ذلك ولا نقضه، وظهر بعد ذلك من الزيغ في العقائد وغيرها ما لم يكن بحسبان، فما أنكر ذلك منكر، فما هذا وذاك؟ فما جواب هؤلاء إذا سألهم الله عن السُّكوت عما ذكر وإباحته وإيضاح هذه القيمة على من يقبض أو يرفع، ورحم الله الإمام ابن عطاء الله إذ قال[1]: من علامات اتباع الهوى التكاسل عن الواجبات والمسارعة إلى نوافل الطاعات. فكيف بمن يسارع ويبالغ

---

(١) الحكمة رقم ١٩٣ (ص٦٩) متن الحكم العطائية.

بقلبه ولسانه ويده وأرجله، وكل ما يمكنه من الإذاية لمن يسارع للواجبات والنوافل؟». اهـ

وفي خاتمته يقول مبينًا أنَّ مقصوده الانتصار للسُّنة النبوية، وليس لشخصه ولا لأتباعه من القابضين: «ولولا أن التُّقى مُلْجِم لأسهبنا في الوصف والحال، ولكن نحن قوم تركنا الحق يتصرف لنا، ويكفيه ما فيه، والتراجم محفوظة حِفظَ السِّوار للمَعاصِم، وفي الصدور، لا في أوراق البُور!

وقال أيضًا معللًا سبب ختمه لكتابه بقصَّة سيدنا أويس القرني رضي الله عنه: «وإنما آثرنا خَتْمَ هذا المؤلف بهذه القصة؛ لمقاصد: أهمها: ما تُحدِثُ في قلب القارئ من الرقّة، فعساها أن تجبُر خلل الإسهاب في تصوير الفِقْهِيّات؛ فإن الإكثار منها يُقسي القلب، وأشرفُ الوسائل، وأنفع المسائل: ما صَلُح به الفؤاد، وعَظُمَت به محبةُ الله، وتَرَقَّت في الازدياد، فيندرجُ به العبدُ في سِلْكِ أهلِ الشهود، ويخرُج مِنْ حَيِّز أهل الرسوم والجمود».

* * * *

قيمته العلمية وفرائد فوائده

فأمَّا من الناحية الحديثية فقد كان لملكة المؤلف في هذا الفنّ الشَّريف الحضور القوي في ثنايا الكتاب، فتراه يناقش كبار الحفاظ والمحدثين من أمثال ابن التركماني، والزين العراقي، والجمال الزيلعي، والحافظ ابن حجر، والجلال السيوطي، والسيد محمد مرتضى الزبيدي، والقاضي محمد بن علي الشوكاني، وغيرهم، ونراه يذكر أحاديث وطرق ومخرجين لم يُسْبَقْ إلى ذكرها في الباب.

ومن الناحية الفقهية نرى سعة حوصلة المصنف وقيامه بالفقه خير قيام، واستيعابه لمصنفات الفقه المالكي، وعدم اكتفائه ببحث مسألة السَّدْل والقبض، بل جعل هذا الكتاب ريّانَ من المباحث الفقهية من مختلف الكتب والأبواب والمَسائل، وقد بدا فيه مقدار استجلاء المصنف لدقائق نصوص المذهب، ومناهج لأئمة فيه.

فمن فرائد فوائده: جمعه للمسائل التي خالف فيها علماء المذهب ظاهر قول المدونة لقول الإمام وروايته في الموطأ، وقد ذكر خمسة وأربعين مسألة، ومن أمتع فصوله فصله النفيس الذي عقده في تقديم الموطأ على المدونة بنصوص أعيان المذهب وعلمائه.

ومن الناحية الأصولية نراه واسع العارضة في ذكر أقوال الأصوليين واستيفاء مباحث الفنِّ مع المناقشة والتعليل والترجيح والاختيار.

ومن الناحية التاريخية نجد فيه تراجم مطولة، كترجمة الإمام المحدث صالح بن محمد بن نوح الفلاني، وهي أوسع تراجمه وأجمعها، وهي مادة من جاء بعده، بل إنَّ الشَّيخ أحمد الغماري نقل جلَّها في ترجمته للفلاني في الطبعة المنيرية لكتاب «إيقاظ همم أولي الأبصار» على عادته، ومن ذلك تراجمه للمجتهدين في كتابه.

* * * *

ثناء العلماء على البحر المتلاطم

قال مصنفه فيه في كتابه «المظاهر السامية»[١]: «البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القبْض من العناد واللجاج» في مجلد ضخم تحت الطبع الآن في الأستانة، وأرى أن هذا الكتاب لا يقوم مطالعه كيف ما كان تعصبه إلا سنيًّا أثريًّا».

وقال العلامة الأديب المشارك محمد الشافعي النفطي التونسي[٢] في تقريظه للكتاب المثبت بخطه آخر نسخة الأصل:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي خلق سيد الوجود من قبضة من نوره الكامل قبل خلق العالمين، وأرسله رحمةً لِكُلِّ موجود داعيًا إلى اللَّهِ بإذنه النّاس أجمعين، وأفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام على سيدنا محمد المُؤَيَّدِ بالمُعْجِزات، الذي بيّن الكتاب والسنة، الحلال والحرام، والمندوبات والسنن والواجبات، وعلى آله أفضل البرية بعد النبيئين والمرسلين، وعلى أصحابه ذوي المراتب العلية، وكل من تبعهم بكلمة الإسلام إقرارًا وتصديقًا إلى يوم الدين.

---

(١) (ق٢٨٩-٢٩٠) نسخة المصنف.

(٢) (ق٢٧٨/٢٧٧) نسخة المصنف.

أما بعد: فإنه لما أفلت شموس الأمة المحمدية الواضحة الإشراق، وخسفت بدورها الكوامل من الآفاق، وتراكمت ظلمات الجهل على البلاد لفقد أنوارهم، فاقشعرت وصوَّحَتْ نباتاتها اليانعة لمسك أسرارهم، واتخذ من خلفهم من الأتباع كتاب الله وأحاديث رسول الله وراءهم ظِهْرِيًّا، حتى كاد أن يكون العمل بما فيها أمرًا منسيًّا، أطلع الله في هذا العصر الحالك بدرًا منيرًا، من بيت صاحب الرسالة سيدنا محمد المبعوث رحمة وبشيرًا ونذيرًا، مبينا للسنة النبوية ولأساسها المحكم مشيدا، كما ورد أن الله يبعث لهذا الدين على رأس كل قرن مجددا، ألا وهو جلالة الأصولي الذي خاض بحر أصول الشّريعة، فاستخرج منه فوائد دره، وأوضح دلائل إجماله وتفصيله، وكشف الأستار عن حقائقه ومخبئات أنواره بسالم فكره البليغ، الذي زين الطروس بمحاسن البديع والمعاني والبيان، الحافظ حجة الله الدامغة لكل معاند منكر للحق في هذا الزمان، وسيفه المسلول المصاغ من سيدتنا فاطمة البتول، نجل الفارس الكرار، ليث الكتائب، وزير رسول الله سيدنا علي بن أبي طالب

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

سيدنا ومولانا أبو الهدى محمد عبد الحي، المحدث الشهير، نجل العارف بالله المتحقق بقدم رسول الله، صاحب المقام الخطير، سيدنا ومولانا عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني النسب، الذي تعطر بأنفاس سيد العجم والعرب، الفاسي أصلا ومنشئا وأهلا، فقد قام على ساق الجد والاجتهاد يميز بين الحق والباطل، مما دون في الكتب إرشادا للعباد، وقد أظهر بعض ذلك في كتبه بإنشائه البديع أصبحت كالبدور يهتدي بها

المهتدي، ولا يعرض عنها إلا جاهل محب للظهور، منها كتابه المسمى بـ«البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القَبْض من العناد واللجاج»، الذي فتح فيه عنها مغاليق الدقائق، المرصع في التأويل فائق، ما بين مطرف ومتوازي الشّجعات، وجمل غير مسجعة تعجز ببلاغتها معارضها كالآيات الباهرات؛

ردت بلاغتها دعوى معارضها ... رد الغيور على الأشبال في الأجم

وقد شَنَّفَ سمعي حضرة مؤلفه الذي عمَّ ذكر الأصقاع بسرد البعض منه بأحسن صوت مطرب لا يمل منه السّماع، ثُمَّ أَجَلْتُ في مستودعات حدائق ألفاظه بصري، وأرخيت العنان للغوص والسباحة في أنهار جناته لنظري، فألفيته كشافًا عن حقائق مكنونات أسرار الحديث والتنزيل، محققا لإظهار لؤلؤة سنة القَبْض من أصدافها بلا تأويل، مصونا بين الحشي ما بين الإطناب والإيجاز، ساطعة منه أنوار السحر ودلائل الإعجاز، أرسل فيه أبطالا من نقباء العرب فوق مسومة مقلدة ببيض على حزب الشّيطان، نصرة وتأييدا لمن أحيا سنة القَبْض في هذا الزمان من حزب الرحمن، متمسكا في دفع اعتراض المُبطلين بحبل العدل والإنصاف، متجنبًا في نحو ما كتبوا منكرين مسلك أهل البغي والاعتساف، إذ أنه قد رفع عن سنة القَبْض الأستار ببراهين من الكتاب والسنة ساطعة، وأبطل أقوال أهل الإنكار بحجج بالغة قاطعة، فما هو إلا بحر متلاطم الأمواج، قد طغى فأغرق أهل العناد واللجاج، فلله در من أفاضه رحمة لأهل الإنصاف، مؤلفه يتيمة عند الأشراف، أدام الله أنواره في أجزاء العوالم سارية، وأنهار أسرار معارفه بين الأنام جارية، من قال آمين أبقى الله مهجته، فإن هذا دعاء يشمل

البشر، وأسأل الله أن يبقى البيت الكتاني محلّ علم ورشاد، مغمورا بخيرات الدنيا والآخرة ومورد آمال العباد.

آمين آمين لا أرضى بواحدة   إني أجدد طول الدهر آمين

وأستمنحه جَلَّ وَعَلَا أن يختم لنا ولجميع المُسلمين بخاتمة السعادة الأبدية، وأن يجعلنا من أهل العناية والاصطفاء والاجتباء لحضرته الاختصاصية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

كتبه المزجى البضاعة، المشفق من سوء كسبه وقلة الطاعة، محمد الشافعي بن محمد بن علي النفطي بلدا الشريفي قبيلة التونسي عمالة الأحمدي مشربا المالكي مذهبًا، عفا الله عنه، في شهر ربيع الثاني سنة ألف وثلاثمائة وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية».

إطراء الإمام السيد محمد المكي بن عزوز لكتاب «البحر المتلاطم»:

قال المصنف في كتابه «المظاهر السامية»[1]: «وقد أطراه الأستاذ الكبير الشَّيخ السيد محمد المكي بن عزوز لَمَّا وقف عليه قائلًا في رسالة بعث بها إليّ من الآستانة: لقد ملأتمونا مننًا وغمرتمونا نعمًا بتأليفكم هذا البحر، اسم طابق مسماه، إنه أدهشني والله حتى كدت أدوخ بين تعجب وحمد وشكر لله، واستعظام لشأن المؤلف وإكبار تلك النباهة والإحاطة

(١) (ق٢٩٠-٢٩١) نسخة المصنف.

بتلك العلوم، وحسن التطبيق ورعاية قواعد البلاغة في التركيب، إلى غير ذلك مما لا يكاد يجتمع في إنسان واحد، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، كنت لما ألفت كتاب «السيف الرباني»[1] وعرضته على نُظَّار جامع الزيتونة ليأذنوا بطبعه إن أعجبهم حسب القانون، وأعلمهم وأدقهم نظرًا شيخنا سيدي عمر بن الشيخ، ولا يخشى إلاّ منه، فبعد اطّلاعه عليه كله قال لي: أقول لك كلمة باليمين لئلا تظنّ أنها مجاملة ظاهرية مني، ما ظننت أنه يوجد على وجه الأرض من يؤلف مثل هذا الكتاب، فهذه الكلمة كتابكم هذا أحق بها وربِّ الكعبة، أين «السيف الرباني» من «البحر المتلاطم الأمواج». هـ من خطه.

وقد نقلها باختصار العلامة السيد عمر بن الحسن في كتابه «مطالع الأفراح والتهاني»[2].

وقال في مكتوب آخر منه وهو كتاب كبير: «إنكم بهذا الكتاب أَدَّبْتُمُوني وكسرتم شوكة إعجابي بنفسي، وعرفتموني قدري، وأوقفتموني عند حدي، بلسان الحال، لا بلسان المقال، كانت نفسي الخبيثة تظن أن ليس في غالب المعمور من يحسن التأليف مثلها، وأظنُّ أن لو سئلت قبل كتابكم هذا: هل تعلم من يطلع على مخبآت الكتب وذخائر الدفاتر وينقب في كلّ فن ويصنّف بانسجام وتنظيم رائق، ويُطَبِّقُ القواعد على موضوعاتها مثلك؟ لقلت ولو في قلبي: لا، فقد أبرز الله لي ما يكذّب النفس الأمارة

(١) هو كتاب «السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث التيجاني» طبع بالمكتبة التونسية الرسمية سنة ١٣١٣.

(٢) (ص٥٢٨).

بالسوء وَعَرَّفَهَا أن في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا، وما حسدتكم في أنك شاب وَأَنَا اشتعلت لحيتي شيبًا أو كادت، بل سررت بأنك تبقى في المستقبل إن شاء الله عشرات السنين تنفع المسلمين وتنصر الدين، وأنت أهل لذلك» هـ من خطه، وقد نقلها باختصار العلامة السيد عمر بن الحسن في كتابه «مطالع الأفراح والتهاني»(1).

وقال في رسالة بعثها للمصنّف بعد وصول «البحر» إليه، قال عنها المصنف في خاتمة «البحر»(2): «الحمدُ لله، لَمَّا فرغت من هذا المصنف العجيب، طلب مني العلامة الكبير الأستاذ النحرير الشَّيخ محمد المكي بن عزوز التونسي الإسلامبولي هجرة أن أرسله له ليطبعه، فلما وَصَلَهُ كتبَ إِلَى من أرسلته له على يده، وهو صاحبنا الفقيه النبيه الحكيم الصوفي الفاضل السيد مصطفى بن عبد السلام الزودي بطنجة بعد أسطر الافتتاح ما نصه: فقد بلغنا تأليف علامة عصره وسراج قطره مفخرة الإسلام ومرشد الأنام، الشَّيخ الأستاذ سيدي محمد عبد الحي الكتاني، أمَّا هذا الكتاب الذي جاءنا من حضرة الأستاذ المذكور فقد دَوَّخَنِي لَمَّا طالعته، وسبحت في بحره فوجدته آية من آيات الله، وبركة نبوية هو مصداق حديث: أمتي كالمطر. إلخ.

وبه يعرف معنى حديث: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله إلى يوم القيامة»، أو كما قال، لا سيما رواية طائفة من أهل المغرب، وَمَا سَمِعْنَا بأحد في الغربين الأقصى والأوسط قائمًا بنشر الدِّين وإحياء السُّنَّة على وجهها غير السادة الكتانية، رزقنا الله رضاهم والاقتداء بهديهم» هـ

---

(1) (ص٥٢٨).

(2) (ق٤٤٩) نسخة مكتبة السيد المهدي الكتاني.

المقصود من الكتاب المذكور عن خطه بتاريخ ١٢ محرم فاتح سنة ١٣٣٠هـ.

وقال في رسالة منه للمصنف بعثها له بعد توصله بالكتاب(1):

«الخطاب الخامس عشر: «زيادةً على فضلكم علينا بـ«البحر المتلاطم الأمواج» في نصركم لنا ولسنة القَبْض، ولرسالة «هيئة الناسك» لكم عليّ الفضل آخر ما جاء لبالكم فضل عظيم ومنة طوقتمونيها، وهي أنكم بهذا الكتاب أدبمتوني وكسرتم شوكة إعجابي بنفسي، وعرفتموني قدري، وأوقفتموني عند حدي، بلسان الحال لا بلسان المقال، كانت نفسي الخبيثة تظن أن ليس في غالب المعمور من يحس التآليف مثلها، وأظن لو سُئِلتُ قبل كتابكم هذا: هل تعلم من يطلع على مخبآت الكتب وذخائر الدفاتر، وينقب في كل فن، ويصنف بانسجام وتنظيم رائق، ويطبق القواعد على موضوعاتها مثلك لقلت: لا، ولو في قلبي، فقد أبرز الله لي ما يُكَذِّبُ النفس الأمارة بالسوء، وعرَّفها أن في الزوايا خفايا، وفي الرجال بقايا، وأن أولئك السادات الكتانيين هم الطائفة القائمة بأمر الله ورسوله، هم العلماء بالله ورسوله وبالدين، هم المعانون من الله في أوقاتهم وكتبهم، هؤلاء الذين كلامهم أشدُّ وقعًا على المبتدعة من مواقع المِتْرَلْيوز(2)، لا المكي ابن عزوز، ولكن أحمد الله حيث وعظني الله بك وأنت شاب، وأنا اشتعلت لحيتي شيبا أو كادت، بل سررت بأنك تبقى في المستقبل إن شاء الله عشرات السنين، لتنفع المسلمين، وتنصر الدين وأنت أهل لذلك..

---

(1) (ق٣٤٣/أ- ٣٤٤) نسخة صديق الرندة، وعنه المصنف في المظاهر السامية (ق٤٥٧)، وولده في مقدمة فهرس الفهارس (١٢/١).

(2) الرشاش الحربي؛ كلمة بالفرنسية.

الخطاب الثاني والعشرون: قد أخبرناكم سابقًا أنَّ جماعة صنفوا في الردِّ على من اعترض علينا في المدينة، وهو الحافي الذي سمى نفسه الكافي، ومنهم واحد من المنتصرين لنا جمع في الرد مع الكافي المهدي الوزاني، فأنا أكتب له غدا إن شاء الله أن يقتصر في الرد على الكافي، نخبره أنَّ المهدي كفاك إيّاه «البحر المتلاطم الأمواج»، لأن الأمر كما قلتم في البحر استدلالات السادلين واحدة، فالرد على واحد رد على جميعهم...».

وقال في رسالة منه لابن خالة المُصَنِّف وابن عمه الإمام المحدث العارف بالله السيد محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني رحمه الله تعالى[1]: «وأمّا كتاب ابن عمكم وابن عمتكم سيدي عبد الحي فهو كبير يطبع وحده في جزئين، ولم يتعرض لرسالة الكافي، وإنما هو في الردِّ على المهدي الوزاني، وهذا كتاب مُدْهِش أرسله إليَّ لِيُطبَعَ هنا، اسمه «البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القَبْض من العناد واللجاج»، أو «نصرة هيئة الناسك وردع من لم يهتد إلى حججها الواضحة المسالك» وهو ستمائة صحيفة، وأراد المُحِبُّون من أفاضل فاس أن يطبع معه في كل صحيفة «هيئة الناسك»، واعتراض المهدي ليسهل الاطّلاع على مقاصد المؤلفين الثلاثة باستيعاب، وعزمنا على ذلك إن شاء الله، ولكن الخط المغربي لا يقرؤه أهل المطبعة ولا غيرهم هنا، فلزم نسخه بالخط المشرقي ثُمَّ طبعه بحول الله وقوته.

---

(١) نشرت صورتها ضمن كتاب «المحدث الكبير العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني» للدكتور محمد بن عزوز (٢/٦٠٩).

كما أتاني من بعض تآليف سيدي محمد عبد الحي على يد سيدي المصطفى الزودي في طنجة جزاه الله برضاه تعالى وإرضاء شيوخه عنه...» وتاريخ هذا المكتوب يوم الاثنين ١١ محرم فاتح سنة ١٣٣٠.

ومن ذلك أنه كتب رسالة لصاحبه العلامة المفتي محمد أبو رأس بن سيدي محمد بن سيدي أحمد بن هني بن الشَّيخ أبي طالب المازوني من الآستانة بتاريخ سنة ١٣٣٠، قال عنها الحافظ وقد وقف عليها عند ولده مفتي مازونة الفقيه المعمر السيد الحاج محمد بن محمد أبو راس، ولخَّصَ منها الآتي:

«ثُمَّ أشار له إلى مسألة القَبْض ورسالته والناقدين عليها، وأشار إلى انتصارنا له فيها قائلًا...»[1]. وقد أبقى الحافظ محل النص فارغا في مسودة الرحلة التي وقعت إلينا.

* * * *

---

(١) (١/١١٠ق/ب).

المستفيدون منه والواقفون عليه

١- العلامة محمد المكي بن عزوز، وسبق ذكر ثنائه على البحر، وسيأتي ذكر خبر إرسال المؤلف له بالبحر، وما صاحب ذلك من الشروع في طبعه، ثُمَّ وفاته قبل تمام ذلك المشروع، رحمهم الله تعالى.

٢- العلامة الفقيه قاضي المالكية بتونس السيد محمد الصادق النيفر التونسي، صرّح الحافظ في مراسلته مع الإمام المكي بن عزوز بأنه وقف على «البحر المتلاطم الأمواج» فقال: «وقد واعد بعد اطلاعه على البحر بالتقريظ عليه، وناهيك منه إخلاصًا لنا ولكم».

٣- العلامة السيد محمد المهدي الكتاني، وسيأتي ذكر عنايته بأصله الخطي من البحر وحواشيه وتوقيفاته عليه.

٤- العلامة عبد الواحد بن عبد الله بن علي الرباطي[1]، فقد كتب بخطه حاشية على نسخة العلامة السيد محمد المهدي الكتاني التي يأتي وصفها، وهي في الورقة ٨٠.

---

(١) ولد سنة ١٣١٢ وقيل في التي قبلها، وتوفي سنة ١٤١١. ترجمته في: معجم المطبوعات المغربية (ص٢٣١). وإسعاف الطلاب الراغبين (ص٤٤٤-٤٤٦)، والتأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين (ص٤١٥-٤١٦).

٥- العلامة المشارك الأديب السيد عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، حسبما رأيته مُقيَّدًا بخط الإمام.

٦- الشَّيخ المحدث أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، وسيأتي ذكر اختلاسه لجل مباحث الكتاب ونقوله النادرة دون عزو ولا شكر الواسطة على قاعدته في ذلك.

٧- العلامة المحدث محمد الحافظ التيجاني المصري، فقد ذكر الحافظ تملكه للنُّسخة الكاملة التي وجهها للعلامة المكي بن عزوز.

٨- العلامة الفقيه الصُّوفي محمد بن أحمد بن احساين النجار السّلوي، فنسخة مكتبة أستاذنا الصديق الرندة من جملة ما آل إليها من أصول المكتبة النجارية قبل كما يأتي الحديث عنه في وصف النسخ الخطية، وقد علَّق بخطه على هذه النسخة.

٩- العلامة المحدث المسند الصوفي السيد محمد الباقر بن الإمام العارف السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني، فقد علَّق بخطه على نسخة المكتبة النجارية السّلاوية، وقابلها بأصل آخر، وأثبت الفوارق، وألحق السقط بخطه كما يأتي.

١٠- وعلى النسخة المهدية توقيفات لعدد من العلماء، عرفنا منها توقيفًا بخط تلميذ المُصَنِّف العلامة محدث الحرمين الشَّريفين الشَّيخ محمد المنتصر بالله بن الشَّيخ محمد الزمزمي بن الإمام محمد بن جعفر الكتاني[1].

---

(١) (ق٣٢١).

١١- العلامة الفقيه المشارك البحاثة محمد بن أبي بكر التطواني، فقد كتب مقالًا في مسألة القَبْض والتعريف بما صنف فيها، نشر بمجلة النجاح الغراء بالجزائر، وهذا نصه[1]: «القبض في الصلاة أيضًا: قرأت ما رفعه بعض الأفاضل حول مسألة سنية القَبْض، فرأيت من الواجب الأدبي تزكية مشروعه النفيس وأنظاره المستقيمة، ولكي يقتدى به في مسألة الرفع، وهكذا حتى تنشر السنة وتموت البدعة، فإنما دمنا قاصدين السبّ والفحش في القول من غير إبداء وجه سديد يتجلى للقارئ ويشخص له الحق في جزئية من جزئيات الدين، إلَّا ولا نستريب في أنه استسمان لذي ورم، ونفخ في غير ضرم، بل ربما لا يعقب ذلك إلَّا التباغض والتقاطع، وليس وراء ذلك ما يُجْنَى، وقد راقني جدًا المشروع الذي اختاره الكاتب أن يكون موضوع كتابته، واستشعرت بأنَّ دين الإسلام أخذ في الانتعاش بعد أن درج سماه الحقيقي أدراج الرياح، ولطخ جوهره المضيء بالدخيل، ومن كان على شاكلته من ذوي الأغراض الفاسدة والتأسيسات الكاسدة، فإنَّ سنية القَبْض قد دفنها المغاربة منذ زمن، ولم يقدر الله لها رواجًا رغمًا عن كثرة ناصريها والقائل بمشروعيتها، حتى أتى الإمام أبو عبد الله سيدي محمد المسناوي فأَلَّفَ فيها رسالة في مقدار كراسين من ألطف ما كتب، ومع ذلك بقي الأمر على ما ذكر بين منتظر قاصد ومتعقب جاحد، حتى قَيَّضَ الله لها الأشراف الكتانيين، فنصروها بالقول والتأليف والفعل، وألزموا أصحابهم العمل بها، وألف فيها بالخصوص منهم الأشياخ الثلاثة؛

(١) أتحفني بصورة المقال الدكتور حمزة بن علي الكتاني جزاه الله خيرًا، عدد ٣٣٧ بتاريخ ٢٠ صفر عام ١٣٤٥.

أبو عبد الله سيدي (محمد بن) عبد الكبير، وأبو عبد الله سيدي محمد بن جعفر، وأبو الحسنات سيدي عبد الحي، ونظم فيها أيضًا الشَّيخ سيدي عبد الرحمن، وتبعهم على ذلك جمع غفير.

أمَّا تأليف الأول فهو من أمتع كتاباته وألطفها، حذا فيها غالبًا حذو الشَّيخ المسناوي.

وأمَّا تأليف الثاني فلم أقف عليه، إلَّا (أنَّ) تلميذه المحدث شيخنا الصالح سيدي عمر ابن حمدان المحرسي التونسي أخبرني عنه أنه أحسن ما ألف في الموضوع.

وأمَّا تأليف شيخنا أبي الحسنات فقد ردَّ به على تأليف شيخه[1] أبي عيسى سيدي المهدي الوزاني لَمَّا قام بالرد على ناصر القَبْض من أفراد تونس الشَّيخ سيدي المكي بن عزوز، فأجاد في الردِّ والنصر للقبض انتصارًا باهظًا، لا أظن أنَّ الغير قد ساواه في ذلك ولا قاربه، فإن كتابه هو الذي وسمه بـ«البحر المتلاطم الأمواج» من أنفس ما ألف، وأجمع ما رأيت من آثار أقلامه، يدل على ذهن نقاد وعلم وقلم سيَّال، وحافظة وقادة، واطلاع شاسع، استوعب فيه كلام من تقدمه من الأعلام، وبالأخص تأليف المسناوي وشقيقه الشَّيخ أبي الفيض، وزاد بفحصه وتتبعه لغيرهما، خصوصًا ما للأثريين من الحنابلة وعلماء الهند واليمن، فجاء مجلدًا ضخمًا في نحو الثلاثين كرَّاسة.

(١) يبدو أنه تصحيف من المجلة، وصوابه شيخنا، فالوزاني شيخ كاتب المقال العلامة محمد بن أبي بكر التطواني.

وحذا حذو البيت الكتاني في الانتصار لسنية القَبْض الإمامان المحققان شيخنا أبو العباس سيدي أحمد بن المامون البلغيثي، وشيخنا أبو فارس سيدي عبد العزيز بناني، أمّا الثاني فبالفعل والتأليف، وأما الأول فبالعمل فيما أعلم، ولا أظنه يترك الكتابة فيه لدقة نظره وقوة مشاركته، وقد قامت بمن جدّ من علماء المغرب لمّا قدر الله إحياء هذه السّنة، وكثرت الكتابة بين الطرفين، ورفع الواشون الشكاية بذلك لجلالة السلطان المولى عبد العزيز بتسنن السادة الكتانيون (بقبض نبيهم ورفعه) ولم تزل أسواق الجهالة قائمة والصياح من كل جانب حتى كانت العاقبة لأصحاب السنة.

ومن ألطف ما وقع أنَّ والدي المرحوم لما قام بمدينة سلا بسنة القَبْض والرفع ودعا النّاس إلى العمل بها تمادى عليه قاضي البلدة إذ ذاك وألزمه بتركها، فلما رأى الجدّ من الوالد وأظهره الله عليه في الحجاج، ولم يجد له قامعًا سوى السجن، فامتحن والدي فيه نحو الشهر، تمادى فيه على القَبْض والرفع، ولم يزحزح عنها قط، حتى قدر الله خلاصه من الظّلمة، وبقي يدعو النّاس إليها حتى صارت سنة القَبْض والرفع في بلدتنا، وقد عدّها له أحد أعيان القطر من أجلّ ما يذكر له المؤرخ في تاريخ حياته.

فهذه الأدوار التي مرت على سنة القَبْض سلسلتها التاريخية على وجه الإجمال، نوينا بها سعيك المشكور وفعلك المبرور، فلقد قمت يا أبا الوفاء بحسنى نودي عليها منها و﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[1]، وحملت وأنت في صلواتك على من عارضك، فقطعت أنفاسه وحسكت

(١) التوبة: ٩١.

أوداجه، فلا غرابة إذا حركنا الأقلام نحوك محبذين عملك وشاكرين صولتك، لا سميا وقد تخيرت النقل عن شيخ الإسلام ابن القيم، وقصرت دليلك على «إعلام الموقعين» له دون «زاد المعاد» وغيره من كتبه السامية الكافية، تاركًا النقل عن كل من نصر القَبْض من المالكيين، كأبي عمر ابن عبد البر، وابن العربي، وأبي الحسن اللخمي، وأبي الوليد بن رشد، وأبي الفضل عياض، والبدر القرافي، وابن جزي، بل هو مذهب الإمام في «الواضحة» ورواية القرويين عنه، وروايته في مدونة علمه كتاب الموطأ ومذهب الأئمة الثلاث، والنووي، وابن راهويه، وداود الظاهري، وابن ثور، وأبي جعفر الطبري، وغيرهم من أئمة الأقطار، فلله أبوك قد عرفتنا أنَّ طرق الإسلام متحدة، وأنَّ الدين الإسلامي ما أوجده الله ليجعله نحلًا وطرائق قددًا، يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا، بل لأن شمروا في المبدإ والغاية، وسيحصل التعاضد والتآخي، والاختيار في النقل عن زيد دون عمرو، مع ما لعمرو من المزايا ودقة المدرك، مما يزري بقدر المدرك.

وقد عبّرْتَ أخي بتواتر سنية القَبْض، وَوَدِدْتَ إن أمكن لو خططت بدلها قول فخر المالكية ابن عبد البر، وأظنه نقله عن أبي داود صاحب السنن أنَّ السَّدْل لم يرد عن النبي ﷺ قط، لأن التواتر مما نوزع فيه مدعيه، كما أنّ جنابكم نسب تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[1] بمعنى وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة للنبي عليه الصّلاة والسّلام، ولا يصحُّ في المرفوع فيما أعلم، وإنما هو من تفسير علي وابن عباس، نعم عزا صاحب

(١) الكوثر: ٢.

«الدر المنثور» للنبي ﷺ في معنى الآية ما يؤيد الرفع في المواطن الثلاث لا القَبْض، وقد أحسنتم فيما عزوتموه للشافعي، وهو في مواضع من كتاب «الأم» له يطول نقلها، وهو قول الأئمة الثلاث». يتبع

محمد بن أبي بكر الشاوي.

١٢- وقال شيخنا العلامة محمد الأمين أبو خبزة التطواني الحسني في كتابه «رونق القرطاس ومجلب الإيناس»[1]: «... وقد تجرَّد المؤلف عبد الحي للردِّ عليه مباشرة وعلى غيره من المتعصبين في كتاب كبير حافل سماه «البحر المتلاطم الأمواج بما جرى في مسألة القَبْض في الصلاة من الخلاف واللّجاج» سعى في طبعه بالآستانة لما كان مقيمًا بها صديقه المكي بن عزوز، ولكنه لم يطبع مع الأسف».

* * *

(١) (ق١٦٦) أمدني بهذا النص مشكورًا أخونا الدكتور عبد الله التوراتي.

كتب اقتضبت منه

والإشارة هنا إلى كتاب المصنف الذي اقتضبه من أحد فصول هذا الكتاب، وهو كتاب «إفادة النبيه لتيسير الاجتهاد ومن ادعاه أو ادعى فيه»، ولا بأس بنقل نصّ مقدمته ليتّضح منهجه وطريقته فيه، قال جدد الله عليه الرحمات:

«الحمدُ لله الذي وعدنا بقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[1]، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد القائل: «إنّ الله يبعث على رأس كلّ مائة من يجدّد لهذه الأمّة أمر دينها»، وعلى آله أمان الأرض والسّماء، وأصحاب ذوي المحاسن، والمزايا الشّماء.

أمّا بعد؛ فيقول خادم الحديث محمّد عبد الحيّ بن عبد الكبير الكتانيّ الحسنيّ الإدريسيّ تاب الله عليه وهداه آمين: إنّه لما وقف الأخ الأغرّ الأعزّ محبّنا صدقًا، الفاضل حقًّا، النّبيهُ المبجّل الصّوفيّ، الماجد الموفيّ، أبو الفتح محمّد المصطفى بن عبد السّلام الزوديّ - نزيل طنجة حرسها الله آمين - على مبحث الاجتهاد وَتَيَسُّرِهِ وتعداد أسامي من ادّعاه، أو ادّعي فيه من كتاب «البحر المتلاطم الأمواج المذْهِب لما في سنّة القَبْض من العناد واللجاج» طلب منّي تجريده في رسالة على حدة؛ ليسهل تناوله، ويسرّ محاوله، فأجبته لذلك، مسمّيا له هنالك بـ«إفادة النّبيه تيسّر الاجتهاد وتسمية من ادّعاه أو ادّعي فيه» والله تعالى ينفع به، وبأصله،

(١) البقرة: ١٠٦.

ويصل مقطوعنا بحبل إمداد رسوله، وأصله ووصله آمين. فأقول: والله المستعان».

وتاريخ الفراغ من تجريده هو فاتح محرم سنة ١٣٣٠ كما في آخر النسخة المخطوطة منه، وقد اعتنى بالكتاب الأستاذ الشَّيخ مصطفى بحيرة حفظه الله.

وقد قال المصنف في كتابه «بيوتات جبل درن وزواياه ورجاله»[1]: «جَرَّدْتُهُ من البحر وهو مقدار ثلاثة كراريس».

وقد استفاد من كتاب المصنف هذا المقتضب من البحر جماعة، فممن وقفت عليه:

- مؤرخ مراكش العلامة القاضي النوازلي الفقيه الأديب السيد عباس بن إبراهيم التعارجي المراكشي رحمه الله تعالى، فقد نقل منه في كتابه «الإعلام بمن حلَّ بمراكش وأغمات من الأعلام» في المواطن التالية:

(٢٢٥/٤) وهي ترجمة الشَّيخ الأكبر محي الدين ابن العربي.

و(٢٨/٦) وهي ترجمة الإمام المسناوي.

و(٣٩/٤) وهي ترجمة الإمام الغزالي.

و(١٦٢/٣) وهي ترجمة الإمام اليوسي.

- تلميذ المصنف العلامة محمد إبراهيم الكتاني في كتابه «طبقات المجتهدين والرد على أعداء التقليد»[2].

---

(١) (ق٥٣) رحلة مراكش والحوز والصويرة.

(٢) نسخة مرقونة مصورة في خزانة الدكتور الشريف حمزة بن علي الكتاني حفظه الله.

التأريخ لمحاولة طبعه الأولى

بعد أن فرغ المصنف من تأليف كتابه قام بتوجيه نسخة منه لابن عزوز في مستقره بعاصمة الخلافة إسطنبول؛ ليقوم بطباعته فيها[1]، وقد كانت نسخة الكتاب بخطٍّ مغربيٍّ، فلم يَسْتَطِع أرباب المطبعة التعامل معها ولا قراءتها، لغرابة الخط المغربي وقواعده عن الخط المشرقي، فَكَلَّفَ الشَّيخ محمد المكي بن عزوز أحد العلماء من أهل تونس المقيمين بمصر، وهو الشَّيخ إبراهيم بن عثمان صمادح بنقل الكتاب بالخطِّ المشرقي، وقد قام بذلك، وقد أشار إلى ذلك العلامة ابن عزوز في رسالة منه لابن خالة المصنف وابن عمه الإمام المحدث العارف بالله السيد محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني رحمه الله تعالى فقال[2]: «وأما كتاب ابن عمكم وابن عمتكم سيدي عبد الحي فهو كبير يطبع وحده في جزئين، ولم يتعرّض لرسالة الكافي، وإنما هو في الردِّ على المهدي الوزاني، وهذا كتاب مدهش أرسله إليّ ليطبع هنا اسمه «البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القَبْض من العناد واللجاج، أو نصرة هيئة الناسك وردع من لم يهتد إلى حججها الواضحة المسالك» وهو ستمائة صحيفة، وأراد المُحِبُّون

---

(١) انظر ختام البحر المتلاطم للمصنف.

(٢) نشرت صورتها ضمن كتاب «المحدث الكبير العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني» للدكتور محمد بن عزوز (٦٠٩/٢).

من أفاضل فاس أن يطبع معه في كل صحيفة «هيئة الناسك»، واعترض المهدي، ليسهل الاطلاع على مقاصد المؤلفين الثلاثة باستيعاب، وعزمنا على ذلك إن شاء الله، ولكن الخط المغربي لا يقرؤه أهل المطبعة ولا غيرهم هنا، فلزم نسخه بالخط المشرقي ثم طبعه بحول الله وقوته».

وقد أشار إلى ذلك المصنف في مراسلته مع العلامة ابن عزوز فقال[١]: «ما سطرته أناملكم الكريمة من أمر مباشرة نسخ البحر المتلاطم الأمواج الذي ما هو إلا حسنة من حسناتكم ونفحة النصرة لكم، بل لسنة جدكم الأعظم ﷺ صار بالبال، وحمدت مسعاكم فيه، وكل ما تكلفتموه في نقله بالخط المصري ومقابلته من النفقات والمقابلات، وشغل نفيس الأوقات، فكله من العمل المتقبل إن شاء الله، المدخر لكم ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾[٢] الآية، وجزى الله خيرًا عنّا وعنكم وعن السنة وأهلها عموما الشَّيخ إبراهيم عثمان صمادح في وقوفه وقيامه على الكتاب حتى تَمَّ وفق المطلوب والمبتغى، وقد قال الحافظ المُنْذِري: «إنَّ ناسخ العلم دخل في قوله ﷺ: أو علم ينتفع به» وهو ظاهر، لأنه لولا النسخ لتلاشى العلم، ولما وجدت المطبعة ما تظهر وتنقل، ولله في خلقه عجب».

ثُمَّ يقول مُسْتَحِثًّا له على التعجيل بطباعة «البحر»[٣]: «ونطلب الله تعالى أن يكون الشّروع في طبع البحر قد وقع، والملزمة الأولى منه

(١) (ق٥).

(٢) الحج: ٢.

(٣) (ق ٤٧).

بالطريق، فقد انتهى وقت المقابلة والإصلاح، وعمل الفهرس، فلم يبق إلا إخراج ذلك من القوة إلى الفعل وإنجاز الوعد، فالوزاني إلى الآن في غاية التصميم على أنّ طبعه لا يمكن ولا يتمكن، وإنما هي اختلاقات وإيهامات، والله غالب على أمره».

وقد عنون الأستاذ ابن عزوز هذا المقطع من المراسلة في فهرسه لها فقال: «تحريضه على طبع كتاب البحر إن شاء الله».

وقد أشار المصنف إلى أنّ الكتاب تحت الطبع في عدد من كتبه التي ألّفها وصَنَّفها في هذه الفترة، نذكر منها «نور الحدائق»[١]، و«المظاهر السامية»[٢]، وقد سبق نقل كلامه في توثيق نسبته إليه، بل إنَّ الإعلان عن صدوره صَدَرَ في بعض كتب المصنف، وهو كتابه «منية السائل اختصار الشمائل» فقد كتب في آخر طبعته الحجرية[٣] تحت عنوان: «إعلان بيان ما طبع من مؤلفات المؤلف حفظه الله... ثُمَّ قال الكاتب: بيان ما تحت الطبع الآن:

«البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القَبْض من العناد واللجاج» في مجلد ضخم هو تحت الطبع بالآستانة. وقد كان هذا في سنة ١٣٣١ في ٢٣ جمادى الأولى منها.

أما ناسخ البحر والقائم بنقله إلى نسخة مشرقية الخط، الشَّيخ إبراهيم بن عثمان صمادح كما يؤخذ مما سبق، فلم أقف على ترجمته،

(١) (ص١٧٦) بعنايتنا.

(٢) (ق٢٨٢).

(٣) (ص٤٠).

لكن وقفت على ذكره، فهو والد الشاعر التونسي المشهور منصور صمادح، وقد وقفتُ في موقعه في شبكة الإنترنت[١] أن وفاته كانت سنة ١٩٤١، وهي تقابل سنة ١٣٥٩هـ.

ولا أعلم سبب توقف مشروع طباعة الكتاب، فقد تَمَّ نسخه قبل رسالة الحافظ المؤرخة بيوم الثلاثاء ثالث جمادى الثانية سنة ١٣٣٠، كما يؤخذ منها، وقد كانت وفاة الأستاذ ابن عزوز سنة ١٣٣٤، أي: بعد ذلك بأربع سنين، فالله أعلم بالعوائق التي عاقت المشروع، ولعلَّ الأحداث العامة في العالم الإسلامي والإضرابات السياسية، وحال الخلافة العثمانية آنذاك حال دون إتمام المشروع.

ولكن المؤكد هو أنَّ الكتبي الشَّهير الخانجي قدم إلى دار الخلافة اسطنبول بعد وفاة العلامة ابن عزوز، واقتنى مكتبته التي كانت معه هناك، ومن جملتها نسختا «البحر» المشرقية والمغربية، وباع إحداهما للعلامة محمد الحافظ التيجاني بمصر، وباع الثانية للشيخ أحمد بن محمد الغماري مع بعض رسائل الحافظ للأستاذ ابن عزوز، كما سيأتي الكلام عليه تفصيلًا في ذكر النسخ الخطية للكتاب.

وقد وقفت على كتب كثيرة كانت في مكتبة العلامة ابن عزوز وآلت إلى مكتبات مختلفة في العالم، أذكر منها نسخة من «النشر في القراءات العشر» للإمام ابن الجزري، في مكتبة تشستربيتي بإيرلندا. ونسخة من «العواصم والقواصم» للإمام القاضي أبي بكر بن العربي المعافري، وهي اليوم بدار الكتب المصرية، كنت رأيتها فيها.

---

(١) http://moultaka.net/smadah/vie.htm.

إذن الحافظ للعلامة المكي بن عزوز بالتصرف في البحر

قال في مراسلته معه: «ذكرتم ما عزمتم عليه من التصرف في البحر في ثلاث مواضع؛ الأول منها عند ذكر اجتهاد المصطفى ﷺ، والثاني حذف بيت عبد الله بن المبارك، والثالث ما يتعلق بإطراء النبهاني، فلا بأس بذلك، إذ لك مني الإذن المطلق في هذه المسائل وغيرها، وعسى أن تلحقوا بهذه الثلاث بعض كلمات جافية في الخطبة وداخل البحر تتعلق بالمردود عليه إن ظهر لكم تبديلها بما هو ألطف منها فلكم ذلك».

قلت: وفي نسخة الأصل رأيت المصنِّف قد شطب على كثير من تقاريعه على المردود عليه[١].

اقتراحه عليه نسبته البحر إليه أو إلى أحد تلامذته إذ القصد من الكتاب نصرة السنة النبوية:

قال في مراسلته معه: «مع أني كنت عزمت على أن أقول لكم أولًا لَمَّا أرسل لكم البحر لتطبعونه: إن ظهر لكم أن تنسبوه لأنفسكم أو لأحد تلاميذكم فلكم ذلك».

---

(١) (ق٩١، ٩٨، ١٠٨).

وهذا غاية ما يكون في اطراح النفس، والتجرد من الأمور النفسية وحب الظهور، فغاية المصنف أن ينصر الحق بدلائله، ولو نسب جهده وتعبه ونصبه إلى غيره، فما دام أن الحق قد بان وظهر، فلا يرى مانعًا في نسبته إلى غيره أيًّا كان.

* * * *

اختلاس الغماري للبحر في «المثنوني والبتار» واستفادته منه دون عزو على عادته

وهذا المبحث رتبته على مطلبين:

فالمطلب الأول: في بيان أنَّ الاختلاس والنقل دون عزو وسلخ المصنفات عادة للغماري المذكور، وأمثلة على ذلك.

والمطلب الثاني: في الكلام على سلخه وسرقته لكثير من مباحث البحر دون عزو، وتاريخ حصوله على نسخة البحر.

المطلب الأول: في بيان أن الاختلاس والنقل دون عزو وسلخ المصنفات عادة للغماري المذكور، وأمثلة على ذلك.

بادئ ذي بدء وقبل الخوض في هذا المطلب أشير إلى أني على يقين جازم بأن الواقف على كلامي هذا أحد رجال ثلاثة:

١- رجل خالي الذهن من هذه السّرقات العلمية، والاختلاسات الكثيرة التي سنعرض لها، ولا يعرف صاحبها أحمد الغماري إلا بالاشتغال بعلوم الحديث النبوي الشّريف، والمشاركة فيه، دون معرفة تفاصيل فواقره العلمية والعقدية والفقهية والسلوكية، فسيكون هذا البحث بإذن الله منبهًا على البحث والنظر بعين التحقيق في ما خلّفه الغماري، وعدم الركون والاستسلام لما يقوله وينقله ويُطَبِّلُ به مقلدوه والمدعون للعصمة فيه.

٢- ورجل تأثر بالدّعاوى العريضة وأنسجةِ الخيال التي حاكها الشّيخ لنفسه من دعوى الإمامة ومشيخة الإسلام والاجتهاد المطلق، والحفظ على طريقة المتقدمين، ومجاوزته للحافظ ابن حجر، وتحريم التقليد في كلّ شيء حتى في النقل بالواسطة[١]؛ إلى غير ذلك من سلسلة الدعاوي التي لا تصمد أمام الحقائق العلمية الناصعة، إذا حُكَّتْ في محك النقد الصافي.

ثُمَّ سَرَت إليه الهالة الأخرى التي أحاطه بها إخوته من بعده بعد وفاته - وإلا فقد كانوا في حياته معه على طرفي نقيض وبينهم من السب والشتم والقذف الشنيع ما يتنزه عن عشر معشاره عوام المسلمين، فضلًا عن العارفين بالله مشايخ الطريقة - وستكون هذه المباحث كاشفة لحقيقة الحال مُنَبِهة إلى تهافت تلك الدعاوي واختلاق كثير منها، ومحاولة فرضها بتكرار ذكرها مرّات ومرّات على القاعدة اليهودية[٢]: «إذا كذبت الكذبة فكررها مرات إلى أن تصبح حقيقة عند سامعيها».

٣- والطرف الآخر: وهم من أَيِسُوا من الحقيقة، وقلّدوا الوهم، واعتقدوا العصمة في الشّيخ الغماري - خصوصًا وأنه شريف من الجهتين عندهم من دون أهل العلم بالأنساب - وأنزلوا كلماته منزلة الوحي المُنزل، وحاربوا بحربه وسالموا بسلمه، ونظروا بنظرته الضيقة الهوجاء فقط،

---

(١) سيأتي أنه كفى نفسه مؤنة النقل بالواسطة، لأن عادته وطريقته حذف الوسائط وكفر نعمة مفيديها، والقفز إلى طور الادعاء والله المستعان.

(٢) قام أحمد الغماري بطبع أول كتابين له بمطبعة ابن حيون اليهودية بزنقة القاضي بطنجة، فالأول هو «لب الأخبار المأثورة فيما يتعلق بيوم عاشوراء» سنة ١٣٤١ هـ-١٩٢٠م، والثاني هو «مطلع البدور في جوامع أخبار البرور» وقد طبع من دون تاريخ في المطبعة المذكورة، وللبدايات أسرار.

وزادوا فادّعوا فيه أشياء وضعوها، وتُرهات اختلقوها، ومقدم هؤلاء هو الوضّاع محمود سعيد ممدوح المصري، ولا عجب، فمن يتعمد الكذب على رسول الله ﷺ ويشارك في وضع كتاب كامل عليه لا يستغرب من وضعه الأكاذيب لنصرة إمامه المعصوم، فهؤلاء لا يقبلون بالحقائق الناصعة في حق معصومهم، ولو كانت أوضح من الشمس في رابعة النهار، لكن تشغيبهم وتهويلهم لن يمنعنا بحمد الله وتوفيقه من نشر الحقائق.

فنقول: إنّ النّاظر في مؤلفات الشّيخ الغماري يراه كثير السّطو على مباحث العلماء دون عزو، موهمًا للأغمار من شيعته أنّه مُحرِّرُ تلك المباحث، ويراه أيضًا كثير التقليد في النقل والاعتماد على النقل بالواسطة، بل والواسطتين وأكثر، مع تعمّد حذفها وكتم مفيدها، مخالفًا بذلك سبيل الصادقين وطريق المحققين، ومقتفيا أثر المُدَّعين المُختلقين، ولو سلّم لأهل العلم ومن استقى منهم وعزا ذلك إليهم لسلك طريق الصادقين، ونال بركة المخلصين، وكفانا مؤنة البحث معه.

وهذا الأمر حاصلٌ في جُلِّ مؤلفاته التي وقفنا عليها ونظرنا فيها، وسنضرب على ذلك أمثلة:

١- المثال الأول: جُزَيْؤُهُ المسمّى «شواهد الأنوار المنيفة بظهور النواجد الشّريفة»، وهذا الجُزَيْءُ مأخوذٌ بالنصّ من كتاب «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري»، من تأليف الحافظ جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (المتوفى سنة ٧٦٢)[١]،

---

(١) ذكرنا تاريخ وفاته لكي لا يظن أحد الجهال من مقلدي الغماري أن الحافظ الزيلعي هو السارق من شيخهم الإمام المعصوم.

فالناظر في «تخريج أحاديث الكشاف»[١] يجد أن الحافظ الزيلعي خَرَّجَهُ من حديث اثني عشر صحابيًا رضي الله عنهم، وقد أخذ الغماري تخريج الحافظ الزيلعي وجهده، ثم زاد عليه بعض زيادات، موهمًا أنَّ التخريج تخريجه والجهد جهده، ومع كون الحافظ الزيلعي مصدره الذي اتكل عليه وأكل مباحث كتابه فلم يذكره في جزيئه[٢] إلَّا مرة واحدة للتعقب عليه فقط، دون الإشارة إلى كونه مصدر مادة جُزَيْئِه الأساسية، وقام بعملين للتغطية على سرقاته المكشوفة:

الأول: أنه قام بعكس ترتيب الحافظ الزيلعي، الذي بدأ بما يبدأ به المخرجون والمحدثون من تقديم أحاديث الصّحيحين والسنن والصّحاح والمسانيد عند التخريج، فعكس الغماري حبًّا في الإغراب ومحاولة لستر جريمة السرقة، فبدأ بتخريج الحديث من «جزء الفيل»، ووقع في غلط شنيع، فَإِنَّ ابن فيل أخرجه من طريق الإمام عبد الله بن المبارك في كتابه الزهد، فالأصل أن يعزوه إليه، ولعلَّ عذره أنَّ كتاب الزهد من أصول مكتبة جامع القرويين العامر، والمكتبة الكتانية لشيخ والده الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني، وقد حرم الغماري نفسه من شد الرحلة إليه والجثو على الركب بين يدي علمائه، اتكالًا منه على خرافة والده القائلة بأنَّ العلم مضمونٌ له، فلم يحتج إلى القرويين وعلمائها وكتبها، والحديث مع ذلك في صحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم، وإليهما عزاه الزيلعي[٣]، فترك هذه الأصول في العزو، وعزو الحديث إلى جزء الفيل صنعة غمارية لا صلة لها بالصنعة الحديثية.

---

(١) (٣/١٢-١٦).

(٢) (ص٢١٨) ضمن مجموع بتحقيق د بدر العمراني.

(٣) (٣/١٢).

الثاني: قام بزيادة أسانيد المخرجين التي علَّقها واختصرها الحافظ الزيلعي، وقد أسعفه الحال في ذلك في الكتب المطبوعة والمتداولة التي لا تخلو منها مكتبة عامة أو خاصة، مثل الصحيحين والسنن لأبي داود والدارقطني، ومسند الإمام أحمد، إلا أنه لم يستطع سياق إسناد البزار في حديث ذكره الزيلعي[١] من طريقه، لعدم وقوفه على مسند البزار - وكون نسخته الخطية من ذخائر خزانة شيخ والده الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني في المغرب - فاكتفى بالنقل الحرفي من تخريج الحافظ الزيلعي[٢] دون عزو على طريقته.

وأختم الكلام على هذا الجزء المنهوب والتخريج المسلوب بنكتة مضحكة وشنشنة غمارية مطروقة:

فإنَّ الغماري بعد الانتهاء من تخريج الحديث الأول من طرق جزء الفيل، أصرَّ على الإمعان في الإغراب فقال[٣]: «حديث آخر: قال الحسن بن سفيان في مسنده...» وهذه الشنشنة الغمارية في التطاول إلى ما لم يكن له، والنقل من كتب لم يرها ولم تخطر على باله في المنام حتّى، فمسند الحسن بن سفيان لم يكحل الغماري عينه به قَطْعًا، والواقع هو ما أَقُصُّهُ عليك، وهو أنَّ الإمام الحافظ أبا نعيم الأصبهاني خرج الحديث من طريق مسند الحسن بن سفيان في كتابه «حلية الأولياء»[٤] فقال: «حدثنا أبو

---

(١) (٣/١٤).

(٢) (ص٢١٨). ضمن مجموع بتحقيق د بدر العمراني.

(٣) (ص٢٠٨) ضمن مجموع بتحقيق د بدر العمراني.

(٤) (٢/٦٧).

عمرو بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان به»، فقام الغماري بحذف الواسطة ليوهم سعة اطّلاعه وعظم الأصول التي يرجع إليها، وهو تدليس وتبليس لا يليق بصادق مع نفسه، ولا دليل له على وجود الحديث في مسند الحسن بن سفيان، فقد يكون في غيره من مصنفاته، وسيأتي التنبيه على طامة أكبر من هذه وقع فيها في جزئه «فتح الملك العلي».

فهذا مثال على جُزَيْءٍ من أجزائه المسروقة وأبحاثه المنهوبة دون عزو، وسنعود لكتابة مفردة في ذلك بمقارنة تفصيلية بين الأصل الذي تعب فيه الحافظ الزيلعي، وبين الفرع المنهوب المسلوب دون شكر أو ذكر.

٢- المثال الثاني: كتابه «فتح الملك العلي بصحة حديث: باب مدينة العلم علي»، ولن أتكلم هنا عن أخطائه الفاحشة، وأغلاطه الكثيرة فيه، وضربه عرض الحائط بقواعد المحدثين، واستحداثه قواعد من عند نفسه، انفرد بها عن العالمين، لكني أشير فقط إلى المبحث الذي يهمنا هنا، وهو الاختلاس والنقل دون عزو على السنة المعهودة والطريقة المسلوكة لديه.

فأقول: قد ركب إسنادًا[١] لحديث الجزء بإسناده في فاتحة جزئه من طريق أبي محمد الحسن بن أحمد السَّمرقندي الحافظ، فأخذ الحديث وإسناده من ترجمة الحافظ الذهبي - الذي يرميه بالنَّصب والفواقر - في

(١) (ص٥) مع برهانه الجلي.

«التذكرة»[١] على عادة الحافظ الذهبي في سياق حديثٍ مسند في ترجمة الحفاظ الذين يترجمهم.

وأمعن الغماري في التدليس، فزعم أنَّ الحافظ الحسن بن أحمد السَّمرقندي رواه في كتابه «بحر الأسانيد»، وهو لم ير هذا الكتاب قطعًا، وإنَّما اعتمد على وصفه من قبل الذَّهبي، وهو نفسه نقل عن النَّسفي في كتاب «القند في ذكر علماء سمرقند»[٢]، ولم ينصّ الذهبي أنَّ الحديث الذي أورده خاتمة ترجمة السَّمرقندي على عادته في «التذكرة»، منقول من «بحر المسانيد»، ولا ذكر ما يفيد أنه رآه بنفسه، والسؤال الذي يُطرح: أين نقول الغماري واقتباساته من هذا الكتاب الذي يقع في ثمانمئة جزء؟ لم لم يستفد منه إلا هذا الحديث الفرد الذي نقله من الحافظ الذَّهبي الذي يرميه بالفواقر ثُمَّ يقتات على فتات موائده؟ فلو رآه أو رأى جزءًا منه لنقل منه في غير هذا الموطن الفرد.

٢- المثال الثاني في جزئه المذكور: وهو النقل من كتاب «تهذيب الآثار» للإمام ابن جرير الطبري في مواطن منه، والواقع أنه لم يكحل عينه بالنظر فيه، وإنَّما نقل أسانيد ابن جرير إلى الحديث من «كتاب الجامع

(١) وهذا الإسناد مُلِيءٌ بالأخطاء والأغلاط الإسنادية، التي لا تقع لصغار الطلبة، فكيف بمن يصف نفسه بالإمام الحافظ وشيخ الإسلام والمجتهد، وليس هذا محل بسطها.

(٢) خلت مطبوعة الكتاب من ذكر حرف الحاء، وقام محقق الكتاب الأستاذ يوسف الهادي بصنع «مستدرك القند» ذكر فيه تراجم نقلت من الأصل ولم ترد في مخطوطتي الكتاب التي حقق الكتاب عنها، وقد ذكر فيها ترجمة الحافظ السمرقندي (ص٧٠٢-٧٠٣).

الكبير» للحافظ السيوطي[١]، أو من «كنز العمال»[٢]، وهو على العادة في تشبّعه بما لا يُعْطَه طوى ذكر الواسطة، وَكَفَرَ بنعمة المُفِيد، وأنزل نفسه منزلة البُزْلِ الصَّناديد، وأنى له ذلك؟ وهو مجرد مُقَلِّدٍ ناقل غير أمين في نقله.

٣- المثال الثالث من كتابه هذا، قال فيه[٣]: «بل جعلوا الاشتغال بعلم الكلام من البدعة الموجبة لضعف كلّ من وجدت فيه، كما نصّ عليه الحافظ السلفي في «معجم السفر»، والحافظ ابن رشيد في «الرحلة» اهـ.

فالناظر في هذا النصّ سيظنُّ أن الغماري وقف على الكتابين، ووجد فيهما النصَّ على ذلك، والواقع بخلافه، فقد نقل ذلك من كتاب «تدريب الراوي» للحافظ جلال الدين السّيوطي[٤]، إلا أنه على شِنْشِنَتِهِ ونَشْنَشَتِه قام بحذف الواسطة، وكفر بالنعمة، على أصله الذي بُنِيَ عليه، وما بُنِي على باطل فهو باطل.

٣- المثال الثالث: كتابه «الهداية في تخريج أحاديث البداية»، وهذا الكتابُ أوضح الأمثلة على نسخه وسلخه لكتابين هما: «نصب الراية» للحافظ جمال الدين الزيلعي، و«التلخيص الحبير» للحافظ ابن حجر العسقلاني، ولو جرد من نقوله منهما بدون عزو لكان في كراستين، ومن خَبَلِ الأغمار أنهم يقولون عند ذكر هذا التخريج أنه يقع في ثمان مُجلّداتٍ،

---

(١) جامع الأحاديث (١١٥/٣١ رقم ٣٣٩١٤) فما بعده.

(٢) (١٤٧/١٣-٣٦٤٦٢).

(٣) (ص١٠٢). مع البرهان الجلي.

(٤) (٣٨٧/١).

ويعدونه بذلك أوسع كتب التخريج، والواقع أنه طبع في ثمان مجلدات بهامش «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» للقاضي ابن رشد الحفيد، ولو جرد وطبع مفردًا لكان في مجلد واحد، ولو طبع «نصب الراية» بهامش الكتاب الذي خرج أحاديثها فيه وهو كتاب «الهداية» للإمام المرغيناني لكان في سبع مجلدات، ولو طبع «تلخيص الحبير» بهامش شرح الرافعي لكان في ثلاثين مجلدًا، لكنه الدّجَلُ والكذب على المغفلين.

٤- المثال الرابع: كتابه «فتح الوهاب في تخريج أحاديث الشِّهاب»، وهذا الكتاب زعم أنه كتبه بعد بلوغه مرتبة الاجتهاد وتركه للتقليد، فلا يُخَرِّجُ فيه ولا يعزو إلا على ما وقف عليه من الكتب، قاله في «البحر العميق»[١]، ومع هذه الدعاوى العريضة فهذا الكتاب مليءٌ بالنقل وحذف الوسائط، فمن المحقق أن الغماري لم يقف على «المعجم الأوسط» للحافظ الطّبراني، وتراه في طول كتابه وعرضه يعزو إليه، وهو في الواقع ناقل لذلك من «مجمع الزوائد» للحافظ نور الدين الهيثمي ومن غيره، ومن غرائبه أنه ينقل كلامه على الحديث بعد عزوه دون عزو ولا ذكر لقائله، وهو كثيرٌ جدًا في كتابه، انظر له مثلًا هذا المثال[٢]، ونحوه مع «المعجم الكبير» للطبراني، فلم يقف منه إلا على قطعةٍ يسيرة بأخرة في زيارته للظاهرية، وكان عمدته في العزو إليه كتاب الحافظ الهيثمي، ولم يشر إلى ذلك.

---

(١) (٥٦/١).

(٢) (٢٠/١-٢١).

وقد ذكرنا في مقدمة عنايتنا بـ«عقد الزبرجد» عزوه لمسند أحمد بن منيع، وهو في الحقيقة مقلد وناقل من «المقاصد الحسنة» للحافظ السخاوي لا غير، فلم ير الكتاب بعينه، إلا أنه يصرُّ على التدليس وطيِّ الوسائط وإيهام الجُهَّال والأغمار أنه حافظ مجتهد ناقد.

٥- «تخريج أحاديث عوارف المعارف»:

وقبل التمثيل لمنهوباته في هذا الكتاب أشير إلى دعاية عريضة ودعوى فارغة من الشَّيخ الغماري حيث ادَّعى أنه قام بالاستخراج على الأحاديث المسندة في «العوارف»، كاستخراجه على «الشمائل» للإمام التِّرْمِذي، واستخراجه الآخر المزعوم على «مسند الشهاب»، والواقع أنَّ أعماله تلك وقد رأينا تخريج الشَّمائل والعوارف تخاريج حديثية، ولا علاقة لها بالاستخراج، فقد شرط علماء الحديث في الاستخراج أن يكون بإسناد المُسْتَخْرِج، وهو الواقع العملي المشاهد في كتب المستخرجات من أقدمها إلى آخرها على الحقيقة، وهو مستخرج الحافظ الزبيدي «التعليقة الجليلة على مسلسلات ابن عقيلة»، فدعوى كون هذه التخاريج المنهوبة والمسلوبة والمنقولة دون عزو مستخرجات دعاية غمارية.

وسنقتصر على الحديث الأول، وهو حديث «من كثَّر سواد قوم فهو منهم»، فقد قال في سلخ تخريجات المحدثين دون عزو والتبجح بنسبتها لنفسها زورًا وبهتانًا وطغيانًا[1]: «قلت: رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، حدثنا أبو همام، ثنا ابن وهب، أخبرني بكر بن مضر، عن عمرو بن

(١) (١/٣-٤).

الحارث أنَّ رجلًا دعا عبد الله بن مسعود إلى وليمة، فلما جاء ليدخل سمع لهوًا، فلم يدخل، فقال له: لم رجعت؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كثر سواد قوم، فهو منهم، ومن رضي عمل قوم كان شريك من عمل به».

ورواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية، حدثنا ابن وهب به.

ورواه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه موقوفًا، حدثنا خالد بن حميد، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، أن أبا ذر الغفاري دعي إلى وليمة، فلما حضر إذا هو بصوت، فرجع فقيل له: ألا تدخل، قال: إني أسمع صوتًا، ومن كثَّر سوادًا كان من أهله، ومن رضي عملًا كان شريك من عمله»، وابن أنعم ضعيف، وفيه مع ذلك انقطاع. اهـ

سلخ الغماري تخريج الإمام الحافظ جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي في كتابه «نصب الراية»[1]، وليس للغماري فيه إلَّا حرفان هما: ابن أنعم ضعيف، وفيه مع ذلك انقطاع. وإلا فالغماري لم يقف قطعًا على مسند أبي يعلى الصغير، فضلًا عن مسنده الكبير، الذي خرّج الحديث منه الحافظ الزيلعي، ولم يقف على كتاب «الطاعة والمعصية» لعلي بن معبد يقينًا أيضًا.

٦- المثال السادس: كتابه «مجمع فضلاء البشر من أهل القرن الثالث عشر»، وهو فيه ناقلٌ فحسب دون تصرف، وإذا تصرف وأنشأ الكلام وقع

(١) (٣٤٦/٤-٣٤٧).

في الأغلاط الكبار والأوهام المتواصلة، ومن الغريب المُريب أنه لا يحيل على مصدرٍ قطُّ إلا فيما ندر، وكأنه مُنْشِئُ تلك التراجم ومحرر تلك الأخبار، مع أنه ينقل ممن نقل دون تفطُّن للمصدر الأصلي للتراجم.

فانظر مثلا الترجمة الرابعة فيه، وهي ترجمة[1] إبراهيم بن أحمد بن يوسف بن مصطفى بن محمد أمين الدين ابن علي سعد الدين بن محمد أمين الدين الحسني الشافعي المعروف بقلفة الشهر. وقارنها بالأصل الذي نقل منه، وهو تاريخ الجبرتي «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»[2]، والجبرتي نفسه ناقل للترجمة عن شيخه الحافظ السيد محمد مرتضى الزبيدي في كتابه «المعجم المختص»[3]، فَقَلَّدَ المُقَلِّدَ، فدخل في سلسلة المُقَلِّدِين، وخالف سبيل المجتهدين، بل لم يخطر بباله أن مُقَلَّدَهُ مُقَلِّد، وناقل بدون عزو أيضًا، على ما نصَّ عليه العلماء العارفون بالأصول، المميزون بين الصحيح والمدخول، فانظر «فهرس الفهارس» و«السر الحقي الامتناني» كلاهما للحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني في بيان كون مادة الجبرتي هي معجم شيخه الحافظ مرتضى الزبيدي دون عزو.

وانظر أيضًا ترجمته لإبراهيم بن أحمد الحسني الشهير بابن قضيب البان[4]، وهذه الترجمة منقولة بالنصّ من «فهرس الفهارس» لشيخ والده الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني[5]، مع تحوير وتقديم وتأخير، ومن

---

(١) (ق٦أ) النسخة المصورة عن خطه.

(٢) (٢/٦٦).

(٣) (١/١٠٥-١٠٦) ط مركز الملك فيصل، و(ص١٤١-١٤٢).

(٤) (ق٧أ) النسخة المصورة عن خطه.

(٥) (٢/٨٧٢).

عجائبه قوله: «ولا ندري متى كانت وفاته بعد ذلك»، وهو مُقَلِّد في ذلك لمصدره الوحيد، فإن لم يتحرّر ذلك للأصل الأصيل فلا بأس على المُقَلِّد والناقل دون عزو أن لا يدري، إذ هي الأصل في المُقَلِّد.

وانظر ترجمة سيدي إبراهيم بن محمد الصّقلي[1]، فهي منقولة بالنصّ من «سلوة الأنفاس»[2] دون عزو على العادة الغمارية.

وسأكتفي بهذه النّماذج لأن بعض الباحثين المعتنين بالتاريخ من أصحابنا قام بتتبع هذا الكتاب وجرد منه زيادات وتصرفات الغماري، فلم تتجاوز الكراسين، وأَرْجَعَ كُلَّ ترجمة إلى مصدرها، وبَيَّنَ انعدام تصرُّفه فيه واسترواحه للتقليد الصِّرف، ونقل نصوص التراجم دون إضافات، مَع طَيِّه للمصادر التي اختلس منها.

لكني أشير إلى مثال من أمثلة مجازفات الغماري وادعاءاته العريضة المخالفة للواقع والمصادمة، فقد قال في ترجمة العلامة صالح بن محمد نوح الفلاني العمري[3]: «ومسند الموطأ للغافقي، لعلَّ الحفاظ المتقديمن ما رأوه، فضلًا عن أهل القرن الثاني عشر...».

وقد وفّقني الله للوقوف على أصل أصيل من مسند الموطأ للجوهري بمكتبة الحرم المكي الشَّريف، كتبت سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وهو في المكتبة المذكورة تحت رقم (٣٧٧) عام، ورقم ١٦ حديث، علما أنَّ مكتبة الحرم المكي بها أصولٌ كثيرة من مكتبة الإمام صالح الفلاني، وعليها

---

(١) (ق١١/أ).

(٢) (١/١٤٨) ط دار الثقافة.

(٣) (ق١٦٩/ب).

خطه، فلعلَّ هذه النسخة التي استكثر وقوف أهل القرن الثاني عشر عليها من أصول مكتبته.

وأشيرُ هنا إلى بعض ما وقفتُ عليه عرضًا دون بحثٍ أو تتبع من كتب مكتبة العلامة صالح الفلاني مما لم ير أغلبه الغماري، ولا خطر على باله.

- نسخة من كتاب «شرف أصحاب الحديث» للإمام الخطيب البغدادي، وهي محفوظة في مكتبة برلين بألمانيا تحت رقم (١٠٦٠).

- نسخة من «جمع أحاديث الغيلانيات والخلعيات وفوائد تمام وأفراد الدارقطني» من تصنيف الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي[١]، وهذا الكتاب ولا جُلُّ أصوله التي رتَّبَها الحافظ الهيثمي لم يُكَحل الغماري عينه بها، وامتنَّ الله سبحانه بها على العلامة الكبير صالح بن محمد نوح الفلاني رحمه الله تعالى، وهو اليوم في المكتبة البساطية بالمدينة المنورة في نسخة نفيسة جدًا بخط الحافظ الكبير الشّمس السَّخاوي رحمه الله تعالى.

- نسخة عتيقة ونفيسة من كتاب «التكملة» للحافظ ابن الأبار وهي في المكتبة الأزهرية اليوم.

- نسخة من شرح المصنف لألفيته، وهذا الأصل قرئ على مصنّفه - وعليه خطه - مرات، وهو اليوم في المكتبة الكتانية، وقد وصفته في كتابي «تاريخ المكتبة الكتانية».

(١) كتب عنها مقالة نفيسة الشّيخ البحاثة محمد السريع حفظه الله، وقد نشرت بموقع الألوكة على الشبكة العنكبوتية.

- مجموع حديثي نفيس، فيه إحدى عشر مصنفًا للحافظ محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، جلها بخطه، وقرئت عليه، وفيها توالي التأسيس للحافظ ابن حجر العسقلاني ونص تملكه له: ثم انتقل بالشّراء الشّرعي إلى ملك الفقير صالح بن محمد الفلاني العمري سنة ١٢٠٠، وهذا المجموع في مكتبة الحرم المكي الشّريف.

- كتاب «المدخل» للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي في نسخته الكاملة التي نشرها العلامة المحدث الشّيخ محمد عوامة حفظه الله، وأصلها بالمكتبة البساطية بالمدينة النبوية المنورة.

* * * *

سرقته للبحر المتلاطم
ودلائل ذلك الواضحة الفاضحة

كتب الشَّيخ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري كتابه «المثنوني والبتار في نحر العنيد المعثار الطاعن فيما صحَّ من السُّنن والآثار» في نقض كتاب العلامة الفقيه محمد الخضر بن عبد الله بن مايابا الجكني الشنقيطي المسمى بـ«إبرام النقض لما قيل من أرجحية القَبْض»، وكتابه هذا صرَّح الغماري نفسه في كتابه «سبحة العقيق في ترجمة الشَّيخ محمد بن الصديق»[١] فقال: «ورسالته في نصرة السَّدْل في الصَّلاة هي عمدة الخضر الشنقيطي في أبحاثه واستدلالته في رسالته «إبرام النقض» التي نقضتها في كتاب كبير، طبع المجلد الأول منه، فهو في الحقيقة رد على المُتَرْجَم». اهـ

وقد نصَّ على ذلك في مقدمة «المثنوني والبتار» أيضًا[٢].

وقال أيضًا[٣]: «وليت شعري لم ألَّفَ المتعصِّب - ينبز بذلك العلامة محمد الخضر الشنقيطي رحمه الله - رسالة جلّها رسالة الوزاني مع زيادة كذب وتدليس وتناقض وتحريف».

---

(١) (ق٤١٨).

(٢) (ص٦٧) الطبعة الأولى.

(٣) (ص٢٨١) ط الأولى، (ص٢٢٦ ط٢).

فاشتراك رسالة الوزاني مع رسالة الشنقيطي سَهل على الغماري أكل مباحث «البحر» وسرقته دون عزو على عادته، فأخذ المباحث العلمية والنقول الغريبة والمسائل العجيبة، وزاد من عنده السب والشتم للمردود عليه على قاعدته التي جبل عليها.

وقد ذكر الإمام الكتاني ضمن المؤلفين في القَبْض في مقدمة المثنوني[١] فقال: «وصديقنا العلامة المحدث السيد عبد الحي الكتاني، إلا أنه في كتابه «كشف الأستار المسبلة»[٢] رجع[٣] فادّعى فيه كذبًا وحسدًا وَغِلًّا وزورًا أن مؤلفات شيخ والده الإمام أحد قسمين؛ قسم - حسب زعمه الكاذب - أسماء مذكورة في ترجمته، ومحال عليها في كتبه بدون وجود مسمياتها في الخارج، والقسم الثاني من مؤلفاته - حسب الغماري -

---

(١) (ق٧٠) و (ص٦٧) ط الأولى.

(٢) هذه الرسالة أفحش وأنجس وأوقح ما كتبه الغماري، بل لعلها أفحش وأوسخ وأحط ما كتب في تاريخ الأمة جمعاء، فلم يكتب أفحش منها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. ومع محاولة الأغمار تبرئة ساحة كبيرهم منها فقد وقفنا على قيام أخيه الشَّيخ عبد الله الغماري بإرسالها للعلماء المحبين للحافظ، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، ومن السخف وإشاعة الفاحشة قول السودي في «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» (ص٣٢٨ ط دار الفكر) أن تلك الفواحش والعواقر والخزي والعار تصلح لمؤرخ المغرب، وهي في الواقع لا تصلح إلا للسفهاء والمنحطين.

(٣) (ص٣-٤).

مسروق ومأخوذ من مؤلفات العلماء، وقد جعل «البحر المتلاطم الأمواج» من هذا القسم الثاني، فإنه زعم أن «البحر» من مؤلفات شقيقه الإمام أبي الفيض محمد، مع ضميمة مؤلفات متأخري المغاربة في المسألة، ثُمَّ قال:

- وهو مربط الفرس عندنا - ومن عجيب ما بلغني عنه أنه يدعي في كتاب شيخنا في المسألة المذكورة المسمى بـ«المثنوني والبتار في نحر العنيد المعثار» أنه مأخوذ من كتابه «البحر المتلاطم الأمواج» مع أنه لو حاول أن يكتب مثل مقدمة كتاب شيخنا - يعني: نفسه - في حسن سُبكها وتناسق ألفاظها وجميل وضعها وترتيبها لأعجزه أمرها، فضلًا عَمَّا حواه الكتاب من نفائس النقول ودرر المسائل وغريب الطرق، وترتيبها مع القواعد المحررة والفوائد العجيبة المهذبة، مما لا يحسن فهمه عبد الحي، فضلًا عن أن يكتب مثله، والواقع أصدق شاهد، أضف إلى أنَّ هذا الكتاب لازال مخطوطًا ومحفوظًا في مكتبته، فمن أين وصل إلى غيره حتى ينقل عنه، ولولا أن بعض أصدقائي وقف عليه لقلت إنه من المؤلفات الموجود اسمها دون مسماها». اهـ

وفي أباطيله التي تستر فيها وراء الأسماء المستعارة أمور:

- نُسخ الكتاب التي بلغنا خبرها خمس نسخ، وقفنا على ثلاثة منها، وعنها ننشر الكتاب، فادعاء تفرد مكتبة المصنف بنسخته الخطية أكذوبة مكشوفة لمحاولة تغطية سرقته للبحر، وإلا فماذا يصنع بالنُّسختين اللَّتين بمصر، وخبر إحداها وهي نسخة العلامة محمد الحافظ التيجاني عنده، فقد استعارها منه، ونسخته هو والتي عليها اعتمد في نهب «البحر» ومباحثه، وهما معًا بالديار المصرية.

- وحيث صرَّح بأنه لم يقف على «البحر» فمن أين نقل من عدة كتب لا يعرف وقوفه عليها، ولا نقله بغير واسطة «البحر» عنها؟ وذلك كشرح السدراتي على الموطأ، و«المزايا في ما أحدث من البدع بأم الزوايا»، فقد كان وقت سرقته للبحر مقيمًا بالديار المصرية، فأنَّى له بهما كغيرهما من المصادر التي هي من ذخائر المكتبة الكتانية.

- ومن أين وقف على التحريف في نقل الحافظ عن «مصنف ابن أبي شيبة» في البحر؟ وهو الذي عَبّر عنه في «المثنوني» كما سيأتي ببعض علماء العصر، إبهامًا على سرقته لكتاب هذا المبهم، وكأنَّ هذا البعض لا اسم له.

فمن واضح الأدلة على سرقته «البحر المتلاطم» الفصل الذي عنونه باستدلاله بمرسل الحسن وابن سيرين، وكذبه في ذلك، وبيان كونه تحرف عليه[1] فقال: «فإن أثر ابن سيرين نقله المتعصب من «الروضة الندية» للقنوجي، وهو وقع فيه محرفًا، وقد راج تحريفه على بعض علماء العصر فنقله أيضًا كما نقله المتعصب وبنى عليه كل منهما عليه ما فهمه...» الخ.

وهذا الأمر واقع في «البحر المتلاطم»، ومن الواضح أنَّ الغماري لم يُسَمِّ هذا العالم وأبهمه سترًا على سرقته لكتابه واتكاله على أباحثه ونقوله، التي ما كان له أن يطلع على كثير منها لولا قيامه بسرقته.

ومن ذلك أنه يستميتُ في إثبات أنَّ المؤلفات المصنَّفة في القَبْض «ما خرجت من يد أصحابها ولا تداولت بين الناس» حسب زعمه[2]، وهو

(١) (ص٢٩٩) ط الأولى، و(ص٢٤٠-٢٤١) الطبعة الثانية.

(٢) (ص٧٢) ط الأولى، و(ص٦٠) الطبعة الثانية.

يتحقق كذب هذه المقولة، وإلا فمن أين له بهذا المبحث والنقل من «البحر المتلاطم» والنقول منه؟

- وقد وقفت بخطِّ الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني أنَّ الغماري اشترى من الخانجي نسخة «البحر المتلاطم» وبعض رسائل الحافظ إلى صاحبه الإمام ابن عزوز، وقام بإهداء نسخة من رسالة مطولة للحافظ إلى صاحبه العلامة الشَّيخ محمد المنتصر الكتاني، وقد وقفتُ فعلًا على تلك النسخة في مكتبة الدكتور مولاي علي بن الشَّيخ المنتصر الكتاني، وقد كتب الغماري عليها بخطِّه ما نصُّه: «هدية من أحمد بن الصديق إلى الشَّريف الجليل مولاي المنتصر الكتاني حفظه الله» طنجة ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧.

وقد وقف على هذه الرسالة عند الشَّيخ المنتصر الشَّيخ محمد المهدي الكتاني، فنقل منها حاشية طالب مصنف «البحر» الأستاذ ابن عزوز إلحاقها به، فقام بذلك كما يأتي الحديث عنه في وصف نسخة السيد محمد المهدي الكتاني.

فدلَّ هذا على معرفة الإمام المصنف بحال الغماري، وعمله مع كتابه «البحر».

أدلة أخرى على سرقته للبحر:

إنَّ الناظر في «المثنوني» يخيل إليه أنَّ مؤلفه غير ذلك الرجل الذي تجرَّأ بسفه بالغ على كتب الفقه المالكي، وكذب على الإمام مالك رحمه

الله تعالى في «المثنوني والبتار»[١] بقوله: «إن مالكًا وأتباعه قد احتجوا بالأحاديث الواهية والمنكرة، فضلًا عن الضَّعيفة فيما هو من باب الواجب والمحظور، فضلًا عن السنن والفضائل».

وكذب عليه مرة أخرى في كتابه هذا فقال[٢] بأن «مالكًا احتج بالمراسيل والبلاغات، وبرجال متفق على ضعفهم عند أهل الحديث»، فلم يحتج الإمام بمتفق على ضعفه إلَّا عبد الكريم بن أبي المخارق البصري، فلم يرو عنه الإمام إلا ثلاثة أحاديث في الفضائل كما هو مذكور في «البحر المتلاطم» بنصوص العلماء الأيقاظ.

والعجب من الغُماري وحزبه كيف يتجرؤون على مذاهب أهل السنة والجماعة بإطلاق هذه التهم الباطلة، ومن ثُمَّ يدورون مع الوضَّاعين والكذَّابين من زيدية وروافض ممن أُسِّسَ دينهم على الوضع والافتراء، سبحانك هذا بهتان عظيم.

بل إنه يقول في «المثنوني»[٣] عن الإمام ابن القاسم: «الذي اتخذوه رَبًّا من دون الله».

ومثل هذا النفور الشَّديد من كتب الفقه المالكي كثير في كتبه، بالخصوص منها كتابه «الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد» الذي هو من أسوإ ما خطّه الرجل، فإنَّ طريق التفقه ومعرفة الأحكام الشَّرعية طويلة شاقة، والشَّيخ الغماري قد ضَمِنَ له والده العلم، فطوى المراحل

---

(١) (ص١٧٤) ط الأولى، و (ص١٤١) ط الثانية.

(٢) (ص١٨١) ط الأولى، و (ص١٤٦) ط الثانية.

(٣) (ص١٢٩) ط الأولى، (ص١٠٦) ط الثانية.

وتزبب قبل أن يتحصرم، وادَّعى الاجتهاد المطلق بعد أن تَرَنَّح مرة بكونه شافعيا[١]، وثانيا بكونه زيديًّا، بل اعتبر مذهب الزيدية الموضوع المكذوب أصحَّ المذاهب وأشرفها وأفضلها[٢]، وزاد فذكر المسند الموضوع على الإمام زيد بن علي ضمن كتب أصول الأحكام[٣]، وهذه خيانة وتزوير، فلم يذكر أحد من علماء الإسلام قطُّ هذا المسند المفترى على سيدنا زيد بن علي رحمه الله ضمن كتب الأحكام، فضلًا عن أن يكون من أصولها، والعرب بالباب، بل إنَّ أقدم نسخه الخطية لا يتعدى القرن الحادي عشر للهجرة النبوية، وبين نسخه من الاختلاف والتعارض ما الله به عليم.

ولهذا الأمر شواهد كثيرة، منها ما قرأته بخطه في رسائله الموجهة إلى شيخنا العلامة الفقيه المعمر محمد بن محمد البقالي الحسني رحمه الله تعالى، يطلب منه نصوص مسألة فقهية من كتب السادة المالكية، لكون شيخنا من حملة الفقه المالكي ووعاته قبل أن يلتقي بالغماري، وقد علَّلَ ذلك بعلل، منها نفوره من كتب الفقه والفقهاء.

ومن شواهد قوله في «سبحة العقيق»[٤]: إنَّ والده كتب إليه وهو بالقاهرة يأمره بكتابة رسالة في التعوذ وقراءة البسملة على طريقة التقليد ومذهب (الإمام) مالك، لا بطريقة الدليل والترجيح قال: فصعب عليَّ من

---

(١) ذكره بذلك الزركلي في ترجمته له من الأعلام (١/٢٥٣).

(٢) تقريظه للروض النضير في شرح مجموع زيد الأمير (٤/٣٤٢-٣٤٣).

(٣) (ص٣٢) ط الأولى، و (ص٢٨) الطبعة الثانية.

(٤) (ق١٦١) نسخة المكتبة الوطنية رقم ١٨١٥د التي باعها مؤلفها للمستعمر الفرنسي مع كتب الأزهر الشريف الموقوفة على طلبته.

جهة الخوض في الباطل، وعدم وجود كتب المالكية المطبوعة عندي، فتأخر عنه من أجل ذلك.

فتأمل تصريحه بخلوِّه من كتب المالكية المطبوعة، فضلًا عن مؤلفاتهم ودواوينهم المخطوطة، وهو مقيم بالقاهرة، ونحن نتساءل عن مدده وعدته من مصادر المذهب المالكي في «المثنوني والبتار» من أين استقاها إذًا، من غير الافتِئات على «البحر المتلاطم الأمواج».

ومن ذلك ما قاله في «الجواب المفيد»[١]: «أما كتب المالكية فأشبه شيء بكتب القانون، وأعني كتب الإسلام، أما كتب الضَّلال كالعمل الفاسد – يعني: العمل الفاسي – والزقاق والمقاق فتلك ليست من دين الإسلام في شيء، وهي التي أفتينا بأنه يجوز الاستجمار بها، ككتب المنطق والفلسفة».

وقال في «جؤنة العطار»: «وهذا حكم كتب المالكية المغاربة المتأخرين، كالزقاق والعمل الفاسد، وأمثال ذلك مما هو ليس من دين الإسلام في شيء، قبح الله تلك الكتب وأصحابها».

وقال في «البحر العميق»[٢]: «كتب العمل المطلق والنوازل وشروح التحفة والزقاقية وأمثالها، بحيث يتقذر من رؤيتها كتقذره من النّجاسات والعفونات، بحيث ينقبض خاطره إذا رأى في كتاب: حكم الله في المسألة كذا، لقول فلان وقول فلان، ويعد كتب القانون أفضل من هذه الكتب،

---

(١) (ص٧٥).

(٢) (١/١٣٠-١٣١).

لأنها لا يدعى فيها أنَّ ذلك حكم الله تعالى، ولا يكذب فيها على شريعته، ويرى جواز الاستجمار بهذه الكتب إذا تجرَّدت من ذكر الله تعالى واسم رسوله ﷺ، وهما لا يذكران فيه بعد الخطبة غالبًا، كما قال الشافعية في كتب الكلام والمنطق والفلسفة، التي هي أشرف من شروح الزقاقية والعمل الفاسد ونحوها، وهي التي سماها رسول الله ﷺ كتب المساءة، وأخبر أنها تقرأ دون كتاب الله تعالى».

قلت: وقد اشتمل كلامه على ضلالات وتجاوزات كثيرة، وأكاذيب ومغالطات أُنَبِّهُ على فرية واحدة منها لتكررها منه ومن مقلديه من إخوته وأغمارهم، وهي خلو شروح الزقاقية وشروح العمل الفاسي من ذكر النبي ﷺ، وسأمثل بشرح العلامة محمد بن أحمد ميارة الفاسي، وهو أشهر شروح الزقاقية، وبه الإقراء في بلادنا، وفيه حسب ما في فهرس محققه خمسة وسبعون بين حديث وأثر[1]، فأين زعمه الباطل وادعاؤه العاطل.

ولعلَّ الغماري لا يعتبرها أحاديث لكونها منقولة من دواوين السنة النبوية الشَّريفة، ولم يعرج ذاكروها على كتب الزيدية والروافض وإخوانهم ممن يراهم الغماري أصحَّ المذاهب وأوثقها.

وهنا أشير إلى سباب الغماري ومبالغاته، وهي من المخالفات والمباينات بين «البحر» وبين «المثنوني» المسروق منه.

وختامًا أشير إلى ما انفرد به الغماري دون سائر أهل العلم والمشتغلين به من الجرأة في السَّب والشَّتم واللعن والتضليل والتفسيق والرمي بالنفاق، بل والتكفير، مع سوء الأدب وقلة الذوق والجرأة على

(١) (ص٥١٣-٥١٥).

العلماء[1] سبًّا وشتمًا وتنقصًا، وسأجعل هذه الأمثلة المذكورة هنا في خصوص العلامة الشَّيخ محمد الخضر بن مايابا الشنقيطي الجكني رحمه الله تعالى، وجعل ما ناله من سفه وجهل وتطاول في ميزان حسناته، دون سائر العلماء الذين تطاول عليهم في كتابه هذا، فإنها طريقته المعهودة، وسيرته الدائمة.

أما الوصف بالجهل فهو شيء كثير يملأ الكتاب.

وأمَّا وصفه للعلامة الشّنقيطي بالغباوة فشيء كثير، من ذلك قوله[2]: «الوجه الثاني: حكمه على المرجحين بالقصور من أجل تلك الجمل البسيطة، هو مع بطلانه دال على فرط غباوة عنده».

وقال عنه[3]: «فهذا من الجهل التام الذي ينخرط به في سلك السوقة العوام».

وقال عنه أيضًا[4]: «الهذيان الدال على سخافة عقله وجنونه في قوله».

(١) ومن لم يسلم من لسانه الصحابة رضوان الله عليهم، و السلف الصالح والأئمة المتبعون المجمع على ولايتهم فما الظنُّ بلسانه مع أهل عصره.

(٢) (ص٦١) الطبعة الأولى، و(ص٥١) الطبعة الثانية، وقد زيد فيها عنوان نصه: غباوة المتعصب وتناقضه.

(٣) (ص٢٠٩) ط الأولى، و(ص١٦٩) الطبعة الثانية.

(٤) (ص٢٤٠) ط الأولى و (ص١٩٤) ط الثانية.

وقال عنه أيضًا[1]: «كلام لا ينطق به إلَّا مجنون بلغ الغاية في الغباوة».

من الفوارق بين الأصل والمسروق منه:

- ومن المباينات بين البحر وفرعه المسروق منه، أنَّ الحافظ لا يتجاوز الأحاديث بعد تخريجها إلَّا بعد الكلام على أسانيدها وما في رواتها من الكلام، ويُبدِي رأيه في ذلك، وكمثال على الفرق بين الأصل والفرع ينظر تخريج حديث سيدنا هلب الطائي رضي الله عنه عند الحافظ وعند الغماري.

- ومن ذلك أن الحافظ يعزو الأقوال لقائليها على مقتضى الأمانة العلمية التي كان يتحلى بها، بخلاف الغماري الذي جبل على سرقة النُّصوص وعدم عزوها إلى أصحابها، وأمثلة ذلك واضحة بكثرة في الكتاب الأصل والفرع المسروق منه، فمن ذلك تخريج حديث سيدنا الغطيف بن الحارث، قد ذكر الحافظ أن الحافظ الهيثمي قال: «رجاله ثقات»، بينما أورد الغماري ذلك دون عزو موهمًا القراء أنه قائل ذلك، ونحو ذلك فعله الغماري مع الحافظ الهيثمي في تخريج حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ فقد نقل كلامه دون نسبته إليه، وقد باين الحافظ الكتاني الذي ذكر في البحر القول وقائله على عادته المرضية.

- ومن ذلك أنَّ الحافظ إذا نقل من مصادر بالواسطة عزا ذلك إليها، فقد نقل عن الحافظ ابن حجر أنَّ الدَّارقطني خرّج في الأفراد حديث حذيفة رضي الله عنه في القَبْض، ولم يتردد الحافظ الكتاني في تسمية مصدره

---

(١) (ص٣٤٢) الطبعة الأولى، و(ص٢٧٢) ط الثانية.

والذي نقل منه ذلك، أمَّا الغماري فقد حذف ذكر الحافظ ابن حجر على عادته في كفر النِّعم وطيِّ الوسائط، ومن أمثلة ذلك أنَّ الغماري لما جاء لتخريج حديث سيدنا شداد بن شرحبيل رضي الله عنه بدأ بقوله: أخرجه ابن السكن فقال: ... ثُمَّ قال وأخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب»...

والواقع أنَّ الغماري لم يرَ للحافظ أبي سعيد ابن السكن ورقة واحدة، إن هو إلَّا الفشور وحب الظُّهور، وغاية الأمر أنه توكَّأ على إسناد الحافظ ابن عبد البر من طريقه في كتابه «الاستيعاب» وحذف الواسطة على سنته المعهودة، بينما نجد الحافظ الكتاني نقل ذلك من «الاستيعاب» على وجهه مع الأمانة التامة والبراءة من الدعاوي.

ومن أمثلة ذلك أيضًا تخريجه لحديث سيدنا يعلى بن مرة، فقد نقله من كتاب «مجمع الزوائد» دون عزو، بل أوهم أنه الواقف عليه عند الطبراني في الكبير، بينما لم يستنكف الحافظ من عزو ذلك إلى مفيده ومخرجه ومظهره.

- ومن الفوارق بينهما أنَّ الحافظ كان يعتمد الأصول العالية الغالية، فيبدأ بالعزو إليها على قاعدة أهل الحديث، فهذا حديث سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما بدأ الحافظ بتخريجه من مسند الإمام أبي داود الطيالسي المتوفى سنة ٢٠٤، بينما بدأ الغماري تخريجه من صحيح ابن حبان المتوفى سنة ٣٥٤، ولا يقال بأن القصد بيان صحته، فقد ذكر الحافظ تخريج ابن حبان له بعدُ، ولكن قصد الغماري التعمية على سرقاته وهيهات.

أخطاؤه وأوهامه في ما حاول أن يزيده على «البحر» دون سرقاته:

وقد وقفت عليها في كناشة الحافظ، نبَّهَ عليها من رأس القلم، من ذلك:

– زعمه في مقدمة كتابه[1] أن موطأ الإمام مالك[2]، وصحيح الإمام البخاري، وصحيح مسلم، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، وصحيح الحاكم، وصحيح أبي عوانة، وصحيح ابن الجارود، ومسند أحمد، ومسند إسحاق بن راهويه، والدارمي، والطيالسي، وسنن أبي داوود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه وسعيد بن منصور، والدارقطني، والبيهقي وغيرها... من الكتب التي هي معصم الإسلام وحاملة رايته، ومن بينهم الأئمة المتفق من الأمة على صحة كتبهم، فلم يقل أحد في تاريخ الأمة أن كل هذه الكتب أجمعت عليها الأمة إلا إن كان يعني الكتب الثلاثة الأولى، ثُمَّ استأنف الكلام فذلك أمر آخر، والملاحظ أنه نسي كتب الروافض والزيود ضمن الكتب التي أجمعت عليها أمتهم، فلم يدرج مسند الإمام زيد بن علي عليه السلام الموضوع عليه، ولا غيره من كتب الوضاعين.

---

(١) (ص١٣-١٤) ط الأولى، و (ص١٢) الطبعة الثانية.

(٢) هذا ماله هنا، وفي أوضاعه الأخرى من التطاول على موطإ إمام الأئمة ما صار به قدوة للروافض الوضَّاعين وقبلة للكاذبين.

– زعم في كتابه[1] أن سحنون مؤلف «المدونة» من المرجحين للقبض، وهذا شيء لا دليل عليه.

– ومن ذلك زعمه[2] أن ابن الحاج صاحب «المدخل»، وأبو مهدي عيسى الثعالبي، والجزولي، ويوسف بن عمر هم من عمد المذهب وأركانه، والحاملين رايته، وكل ذلك تزيدات غمارية لا دليل عليها، خصوصًا ابن الحاج، وقد نصوا على عدم الاحتجاج به في نقل المذهب، والجزولي، ويوسف بن عمر الأنفاسي، ومن المعلوم لدى صغار الطلبة حالُ تقييدهما على رسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني، ولكن الغماري يعمد إلى التكثير والتشغيب دون فهم أو تحرير.

– وقال[3]: بأن الرهوني انتصر للقبض، وهي فرية بلا مرية، أما كونه سكت فصحيح، وأمَّا ما عدا ذلك فيحتاج إلى نقل، وأنَّى له به.

– كما أنه[4] زعم أن جميع علماء المذهب المالكي قائلون بالقبض.

– وقال[5] عن رسالة العلامة محمد الخضر الشنقيطي: «ليس بها جملة صحيحة ولا كلمة للموضوع مطابقة»، وهو غلو وغمط للحق على المذهب الغماري في ذلك.

---

(١) (ص١٥) ط الأولى، و (ص١٣) الطبعة الثانية.

(٢) (ص١٧) ط الأولى، و (ص١٦) ط الثانية.

(٣) (ص١٧) ط الأولى، و (ص١٥) ط الثانية.

(٤) (ص١٨) ط الأولى، و (ص١٦) ط الثانية.

(٥) (ص١٩) ط الأولى، و (ص١٧) ط الثانية.

ومن ذلك قوله[١]: بأن عمل أهل المدينة كان على القَبْض مدة ألف سنة، لأنّ المدينة كانت مملوءة بالمالكية ممن كان يسدل، والروافض والإمامية والزيدية والإباضية، والغماري ألصق بمذهب هذه المذاهب والطوائف لمناسبات شتى.

– وقال[٢] بأن كون عمل أهل المدينة كان على السَّدْل لم يقله أحد من خلق الله، مع أنه منصوص عليه في شرح التتائي على المختصر، ونقله العلامة محمد الفضيل الشّبيهي في «الفجر الساطع»[٣]، فلعلّ الغماري اعتبرهم من خلق أنفسهم.

– ومن ذلك زعمه[٤] أن علماء المذهب أجمعوا واتفقت كلمتهم على أن رواية ابن القاسم معللة، وهنا كيف نعمل في عد مختصر خليل للسدل من المستحبات، واقتصار ابن عاشر مثلًا عليه.

– ومن ذلك زعمه[٥] أنّ الصفتي شرح المختصر وهو في عهدته.

وختامًا أذكر هنا أن الشّيخ أحمد الغماري لم يكتف بالسّرقات العلمية والأدبية، بل أضاف إليها السرقات العينية، فقد سرق على الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني مبلغًا ماليًّا دفعه إليه ليستنسخ له كتاب «سمط المجيد» لأبي الحسن البوتيجي، كما نقلتُ ذلك عن الحافظ في كتابي «تاريخ المكتبة الكتانية»، وقد ذكره الإمام الحافظ في رحلته الحجازية

---

(١) (ص٩) ط الأولى، و (ص٨) ط الثانية.

(٢) (ص٩) ط الأولى، و (ص٨) ط الثانية.

(٣) (٢/٣٨-٣٩).

(٤) (ص١١) ط الأولى، و (ص١٠) ط الثانية.

(٥) (ص١٢) ط الأولى، و (ص١١) ط الثانية.

الثانية[١]، ونصه: «السمط المجيد للطالب المجيد» لعلي بن إبراهيم البوتيجي الشافعي في كراس بخط مؤلفه، وعليه خط السيد مرتضى الزبيدي في مواضع، وجله مملوء بأحاديث من طريق الجن، تركت السيد[٢] أحمد بن محمد بن الصديق الغماري تعهد بنسخه وإرساله لنا»، ثُمَّ كتب الحافظ تحت هذا الخبر ما نصه: «خان وأكل الدراهم بعد أن نسخ وامتنع من إرسال النسخة ظنًّا منه أنها شيء عظيم»، ونحوه في هوامش نسخته من «فهرس الفهارس»[٣].

والعجب أنه يتبجح بوقوفه على هذا الكتاب ونقله عن نسخته التي بخطّ المؤلف في «المثنوني والبتار»[٤]، ثُمَّ ختم كلامه في هذا المطلب بالتعريض بالحافظ، وزعم أنه صاحبه وما صاحبه ولا ارتضاه صاحبًا له قط، إن هو إلا الفشور وحب الظهور.

والعجب كيف يدّعي محبة آل البيت واتباعهم وتعظيمهم، ويقوم مع ذلك باختلاس كتبهم وأبحاثهم دون عزو، فضلًا عن أموالهم وخيانة عهدهم، بل والافتراء والتطاول عليهم، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وهذا الأمر شائع عنه تكرر منه مرات وكرات، فقد باع دار والده وأخرج إخوته منها، ولم يعط للورثة حقوقهم، وباع أيضًا مكتبة والده مدعيًا

---

(١) (ق٤٤).

(٢) السيد لا تقتضي الشرف في اصطلاح علماء المغرب فإنها في اصطلاحهم الرجل بخلاف عادة المشارقة من إطلاقها على الأشراف.

(٣) (٢/٣٩٠) على هامش الصفحة بخطه.

(٤) (ص٢٤-٢٥).

أنّ الكتب له، وأن والده لا مكتبة له، كما قرأته في رسالة بخطّ شقيقه العلامة محمد الزمزمي، وتحت اليدِ صورة منها بخطه.

وما قضية بيعه لمسجد بتطوان ببعيدة، وقد أشار لذلك شقيقه العلامة محمد الزمزمي في كتابه «رفع الستار عن أغلاط توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار»[1]، وبيعه المساجد المحبسة مخالفًا بذلك القرآن والسنة والإجماع والقياس والاستحسان، بل والملل كلها في بيعه المساجد وأحباسها بالتأويل الذي هو في الحقيقة تلاعب بالدين، واستهزاء بآيات الله تعالى.

رسالة العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي للإمام المصنف رحمهما الله تعالى

وقد وقفتُ على رسالة من العلامة المحدث الشَّيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، كتبها بخطه للإمام المصنف، وفيها حقائق كاشفة عن الغماري ومواقفه هذا نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه، وكل من بإحسان تلاه، أما بعد: فسلام يناسب سيادة المُسلَّم عليه، وما انتمى من العلم والمكرمات إليه، حافظُ الزمان، فريدُ العصر والأوان، فخرُ المغرب، مع وجود مثله ما شاء الله مثل عنقاء مغرب، السيد محمد عبد الحي الكتاني، أعطاه الله تعالى جميع الأماني، وجمعنا الله تعالى وإياه بالحرمين وفي دار التهاني، أوجبه أنَّا ولله الحمدُ بعد تلك المصيبة العامة لأهل الديانة من المسلمين بخير.

(1) ضمن رسائل في الصيام (ص٥٨).

لا زلتم فيما نحسبه لسيادتكم من كل خير، وإنَّ تعزيتكم الرقيقة وصلتني، وكان ذلك هو ظنّي بكم لِمَا فطركم الله تعالى عليه من الكمال، وكنت متأثرًا في نفسي من عدم كتبكم لي من سفركم من مصر، إذ العادةُ في مثلكم إذا رجع لوطنه أن يكتب لأحبابه مبشرًا لهم برجوعه سالمًا، وقد أشرتم في مكتوب التعزية هذا أنكم كاتبتموني، فيا حبذا لو وصلني، لكنني والله لم يصلني، كنتُ كتبتُ لكم نسخة من كيفية تعمير عامر الوسط للإمام الغزالي، أنتظر ردكم لأرسلها لكم، وها هي تصلكم بطيٍّ هذا مسجلة أذنت لكم فيها ولأنجالكم فيها في الأوجه الخيرية كالتسخير وحفظ العلم ودفع كل شر ونحو ذلك، ثُمَّ اعلم أني لا زلت مدافعًا عنكم حُسَّادَكُمْ هنا، وإن لم تظنوا ذلك، فإن ذلك الإنسان المُدّعي الاجتهاد فضلًا عن التحديث الذي كنتم صرّحتم لي بأنه عدوٌّ لكم مع إظهاره لكم أولًا أنه تلميذكم، هو الذي حَمَلَ الجرائد المصرية على كتابة ما يُؤْلِم من أذية سيادتكم، وقلتم لي: إنكم لا تردون عليه ولا تجعلون له قيمة بالردِّ عليه، لا زال عفا الله عنا وعنه كُلَّمَا قابل أحدًا ممن عرفكم بالعلم والفضل أو بلغه فضلكم يحطُّ هو من ذلك وينفيه، فسيتفهمني أنا ذلك الذي يحبكم... لكم بالبراعة في العلم والفضل كالشَّيخ الدجوي مثلًا، فأنفي له ما قاله له هذا الإنسان المذكور، فَيَرُدُّ رأيه هو ويحكم بقولي وهكذا، وليس الشأن أن أكتب لكم نحو هذا لِأَنَّهُ غيبة، وربما كان نميمةً أيضًا، لكن يخفف أمره كونكم تعلمونه، وقد حقق بعضهم أن ما يعلمه الاثنان في الواحد ليس بغيبة، ولأني أقصد بهذا تحذيركم من مخاطبته والوثوق به في أي أمر، ومن المستثنيات من الغيبة ما كان مرادًا به التحذير أيضًا، ونستغفر الله من هذا

كله، وإنِّي متعجب من وفاق قولك: لا أجعل له قيمة بالرَّدِّ عليه، مع قول أخي العلامة المرحوم لَمَّا بلغه أنه يرد عليه ترجيحه للسّدل ويؤذيه كثيرًا، وهو لم ير شخصه قط: لا أجعل قيمةً لهذا الطائش الجاهل بالرد عليه، فمن هو هذا حتى أرد عليه، فهذا لا غرض له إلا الشّهرة بأذية الأفاضل، كأذيته للسيد عبد الحي الكتاني، فتعجّبْتُ وتركتُ أنا الجواب عن رده على المرحوم، ولو تتبعتُ كلامه لفضحته وَبَيَّنْتُ للنَّاسِ جَهْلَهُ المركب، ولكني تأسّيت بكما، أي: بك وبأخي المرحوم في عدم الالتفات للردِّ عليه، وقد بلغني أنه لا يزال يطبع ويكتب في شأن مسألة القَبْض والسَّدل التي تكفيها ملزمة واحدة، إن كانت من عارف لإعمال الأدلة وكيفية ترجيحها عند تعارضها، وعارف بالقياس ومسالك علته وقوادحه، وعارف بالعام الباقي على عمومه والعام المخصوص، والعام المراد به الخصوص، إلى غير ذلك من المباحث الأصولية، مع معرفة صناعة أسانيد الحديث وما يحتجُ به منها وما لا، وما هو المراد بعمل أهل المدينة الذي هو من أدلة إمامنا مالك، وبيان أنَّ المراد به ما عمل به جميع الصَّحابة بالمدينة، ومنهم العشرة المبشرون، وجميع من بها من المهاجرين والأنصار، ثُمَّ عمل التابعين جميعًا في المدينة، لا غيرها من الطبقتين من أهل المدينة، فليس عمله دليلًا لمالك رحمه الله تعالى، فإنَّ مالكًا ومن وافقه الاحتجاج بعمل أهل المدينة كسعيد بن جُبَيْر، وإبراهيم النَّخَعِي، يجعلون حديث الآحاد الذي خالف عمل المدينة مخصصًا بعمل أهل المدينة، أو مُقيدًا أو منسوخًا، لأن الصحابة لا يتواطؤون على ترك سنة ثبتت بحديث إلّا إذا علم عندهم نسخها أو تخصيصها أو تقييدها، ولهذا قال إبراهيم النَّخَعِي: «لو رأيت

الصحابة يتوضؤون إلى الكوع فقط وأنا أحفظ قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[1] لتبعت الصحابة؛ لكونهم أدرى منا بما هو الأصح في الشريعة، وأعلم بالناسخ والمنسوخ منها منا، ولا يتهمون بتركهم سنته عليه الصّلاة والسّلام تشهيًا أو تهاونًا، إلى غير ذلك مما هو مقرر في محله، إلّا أنّ مالكًا ومن وافقه يتركون بعض الأحاديث المخالفة لعمل أهل المدينة مطلقًا دون هذا التدقيق والتحقيق، الذي هو بعيد على مثل هذا الرجل الذي لم يتلقّ العلم عن أهله، ولم يُدَرِّسْهُ لأهله النُّقاد والخائضين في بحار من علم معقولًا ومنقولًا، وكما بلغني اشتغاله إلى الآن بمسألة القَبْض والسدل المعلوم ما فيها للمتقدمين والمتأخرين، ولا تمكّن الزيادة فيها، على ما اختاره المسناوي في رسالته وهي عندنا، وقد أشرت في «دليل السالك» لما اختاره هو وغيره من الميل لترجيح القَبْض بقولي[2]:

والمالكيّةُ بِسَدْلٍ عَمِلُوا ... وَكَمْ أَجِلَّةٍ بِهِ لَمْ يَعْمَلُوا

وانتهجوا سَبِيلَ شَأْنِ القَبْض ... لِأَنَّهُ نَهْجٌ لَدَيْهِم مَرْضِي

واخْتَارَهُ جَمْعٌ إِلَيْهِ يَاوِي ... وَفِيهِ قِدْمًا أَلَّفَ الْمَسْنَاوِي

وقد كتبتُ في حاشيته جميع ما للقول بالقبض من أكابر المالكية، وستطبع هذه الحاشية إن شاء الله، أمَّا النظمُ فقد علمتم طبعه من قديم.

بلغني أنه مُجِدٌّ غايةً في الرد على سيادتكم في رسالة البسملة المسماة «الرَّحْمَة المُرْسَلَة»، وأنه سمى رده عليكم بـ«الصَّواعِق المُرْسَلَة على الرَّحْمَة المُرْسَلَة»، مع أنّ حديث البَسْمَلَة الكلام فيه مشهور ولا فائدة في الزيادة على ما ذكرتم، ولم يُطْلِعْني الله تعالى أحسن ما كتبتموه في ذلك

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) (ص٨١).

المبحث، ولكن لعلَّ هذا الرجل لم يعرف من مقاصد التأليف إلا الرد على الأفاضل في الأمور البسيطة، التي يتساهل في شأنها، كحديث البسملة، إذ العمل به من قبيل العمل بالفضائل، وكالاختلاف في القَبْض هل مكروه مطلقًا أو بقيد الاعتماد أو لا إن تسنن ونحو ذلك، وقد نصَّ المواق وغيره على أنَّ الإنكار على أحد من أهل العلماء أحرى على جمهور علماء المذهب إن كان في كراهة تنزيه أو ترك فضيلة يحرم، لأنه يؤدي إلى الشَّماتة والتباغض، لا سيما إن كان المنكر لا غرض له إلَّا شَتْمُ الأكابر لا غير، فيكون ضالًا عن سبيل المُهتَدين، متلاعبا بالدين، خاليًا من شيم العلماء العاملين، نسأل الله تعالى السلامة والتوفيق لأقوم طريق، هذا شيء ينبغي عدم كتبه لكم، ولكن للمحبة كتبته لكم لتكونوا على بال من هذا الإنسان، ولا أحب إخبار أحد به أيضًا، لئلا يظنَّ إذا سمعه أني متأثر من كتابته، أو اعتبرها ردًا على الأخ المرحوم أو عليكم، بل اعتبرها كهذيان أو كلام جرائد، وإلَّا لأمرت ابن أخي بالرد عليه ردًّا عن أبيه، أو أمَرْتُ أحد تلاميذي فهو أصوب.

أمّا ما سألتم عنه من حال محبكم فإني لله الحمد في غاية الاستقبال والاعتبار بمصر ولله الحمد، وقد أَلَّفْتُ بعدكم منظومةً في علم البيان[1] جَمَعَتْ ما لم يجتمع، وقد أعجبت أهل هذا الفن من أكابر الأزهريين، والجزء الرابع من كتابي «زاد المسلم» وشرحه جار طبعه الآن بهمة متوالية إن شاء الله، وحيث تَمَّ يصلكم إن شاء الله تعالى.

(١) هي فاكهة الخِوان في عِلم البيان. طبعت بمطبعة القدس.

هذا والمرجو تبليغ سلامي واحترامي لنجلكم السيد عبد الكبير، ولسائر إخوته حرسهم الله تعالى وإياكم بعين عنايته، ولتلاميذكم الأفاضل، ولجميع أحبابكم الأماثل، وإني أحب من فضلكم أن تطلبوا لي من مولاي أحمد بن عبد الكريم القادري أو غيره نسخة من شرح المنجور بهامشه شرح ميارة لتكميله بالطبعة الفاسية، قد ضاعت نسختي منه، ولا توجد للمنهج للزقاق هنا أبدًا، وإن وجدتم لي نسخة منه وأخرى من شرح ميارة على الزقاقية بحاشيته فارسلوه لي بواسطة أيّ كتبي، وثمنها أحوله لذلك الكتبي ولو بغلاء، ثُمَّ اعلموا أنَّ «التراتيب الإدارية» عندي من الجزء الأول منه نسختان، ولم يأتيني ما وعدتموني به من إكمالها وإكمال نسخة من «فهرس الفهارس» كنت عزمت على إهدائهما لبعض الأحباب، وربما أدَّى ذلك إلى بتر نسختي له إن لم أجد تكميلها له، وقد بلغني أنكم بعثتم منه ومن «التراتيب الإدارية» نسخًا للبيع، فدلوني على من هي عنده لأشتري منه تكميل نسختي إن كان في بعث ذلك كلفة على سيادتكم، وأفيدوني بما أَلّفتُم بعدي وما طَبَعْتَهُ، وبطيِّه مكتوبٌ لكم من محمود ربيع من مدة مديدة دفعه لي، وعنواني لا زال هكذا: مصر القلعة درب اللبانة رقم ٣ فلان، كتب ٦ ربيع النبوي محمد حبيب الله الشنقيطي خادم نشر علم السنة».

* * * *

نسخ البحر المتلاطم الخطية

سبق أن ذكرنا أنَّ المصنف لمَّا أَلَّفَ مصنَّفه هذا قام ببعث نسخة منه إلى دار الخلافة باسطنبول لصاحبه العلامة محمد المكي بن عزوز التونسي، الذي كان مستقرًّا بها كما سبق في ترجمته، وقد ذكرنا هناك أنَّ العلامة ابن عزوز كلَّفَ أحد أصحابه التونسيين بنسخ الكتاب على القاعدة الشَّرقية ليسهل طبع الكتاب عن هذا الأصل، فآلت إحدى النسختين إلى مكتبة الشَّيخ العلامة محمد الحافظ التيجاني المصري، والأصل الثاني آل إلى الشَّيخ أحمد بن محمد الغماري كما سبق بيانه، وقد وقفتُ على نص للحافظ في كناشته يذكر فيه نسخ كتابه «البحر» فيقول: «موجودة منه عدة نسخ في سلا، والرباط، وطنجة، ومصر وغيرها من بلاد الله».

فنسخة سلا: هي نسخة مكتبة العلامة السيد محمد المهدي الكتاني.

ونسخة الرباط: قد تكون هي النسخة التي آلت إلى مكتبة شيخنا الصديق الرندة، فقد اشتراها من الرباط كما أخبرني، وأصلها من مكتبة العلامة الفقيه الصوفي أحمد بن حساين النجار السلوي.

ونسخة طنجة: هي نسخة الغماري.

ونسخة مصر: هي نسخة مكتبة العلامة محمد الحافظ التيجاني.

النسخ المعتمدة في نشرتنا للبحر:

وقد وقعت لنا ثلاث نسخ منه، ونحن نُعَرِّفُ بالنسخ الثلاث التي وقعت إلينا واعتمدناها في تحقيقنا ونشرتنا للكتاب.

١- فالنسخة الأولى والتي رمزنا لها بحرف (أ) إشارة إلى أنها الأصل، وهي محفوظة في المكتبة الملكية العامرة بمراكش تحت رقم (٢٥٨ك) ورقم عام ١٢٨٧٤، وهذه النسخة بخطِّ المصنف، وَتَقَعُ في ٢٧٨ ورقة، متوسط أسطرها في الغالب ١٩ سطرًا.

وهي الأصل الأول والأخير من الكتاب، فقد مُلِئَتْ حواشي النَّسخة بالإلحاقات والزيادات والإضافات التي زادها مصنف الكتاب، ومن الواضح أنها بقيت بين يدي المُصنف يلحق بها ما جدَّ لديه من طريف العلم وتالده على عادته، وتلك الزيادات يختلف مداد كتابته لها عن مداد الأصل، فبعضها قد ألحقها في فترات متأخرة عن زمن تصنيف الكتاب، وقد حاولنا التعريف بسنوات إضافاته لها من خلال تواريخ وقوفه على نسخ تلك المُصنَّفات، وبعض تلك الإضافات بأقلام بنفسجية بحبر أوروبي جديد.

وفي آخر النسخة تقريظ العلامة الفقيه الأديب محمد الشافعي بن محمد بن علي النفطي بخطه، وهذه النسخة كانت تحت نظر مصنفها، يضيف إليها ويزيد ويُحَرِّر، وقد تضمنت عدة زيادات لم ترد في باقي الأصول منها نقول من عدة مصادر لم يعتمد عليها في الإبرازة الأولى، وذلك كـ«المزايا» لابن عبد السلام الناصري، وحاشيَتَيْ أبي الرأس العسكري، والأمير على شرح الزرقاني على مختصر خليل.

وفي أواخر كلّ ورقة من ورقاته نظام التعقيبة[1] بخطّ المصنف، وفي النسخة ورقات طيّارة بقلم المصنف، أضاف إليها لواحق وزوائد مع بيان محال إضافته لها.

وقد تَفَضَّلَ عليّ بهذه النسخة أخي الكبير فضيلة الشَّريف الجليل والسيد السند الأصيل الدكتور محمد حمزة بن الدكتور علي بن الشَّيخ محمد المنتصر بن الشَّيخ محمد الزمزمي بن الإمام محمد بن جعفر الكتاني، رحم الله سلفه الفخيم، وبارك فيه وفي خلفه الكريم.

وقد حَصَّلَهَا من مدير الخزانة الملكية العامرة فضيلة الأستاذ الدكتور سيدي أحمد شوقي بنبين حفظه الله ورعاه، وبارك في أعماله، فهو صاحب أيادي بيضاء على العلم والعلماء وطلاب العلم.

٢- النسخة الثانية: والتي رمزنا لها بحرف (م) إشارة إلى اسم مالكها ومستنسخها تلميذ المصنف وخِرِّيجه وابن أخيه العلامة المحدث الصوفي المسند السيد محمد المهدي بن الإمام العارف السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني رحمهم الله تعالى، وقد كتب بخطه عنوان الكتاب واسم مؤلفه وتملكه له، ونصه:

«البحر المتلاطم الأمواج المذهب لما في سنة القَبْض من العِناد واللِجاج»، أو «نُصْرَة القابض ودَحْضُ حُجَجِ السّادلين»، أو «نصْرَةُ هيئة

(١) نوع من الترقيم استعمله القدماء لترتيب مؤلفاتهم، وتسمى الرقاص والوصلة، وهي أن يثبت الناسخ في نهاية الصفحة كلمة من السطر الأخير أول كلمة في الصفحة الموالية. معجم مصطلحات المخطوط العربي (ص٩٣).

الناسك وردع من لم يهتد إلى حججها الواضحة المسالك» للعلامة المُحدِّث المُسْنِد المُؤرِّخ الرحالة النَّسَّابة حافظ العصر على الإطلاق ومسنده بالاتفاق سيدنا العم مولانا محمد عبد الحي الكتاني حماه الله ورسوله من معضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن آمين، وهو في ملك الفقير الحقير عبد ربّه وأسير ذنبه محمد المهدي الكتاني حمد المولى سبحانه مسعاه، كَلَّفَ من نسخه له ولمن يأتي بعده من عقبه، وهو حُبُس عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ومن بدَّلَ أو غيَّر فالله حسيبه ومتولي الانتقام منه، «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» والسلام، وكتب في ١٦ شوال عام ١٣٤٥ برباط الفتح.

وهذه النسخة تقع في ٤٥٣ ورقة، كتبت رؤوس المسائل والأبواب بالحُمْرَةِ، وعليها تقاييد بلاغات المقابلة كما في الورقات ٢٤، وهي بخط تلميذ المصنف العلامة الكاتب الأديب محمد فرفرة الرباطي، وقد اعتنى مالكها العلامة السيد محمد المهدي الكتاني بقراءته وتوقيفه وتعليمه وتحشيته ببعض الفوائد الزائدة[1]، وقام بإلحاق بعض الزيادات التي زادها المصنف بقلمه[2].

كما على النسخة تعليقات بخطّ غيره ممن طالع الكتاب عنده، منهم العلامة الصوفي الفقيه عبد الواحد بن علي بن عبد الله الرباطي[3] كما سبق ذكره.

(١) انظر مثلا (ق١٩، ٤٥، ٣٧٦، ٤٠٩، ٤٥٠).
(٢) (ق٤١٥).
(٣) (ق٨٠).

وعلى النُّسخة توقيفاتٌ لغيره، عرفنا منها توقيفًا بخط تلميذ المُصَنِّف العلامة محدث الحرمين الشَّريفين الشَّيخ محمد المنتصر بالله بن الشَّيخ محمد الزمزمي بن الإمام محمد بن جعفر الكتاني[1].

وقد تفضَّل بتصوير هذه النسخة فضيلة الشريف الجليل الدكتور سيدي محمد حمزة بن علي الكتاني حفظه الله ورعاه.

٣- النسخة الثالثة وهي التي رمزنا لها بحرف (ص)، إشارة إلى اسم متملكها مجيزنا الأستاذ الأديب المؤرخ الصديق[2] بن محمد بن العلامة الفقيه النوازلي الوزير محمد بن عبد السلام الرندة الرباطي[3] حفظه الله ورعاه، وقصتي مع هذه النسخة أني كنت في زيارة لأستاذنا المذكور في بيته العامر الذي يستقبل فيه طلاب العلم والرواية بكرم وبشاشة وحسن استقبال، مع احتفال بالفوائد العلمية والأدبية والتاريخية، فجرت المذاكرة في شأن مناهج العلماء في التصنيف، وأنَّ بعض العلماء أوتي قلمًا سيالًا،

(١) (ق٣٢١).

(٢) ولد يوم الأربعاء ٣٠ رجب سنة ١٣٤٨ بالرباط، وأخذ عن جده الفقه والعربية وحضر دروسه، كما نال إجازته العامة، واستجاز له جده من جماعة من العلماء، فعلى إسناده، فممن أجازه بطلب جده العلامة عبد القادر بن محمد السودي على ظهر ثبته «نفع العباد في نظم الرواية والإسناد» وتاريخها سنة ١٣٥٦، ومنهم العلامة القاضي عبد الرحمن بريطل الرباطي، ومنهم الإمام المحدث المقرئ أبو شعيب الدكالي، ومنهم العلامة القاضي الأديب المشارك أحمد العياشي سكيرج الفاسي وغيرهم، وقد خرج له صاحبنا الدكتور المقرئ المسند محمد بن أحمد ححود فهرسة مروياته، وهي من منشورات دار الحديث الكتانية للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) ولد سنة ١٢٨٨ وتوفي سنة ١٣٦٥. وقد أفرده حفيده شيخنا الصديق بن محمد الرندة بكتاب سماه «العلامة محمد بن عبد السلام الروندي ذو الوزارتين العدلية والمعارف الإسلامية».

فيكتب في المسألة الواحدة مصنفًا حافلًا، وضرب أستاذنا المثل في ذلك بالحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني رحمه الله، وَسَمَّى «البحر المتلاطم الأمواج»، فخطر في بالي أن أستاذنا قرأ خبره في مقدمة «فهرس الفهارس» أو غيره، فقلت لأستاذنا: إني أحقق كتاب «البحر»، فاستغرب ذلك ولامني قائلًا: لِمَ لَمْ تخبرني، فقد اقتنيتُ نسخةً منه من أمد قريب، وفي الحين صعد أستاذنا إلى مكتبته وأكرمني بتكحيل عيني بهذه النُّسخة، ثُمَّ قمت بتصويرها شاكرًا أفضاله، داعيًا له بطول البقاء والصِّحة والعافية، وهذه النسخة أصلها من مكتبة العلامة محمد بن أحمد بن احساين النجار السلوي الكتاني طريقة[1]، أحد الكبار من تلاميذ الإمام المصنف.

وهذه النسخة بخطّ ناسخ، وقع لي كثير من مؤلفات الحافظ بخطه، إلَّا أنه في كلها لا يصرح باسمه في آخرها. وعلى النسخة توقيفات بخط الناسخ[2]، وهو يضيف ما فاته في أثناء النسخة ويعلم عليه بعلامة صح[3]، وقد وقفتُ على عدد من منسوخاته من مؤلفات الإمام الحافظ، أذكر منها: نسخة «البيان المعرب في بعض ما ورد في أهل اليمن والمغرب»، نسخة مكتبة السيد محمد المهدي الكتاني، فإنها بخطه أيضًا، ونسخة «المظاهر السامية» النسخة المودعة اليوم بالقصر الملكي بمراكش فإنها بخطه، ولم يسمّ نفسه في أي من منسوخاته الثلاث هذه، وفي أثناء النسخة تشارك معه ناسخ آخر تبتدئ القطعة التي بخطه من (١٥٠ إلى ١٥٤).

(١) ترجمه عبد الله الجراري في «من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا» (٢/٨٢-٨٤) ولم يكن فيها منصفًا.

(٢) انظر مثلا (ق٣٠٤).

(٣) (ق١١٦٢).

وهذه النسخة تقع في ٣٣٨ لوحة، وقد كان قبلها كتاب «القول الشافي» للإمام السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني رحمه الله تعالى شقيق المؤلف، إلا أنه لم يتبق منه إلا أربع ورقات، وألحق به تقريظ «القول الشافي» لشاعر فاس وأديبها الحاج المعمر إدريس السناني الحنش، وفي أول التقريظ كتابة بخط الإمام المصنف ينص فيها على اسم المقرظ، وفي آخره كتابة بخطه يؤرخ للتقريظ وما صاحبه من أحداث.

وعلى هذه النسخة تصحيحات وآثار المقابلة، وعليها تعاليق وإلحاقات بخطّ العلامة السيد محمد الباقر الكتاني[١]، وعليها تعليق بخطّ متملكها العلامة محمد بن أحمد بن احساين النجار السلوي[٢].

وهذه النسخة انفردت بأمور دون الأصل الذي بخطّ المصنف، ونسخة السيد المهدي الكتاني، وذلك كتقريظ العلامة جمال الدين القاسمي على كتاب العلامة السيد عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، فقد بقي نصّه بياضًا في الأصلين، بينما أثبته الناسخ هنا تامًّا[٣].

وفي آخرها انفردت عن الأصلين بإثبات مقتطفات من رسالة الإمام المكي بن عزوز للحافظ بعد وقوفه على البحر المتلاطم الأمواج[٤].

* * * *

---

(١) (ق٦، ٧، ١١).

(٢) (ق١٩٦).

(٣) (ق١٢٦٠-١٢٦١).

(٤) (ق٣٤٢-٣٤٤).

منهج التحقيق

١- قابلتُ الكتاب كاملًا على نسخة المصنف التي كتبها بخطه، ثُمَّ قابلته على الأصلين الآخرين الذين توفرا لي، ولم أنشغل بالتنبيه على أوهام وأسقاط النسختين، فما كان صوابًا في الأصل أبقيته كذلك دون التنبيه على خلافه، وما كان زائدًا في أحد الأصلين زدته مع التنبيه عليه غالبًا بوضعه بين قوسين.

٢- وَثَّقْتُ جميع ما أمكنني الوصول إليه من نقول نقلها المصنّف سواء كانت مخطوطة أم مطبوعة، مع بيان محال انتهاء النقول، وما زاده وأضافه المؤلف، ولم أعتن بتوثيق النقول التي وقعت ضمن نقول المصنف في الأغلب الأعم، وقد أنشط لتوثيق الكل أحيانًا استكمالًا للفائدة، وقد أخذ مني هذا العمل وقتا كثيرًا لتنوع وتعدد مصادر وموارد المصنف، وكثير منها مخطوط، والمطبوع منها قسم كبير منه مطبوع طبعات نادرة غير مفهرسة، ويصعب استخراج المعلومات منها، ولكن الله وفقني وأعانني وأمدني بمدده فقمت بتوثيق جُلِّ نقول المصنف.

٣- خَرَّجْتُ جَمِيعَ الأحاديث والآثار التي ذكرها المصنف على سبيل الاختصار.

٤- ترجمت للأعلام الذين وقع فيهم اشتباه أو رأيت الحاجة ماسة إلى ترجمتهم لندرتها أو خفائها أو لغير ذلك من الأسباب.

٦- عرَّفت ببعض الكتب والنسخ الخطية النادرة التي تزخر بها مكتبة المصنف.

٧- صنعت للكتاب مدخلًا هو الذي تراه، استفرغت فيه الجهد للحديث عن المصنف، وبالخصوص جوانب شخصيته الفقهية التجديدية، وإحيائه للسنة النبوية، مع بيان جهوده في ذلك، إلى غير ذلك من الفوائد المتصلة بترجمته، ثُمَّ ما يتّصل بالكتاب تعريفًا وتوصيفًا وتكشيفًا، فجاء بحمد الله كتابًا حافلًا ومجموعًا كاملًا، نفع الله به.

٨- قمتُ بإعداد الفهارس العلمية للكتاب، وهي: فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث النبوية الشريفة، وفهرس الآثار، وفهرس الكتب الواردة في الكتاب، وفهرس الأعلام، وفهرس الفوائد العلمية، وفهرس استدراكات وتعقبات المصنف مرتبة على الفنون، وفهرس المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق، والفهرس الموضوعي التفصيلي للكتاب.

وقبل أن أضع القلم وأطوي الصُّحف أتوجه بالشكر الجزيل والدعاء العاطر المبذول لأصحاب الفضل عليَّ، وأخصُّ بالذكر منهم وَالِدي الكريم فضيلة الشَّيخ محمد المختار البداوي السباعي الحسني حفظه الله ورعاه، والذي حرص على تربيتي وتعليمي وتنشأتي نشأة صالحة، وعانى في ذلك من السفر المتواصل وعدم الاستقرار في سبيل راحتنا المستقبلية.

ولسيدتي الوالدة(١) ذات الأيادي الخالدة، التي سهرت وتعبت على راحتي، وصبرت على كثرة أسفاري وتنقلاتي في طلب العلم.

---

(١) ثم توفيت رحمها الله تعالى قبل طباعة الكتاب بعد معاناة مع الأمراض والأسقام. ودفنت بالدار البيضاء يوم الجمعة بعد صلاتها.

ولزوجتي وشريكة حياتي التي ساندتني، وكانت نعم العون لي، ووفرت لي سُبُلَ الرَّاحةِ والاطمئنان، وقدَّرتْ ما أقوم به من عمل في سبيل خدمة العلم وأهله، خصوصًا هذا السفر الذي أخذ من وقتي الكثير، وكانت ظروف تحقيقه تقتضي الانتقال إلى مدينة الرباط مرات كثيرة من أجل توثيق نقوله المخطوطة ومقابلتها بأصولها، فصبرت معي في كل ذلك، وكانت نعم العون والسند لي.

ولشيخنا العلامة البحر الفهامة سيدي ومولاي الشَّريف مصطفى بن أحمد بن عبد الرحمن البحياوي الحسني، متع الله المسلمين بعلومه وفهومه، والذي له الفضلُ بعد الله سبحانه في تربيتي وتعليمي وتوجيهي، فالفقير أصغر طلابه، وَتَشَرَّف بالمثول بين يديه سنين عديدة طالبًا ومستفيدًا من علمه وفهمه ومنهجه وتربيته الفريدة.

ولشيخنا الشريف الجليل والسيد السند الأصيل مسند العصر وياقوتة الأشراف والرواة المعمرين سيدي ومولاي عبد الرحمن بن الإمام الحافظ السيد محمد عبد الحي الكتاني متعنا الله بحياته وفوائده، والذي جعل لي من ذكرياته وحياته ومروياته نافذة مفتوحة على حياة مليئة بالعلم والعمل والعرفان، عاشها صحبة والده الإمام المصنف.

ولأخي الأكبر فضيلة الشريف الجليل والماجد الأصيل سيدي الدكتور محمد حمزة بن الدكتور مولاي علي الكتاني - أدام الله سعادته - الذي فتح لي قلبه الكبير، وأنزلني فيه منزلة هي فوق ما أستحق، وساعدني في بحوثي العلمية بالمصادر النادرة، والمتابعة المتكررة، والتشجيع

والدعم المادي والمعنوي، بل وقرأ هذا الكتاب كاملًا، حرفًا حرفًا، وقرَّر عباراته، وقابل المشكل من كلماته على أصل مصنفه، وَعَنْوَنَ مباحثه، وأتحفني بملاحظاته وتصحيحاته، ومهما قُلْتُ فلن أوفيه حقه، لكني أسأل الله تعالى أن يجزيه عني خير ما جازى به عباده المخلصين.

ولأخي الأستاذ الباحث سيدي عبد الهادي جمعون، الذي تجشَّم معي معاناة مقابلة الكتاب وتصحيحه، ومراجعته معي مرتين، فله أفضل الشكر وأجزله.

ولأخي الدكتور الباحث سيدي يونس بقيان المخرج الفني لدار الحديث الكتانية، والذي قام بإخراج الكتاب الإخراج النهائي للطباعة، وصبر على إضافاتي المتكررة، وإلحاحي المستمر على إلحاق الزيادات والإضافات.

وختاما هذا جُهْدُ المقِلّ، أسأل الله تعالى أن يتقبله مني، وأن يغفر لي خطئي وزللي وقصوري وتقصيري، وأن يجعله من العمل الصَّالح المتقبل لديه، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ومشايخنا ولجميع المسلمين والمسلمات، اللهم فرّج عن أمة حبيبك المصطفى ﷺ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

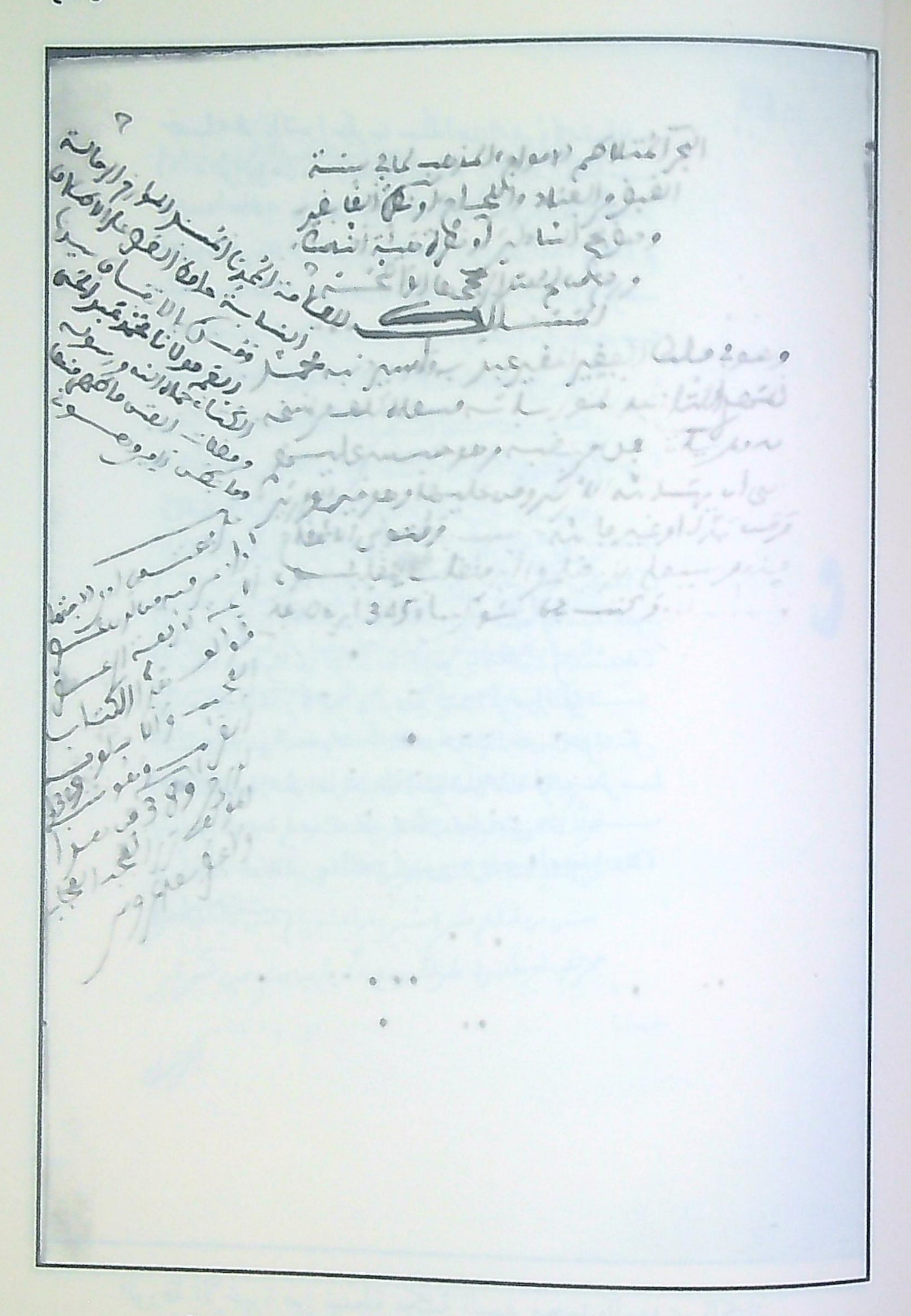
وكتبه الفقير خالد بن محمد المختار البداوي السباعي الحسني، عفي عنه بمنه وكرمه، بدار الحديث الكتانية بمدينة طنجة، رمضان المعظم من سنة ١٤٣٧هـ.

* * * *

أنموذج من صور المخطوطات

الورقة الأولى من نسخة المصنف بخطه

الورقة الأخيرة من نسخة المصنف بقلمه



ورقة العنوان من نسخة مكتبة السيد محمد المهدي الكتاني

الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة السيد محمد المهدي الكتاني

الورقة الأولى من نسخة الأستاذ الصديق الرندة

وانتصار أسرار معارضه بين الأنام جارية
من خالف أمير أجنى الله سهمه جار مغزاه دماء بتهليل البترا
أسأل الله أن يبقي البيت الكتاني محل علم ورشاد
معمورا بالخيرات الدنيا والآخرة وسرد آمال العباد
ويبقى ماجني الأرض جاهرة إذا أجدب هول الدهر أميس
وأستمنحه جل وعلا أن يختم لنا ولجميع
المسلمين بخاتمة السعادة الأبدية وأن يجعلنا
من أهل العناية والأصفياء والأحباء لحضرته
الاختصاصية وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء
والمرسلين كتبه المزجي البضاعة المسبي
من سوء كسبه وقلة الكتابة محمد الشابعي
ابن محمد علي النعطي ببلد الشريف ليلة
الترنى بمهالة الأيام شريا الملكي نوعها
عفا الله عنه في شهر ربيع الثاني سنة
ألف وثلاثمائة وثلاثين من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

1330

الورقة الأخيرة من نسخة الأستاذ صديق الرندة

البحر المتلاطم الأمواج

المذهب لما في سنة القبض من العناد واللجاج

تأليف الإمام الحافظ لسان السنة الغراء

السيد الشريف محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني

المتوفى سنة ١٣٨٢هـ

وفي مقدمته

المدخل إلى كتاب البحر المتلاطم الأمواج

عناية

خالد بن محمد المختار البداوي السباعي

تقديم

الشيخ العلامة محمد فال ولد عبد الله العلوي

شيخ محضرة النباغية